

بين النظرية والتطبيق

ديفيد رينتون David Renton

إعداد

مركز الترجمة بمكتبة جزيرة الورد



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : المنافسة بين النظرية والتطبيق

المؤلف : ديفيد رينتون

إعداد: مركز الترجمة بمكتبة جزيرة الورد

رقم الإيداع : ٢٠١٠/٢٤٧٣٤

الطبعة الأولى ٢٠١٠



مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

شكر وتقدير

في البداية، أود أن أعرب عن شكري لاثنين من الكتاب، الذين وجدت أن أعمالهم ذات قيمة خاصة، وذلك عندما بدأت بالكتابة عن النظريات الفاشية. الأول هو كريس بامبرى Chris Bambery، الذي كتب بقوة على الحاجة لمواجهة الفاشية اليوم، والثاني هو جون ريس John Rees، والذي درس الأسلوب الفلسفي وراء التقليد الماركسي. وإذا كان قراء هذا الكتاب من المهتمين بتطور الأفكار التي أقدمها هنا فى هذا الكتاب، فأود أن أحث بقوة على القراءة لهدين الكاتبين في الأصل[1].

وعندما بدأت بكتابة هذه الرواية، كنت عضوا في الأقسام الأكاديمية في جامعة «شيفيلد» وجامعة «نوتنغهام ترنت»، وأود أن أشكر الأصدقاء في كل من الجامعتين لتشجيعهم لى، بما في ذلك ديفيد بيكر، توني بيرنز، جايسون هيبل، وشين كيليو» و« بيتر بيو». وقد وضعت بعض الأفكار هنا أصلا من خلال إعدادى لرسالة الدكتوراه حول الفاشية البريطانية، وأنا ممتن للمشرفين على تلك الرسالة، ومنهم «كولن هولمز» و «ريتشارد ثورلوو»، الذي شجعني على إنتاج هذا الكتاب

(1) سي. بامبرى، مقتل الخطر النازي: كيف يمكن وضع حد للفاشيين (لندن: بوكماركس، ١٩٩٢)
سي. بامبرى؛، «الفاشية الأوروبية»: من الدروس السابقة و«المهام الحالية «أي. إس. جي»، 60 (1993)، ص ٣-٧٧؛ ج.
- ريس، و ثورة الجبر: تقليد الجدلي والماركسية الكلاسيكية (لندن ونيو جيرسي: روتليدج، ١٩٩٨).

كعمل منفصل.

وقد تلقيت أيضا المشورة من عدد من مؤرخي الاشتراكية. وعلى وجه الخصوص، أود أن أشكر دوني جلاكشتين Donny Gluckstein، و كيث فليت Keith Flett و جيف باركر Jeff Parker وآندي ستراوثوس Andy Strouthos على هذه المشورة، في حين أن كل من «عصمه كونارا Esme Choonara»، و «ديبي فرير Debbie Freer»، ديف بينوك Dave Pinnock، الكسيس ويرموث Wearmouth Alexis وناهدة زيب Nahida Zeb جميعا ساعدوا في وضع التعليقات على مسودات هذا الكتاب.

ولقد قام «أيان بيرشال» Ian Birchall و «فلوريان كيرنر Florian Kirner، بالعديد من التصويبات والتنقيحات الهامة في العديد من الأقسام الأولى من الكتاب، بينما قام كل من «آن أليكسندر Anne Alexander، «فيل باكلاند Phil Buckland، و «أوكتاي دوج» Oktay Dog وباري بافيير Barry Pavier بالمساعدة في جمع وترجمة مختلف المصادر.

وكان أول اختبار لبعض أفكار هذا الكتاب قد تم في نقاش مع روجر غريفين Roger Griffin، وأنا ممتن له للحصول على اقتراحات عديدة، على الرغم من أنه من الواضح أنه لم يتم إدراج كل أفكاره حول هذا الكتاب. وأود أيضا أن أشكر فيف فوستر Viv Foster، الذي ساعد على إعادة النظر في أسلوب الكتاب، و«روجر فان» في مطبعه بلوتو، والذي قدم لي نصيحة قيمة في كل مرحلة من مراحل هذا المشروع.

وأود أن يكون هذا الكتاب مخصص لعائلة سعيد جليد أحمد Said Guleid Ahmed الذي اغتيل على يد العنصريين في أكسفورد في عام ١٩٩٤.

الاختصارات

التحالف الوطني الإيطالي	AN
رابطة مناهضة النازية	ANL
الحزب الوطني البريطاني	BNP
اتحاد الفاشيين البريطاني	BUF
الاتحاد الديمقراطي المسيحي	CDU
الحزب الشيوعي للاتحاد السوفياتي	CPSU
الحزب الشيوعي لبريطانيا العظمى	CP
الاتحاد الاجتماعي المسيحي	CSU
الجبهة الوطنية	FN
حزب العمل المستقل	ILP
الاشتراكية الدولية (سلسلة١)	IS
الدولية الاشتراكية مجلة(السلسلة ٢)	ISJ
مجلة التاريخ المعاصر	JCH
الحزب الشيوعي	KPD
الحزب الشيوعي المعارض	KPO

الحركة الإجتماعية الإيطالية	MSI
مراجعة اليسار الجديد	NLR
الحزب الوطنى اليموقراطى بألمانيا	NPD
الحزب النازى	NSDAP
حزب الوطنيين الإتحاديين	PNF
الحزب الشيوعي في إيطاليا	PCI
الحزب الاشتراكي الايطالي	PSI
منظمة « الصخرة لمناهضة العنصرية»	RAR
الحزب الجمهورى الألمانى	REP
حزب التجمع من أجل الجمهورية	RER
حزب العمال الاشتراكي الألماني	SAP
الحزب الاشتراكي الألماني	SPD
حزب العمال الاشتراكي	SWP
إتحاد الجبهه الديموقراطية الفرنسى	UDF
جمعية ضحايا النظام النازي	VVN



الفاشية
بين النظرية والتطبيق

المقدمة

هذا الكتاب يعد بمثابة رد و نقد أدبى يتناول النظم الحديثة «للدراسات الفاشية» . وخاصة تلك التي ظهرت وتنامت في الآونة الأخيرة فقط ، على مدى اسنوات العشر أو العشرين الماضية. إن الدراسات الفاشية هى في حد ذاتها تعد استجابة للتطورات الأكاديمية في العالم الخارجى ، بما في ذلك نشوء الأحزاب الفاشية في أوروبا القارية وأماكن أخرى.

إن هذا العمل الأدبى ، تم القيام به من خلال كتابات عديدة لأمثال «روجر جريفين » ، « ستانلي باين » ، وزئيف ستيرنهيل» ، وآخرين ، حيث تم وصف الفاشية في المقام الأول من حيث أفكارها.

إن هؤلاء الكتاب قاموا بتعريف الفاشية من خلال التطور الفكري لمفكري الفاشية ، وذلك بدلا من تعريفها من خلال الممارسة الفعلية لموسوليني بإيطاليا أو ألمانيا تحت حكم هتلر. مع التركيز أيضا على مثقفي الفاشية بدلا من التركيز على الحركات الفاشية ، ويبالغ الكتاب والمنظرين للدراسات الفاشية في المضمون الثوري للممارسة الفاشية ، وجعلوا الفاشية تبدو كأنها حركة أكثر إيجابية أو أنها كذلك فعلا. ومن أحد العواقب التى نجمت عن مثل تلك النوعية من النماذج التى نشأت من هذه النظرية هو أنها كان لها تأثير على دراسة حركات فاشية محددة. ويقوم مؤرخو الفاشية الإيطالية الآن بدراستها من خلال فكرها و أيديولوجيتها ومن خلال لغتها الفاشية الرسمية والبيانات البرمجية. ويدعى هؤلاء الكتاب ، الحيادية ، وذكر الوقائع ، ولكن عادة ما يبالغون في تقدير المحتوى الجذري لفاشية موسوليني ، في حين يقللون من شأن العنصرية الفعلية والطابع الإجرامي لمثل تلك الأنظمة . ومثال هؤلاء الكتاب «رينزو دي فيليس» الذى أعد صياغة هادئة لما قام به موسوليني فى أثيوبيا ، ويركز على شخصية موسولينى بدقة فقط من خلال

الحروب في ليبيا واسبانيا. ويتعامل مع بعض اللمحات من الخطاب الفاشي كدليل على الالتزام العميق، في حين يرفض الإقرار بطبيعه السلوك الفعلي للنظام وإعتبار أنه « سلوك عرضي» ،وأنه دليل على «براغماتية موسوليني»[١].

وفي الوقت نفسه، فإن العديد من أولئك الذين يكتبون عن الفاشية في فرنسا يبالغون أيضا فى أهمية مثقفي ومفكرى الفاشية. ووفقا للمؤرخ الكندي «ويليام إيرفين William Irvine »، والذى يدعى ان هناك «توافقًا» الآن بين الفاشية الفرنسية واليعاقبة من جهه، و الجناح الاشتراكي واليسار من جهه أخرى. إن مثل هذا التجديد في التاريخ، لا يمكن أن يتم إلا من خلال عملية غريبة من الاختيار. فهذا المنطق لمفهوم « التوافق» يمثل التواء في الآراء تماما مثل لعب الأطفال: فالطرف الأول (اليعاقبة) كانوا من المحافظين، وبالتالي فإنهم كانوا من « اليمين» ولهم احترامهم، في حين أن الطرف الثاني (الجناح الاشتراكي واليسار) يحتوي على عدد قليل من الأعضاء الذين كانوا سابقا من الاشتراكيين، ولذلك كانوا من جناح اليسار وأنصارا للفاشية![٢].

و عندما يتعلق الأمر بدراسة الفاشية البريطانية، يتأثر المؤرخون بما يسمى بالنظريات« الفشية العامة» على نحو متزايد، والتي تصور الاتحاد البريطاني للفاشيين (BUF) كما لو أنه لعب دورا تاريخيا إيجابيا . وبهذه الطريقة، يشير «ريتشارد ثورلوو» إلى المضمون «الاشتراكي» و« الثوري» للأفكار الفاشية، في

(1)م. نوكس، «والنظام الفاشي، في السياسة الخارجية وحروبه» : «مكافحة مناهضة الفاشية» الأرثوذكسية؟، التاريخ المعاصر الأوروبي ٠٣ / ٠٤ (١٩٩٥)، ص ٣٤٧-٦٥، ٣٤٨-٥٠.

(2)نقل عن وليام إيرفين بواسطة آر.جى سوسي Soucy، "الجدل حول الفاشية الفرنسية، آر جلاسون ،في عودة الفاشية : فضيحة، ومراجعة فكر منذ عام ١٩٨٠ (لينكولن ولندن :مطبعه جامعة نبراسكا، ١٩٩٨) ص ١٣٠-٥٢، ١٣٢.

حين يدعي «ستيفن كولين» أن الفاشيين البريطانيين كانوا إلى حد كبير من الضحايا الأبرياء من جراء العدوان عليهم من اليهود والشيوعيين في عام ١٩٣٠.

وفي الوقت نفسه، يصور «مارتن دورهام»، (وهو مؤرخ يساري)، الفاشية الآن كحركة نسوية ،كما يصف« فيليب كوبلاند» اتحاد الفاشيين البريطاني BUF على أنه اليسار وأنه كالمدينة الفاضلة 'utopian' كما يقول، « سوف نكون قادرين على الحفاظ على المدينة الفاضلة على الخريطة ولكن الإنسانية في طريقها إلى العبودية»[1].

ومن الواضح أن مثل هذه الحجج تستنزف المفاهيم بحيث لا يكون لها أي معنى حقيقي. وتستند إدانة «ستيفن كولين» لمكافحة الفاشية على أدلة مأخوذة من ملفات الشرطة المعاصرة، والتى تلقى فيها مكافحة الفاشية إهتماما قليلا.

وفي الوقت نفسه، فالمشكلة فى وصف أوزوالد موسلي (زعيم اتحاد الفاشيين البريطاني BUF) كرمز يمثل اليسار، كما يصفه «ريتشارد ثورلو»، ولذلك أصبح واضحا عند تعريف الاشتراكية على أنها اعتقاد يختص بمفهوم توسيع نطاق توفير الرعاية من دولة قوية . وفي هذا الإطار يمكن وصف« موسلي Mosley، وهو الأكثر فاشية في الواقع، يمكن وصفه بالاشتراكية، وكذلك يمكن أن ينطبق هذا الوصف على أي سياسي بريطاني، وذلك بغض النظر عن التقاليد السياسية، الناشطة في عام ١٩٣٠.وهناك مشكلة واحدة تعد الأكثر أهمية والتى تخص الكتابات الموجودة حاليا وهى أن طرق التفكير التي تولدها هذه الدراسة المهنية

(٢) آر سي ثورلوو، «الوصي على « اللهب المقدس »: فشل سياسة السير أوزوالد موزلي بعد عام ١٩٤٥، ص ٢٤١-٥٤ JCH. ٣٣ / ٢ ؛ اس إم كولين، العنف السياسي: حالة من اتحاد الفاشيين البريطاني، JCH، (1993) 2 / 28، ص. ٢٤٥-٦٨ ؛ م.«دورهام» المرأة والفاشية (لندن ونيويورك: روتنيدج، ١٩٩٨) ؛ كوبلاند م، «واليوطوبيون ذو القمصان السوداء»، JCH، 33 / ٢ (١٩٩٨)، ص ٢٥٥-٧٢، ٢٧١.

عن الفاشية لا تزال مغلقة في حدود الأوساط الأكاديمية، وهى بلا شك طرق تفكيرقد تؤثر على المجتمع بشكل عام، بمعنى أنه في فرنسا ، فقد استخدمت الكثير من الحجج الفاشية لتبرير فكرة أن «المتعاونين الفرنسيين» الذين هم مازالوا على قيد الحياة ، لا ينبغي أن يحاكموا على جرائم الحرب التي ارتكبوها. ويصر المؤرخ «هنري روسو » أن الأمة الفرنسية لا تزال تحتفظ بذاكرة مهووسة بأفكار« فيشي Vichy »، وإن استخدام أفكار «فيشى» من قبل اليمين السياسي يشير فى بعض الحالات (مثل حالة «بول توفير Paul Touvier ،وهو الذي أرسل اليهود إلى غرف الغاز) ، إلى أنه لا ينبغي أن يتم تقديم من قاموا بقتل اليهود للمحاكمة.

من جهة أخرى وفي ألمانيا ، ناقش المؤرخون ما يسمى « بالجدل الفكرى للمؤرخين» أو ما يشار له باسم '(Historikerstreit) من منتصف عام ١٩٨٠، حيث أن هذا الجدل قد تركز حول التفسيرات المختلفة للمحرقة. ويقترح «أرنست نولت» ، أن تحفيز هتلر والنازيين ودوافعهم في المقام الأول ، قد تولد بسبب خوفهم من الاتحاد السوفييتي ، وبالتالي فإن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية هى التي ينبغي أن تتحمل المسؤولية عن الجرائم النازية.

ولقد استمر النقاش حول ذلك الأمر في كبريات الصحف الألمانية اليومية والأسبوعية ، والذى استمر لفترة سنتين ، و العديد من السياسيين الألمان الرائدين ، بما في ذلك فيليب جينينجر» من الاتحاد الاجتماعي المسيحيCSU ، أخذوا هذا الأمر مؤشرا على استرجاع وبث حنينهم الخاص لتلك الفترة من النازية[١].

(٦)ثورلوو ، «الوصي على « اللهب المقدس »، ص ٢٤١-٥٤. ويبين طريقة بديلة لتفسير تقارير الشرطة بواسطة «دان ريتون» ، «والشرطة والفاشية / صراع الشوارع ضد الفاشية ١٩٤٥-١٩٥١ »، سرطان البحر ٣٥ (١٩٩٨) ، ص. ١٢-١٩

ومنذ عام ١٩٨٩ ، والأحزاب الفاشية تتمتع بفترة من النمو الكبير. هذه الأحزاب الآن تضم الآلاف من الأعضاء ، وهم ينشطون في بريطانيا وأوروبا وجميع أنحاء العالم ، والذين سيكونوا سعداءً لإحياء الفاشية مرة اخرى كحركة سياسية. وهناك العديد من المؤرخين الذين يمزجون بين الطابع الإيجابي لكل من الخيال والمثالية الفاشية ، يتلاعبون بالأحزاب الفاشية القائمة ويؤثرون عليها ، وهى تمثل هؤلاء من حليقي الرؤوس ويطلق عليهم« روستوكRostock » والذين لا تعرف هل هم بذلك يعبرون عن حزنهم بسبب« رسالة أرنست نولت» ، أم هم سعداء؟

هل التحالف الوطني الإيطالي يخاف من إعجاب الأساتذة الليبراليين ب «موسوليني» أم هم سعداء بدعمهم الفعال؟ ففي الوقت الذى كانت فيه الأحزاب الفاشية آخذة في الارتفاع ، عندما حاز « جان ماري لوبان» ١٥ في المائة من الأصوات في فرنسا ، و حاز «يورغ هايدرJorg Haider » على ٢٧ في المائة من الأصوات في النمسا ، فإنه من المؤكد أن كلاهما « سخيف وغير مسؤول» أيضا لمحاولتهما إظهار مثل هذه النوعية من الفاشية في ضوء إيجابي زائف.

والغرض من هذا الكتاب هو تقديم نظرية مختلفة اختلافا جذريا وحاسما للفاشية. و حجتي هو أنه من الخطأ أن نرى الفاشية باعتبارها مجرد مجموعة من الأفكار التى يمكن ملاحظتها من خلال المناقشات بين المثقفين، فهذه ليست الطريقة المثلى للتعرف على الفاشية سواء في عام ١٩٣٠ أو فى أيامنا هذه. و بدلا من ذلك ، فإن أفضل طريقة لرؤية الفاشية على أنها شكل معين من الحركة الجماهيرية ، التى تحوز مجموعة أساسية من الأفكار ، و التفاعل الذى يحدث بين الأيديولوجية (الفكر) والحركة. كما أنه لا ينبغي أن يكون مفهومنا عن الفاشية في المقام الأول مبنيا على أنها مجرد (فكر) ، ولكن يجب نبنى مفهومنا بوصفها شكل محدد من

أشكال «الحركة الجماهيرية الرجعية» ، و هذا ليس بالتفسير الجديد ، بل هو فكر موجود حتى في الأحزاب الفاشية عند بدايات نموها فى بادئ الأمر. ولقد كان ذلك مثيرا للجدل في عام ١٩٢٠ و ١٩٣٠ من جانب الاشتراكيين والنقابيين والمعادين للفاشية ، وكثير منهم كان من الماركسيين. وبناء على ذلك ، فإن أحد أهداف هذا الكتاب هو استكشاف «تقاليد كتابات الماركسيين» عن الفاشية. ومجموعه الكتاب الذين سوف نستعرضهم هنا هم من المعارضين الأوائل لكل من موسوليني وهتلر ، والذين بنوا تقليدا للتحليل يعتمد على رفضهم الجريء للمواقف الفاشية في تناقض مباشر بلهجتهم الاعتذارية من خلال دراساتهم الأكاديمية عن الفاشية.

ورغم أن هذه الكتاب هو استكشاف للنظرية الماركسية عن الفاشية ، فمن الملاحظ أنه لم تكن هناك نظرية الماركسية «واحدة فقط»، ولكن «ثلاثة نظريات» على الأقل. واتجهت الأولى ، وهى « النظرية اليسارية للفاشية» ، والتى تقوم بشرح الفاشية من حيث «شروط نموها» . ومن هذا المنظور ، فإن كل ما يهمها هو «الغرض من الفاشية» و«وظيفة الفاشية» ، باعتبار الفاشية شكلا من أشكال الثورة المضادة التي تعمل لمصلحة رأس المال.

وقد قدمت هذا التفسير بشكل يوضح مدى أهميته، وكانت النتيجة قلة الاهتمام باتباع ذلك التفسير ، والذى حاولت فيه معرفة ماهى مميزات تلك الثورة المضادة التى جاءت منها الفاشية. ولذلك كان وصف الأحزاب الشيوعية الإيطالية والألمانية في عام ١٩٢٠ وبداية عام ١٩٣٠ للفاشية على أنها « شكل واحد من الأشكال الكثيرة للثورات المضادة» . وبالتالي فشلوا في التعامل معها بجدية باعتبارها تهديدا.

وقد اتخذت النظرية الثانية ، أو «النظرية اليمينية للفاشية» ، نهجا معاكسا تماما ، متجاهلة نشأة ووظيفة الفاشية ، وبدلا من ذلك ركزت على دراسة أيديولوجية هذه الفاشية ، والطابع الراديكالي لحركتها.

وقد تعامل الماركسيون الذين يعتقدون فى هذا التفسير مع الفاشية ، على أنها شيء راديكالى وغريب وأنها تمثل تهديدا للرأسمالية . وبهذه الطريقة ، وصفت الأحزاب الاشتراكية الألمانية والايطالية في عام ١٩٢٠ و ١٩٣٠ ، وكذلك الأحزاب الشيوعية بعد عام ١٩٣٤ ، كلهم وصفوا الرأسمالية نفسها بأنها حصن حصين ضد الفاشية ، ولكنهم وقف عاجزين و غير قادرين على العمل عندما تحالف أعضاء الطبقة الحاكمة مع الفاشية.

و يستكشف هذا الكتاب أيضا «النظرية الجدلية الثالثة للفاشية» ، التي وضعت من قبل الكثير من الماركسيين ، و أشهرهم « ليون تروتسكي» . و هذه النظرية تعامل الفاشية على أنها «أيديولوجية رجعية» ، وكذلك «كحركة جماهيرية» على حد سواء. ولذلك ، فان هذا الكتاب يجادل بأن هذه النظرية الثالثة وصلت إلى مرحلة أكثر دقة ، فى تقييمها للفاشية ، و كذلك توصلت إلى كيفية محاربته تلك الفاشية.

و في كتابتى عن النظرية الماركسية للفاشية ، فقد أتيح لي تقديم عدد من الأفكار لبعض المؤلفين ، وغالبا هى أفكار مختصرة ، ولكن مع تعليقات هامة عليها. ورغبتي هي أن يرى القراء كيف أن التقاليد الماركسية نفسها قد تطورت ، وذلك لحاجتها لربط نفسها مع الظروف المتغيرة. وآمل أيضا من غير الماركسيين أن يتفهموا الجدل الأساسي في قلب هذا الكتاب ، الذي ينبغي أن يكون موجها نحو لفهم التاريخي للفاشية ، وذلك من خلال دراسة العلاقة بين «أفكارها المعلنة» وبين ممارستها الفعلية ، بمعنى النظر إلى للفاشية «كقول وكفعل» على حد سواء.

والفصل الأول من هذا الكتاب المعنون باسم «الفاشية اليوم» ، له افتتاحية تتناول تحليل للقوة الفعلية للحركات لفاشية المعاصرة. وفي حين أنه ليس صحيحا أن أي طرف من هذه الأطراف الفاشية وبأي شكل من الأشكال كان قريبا من الاستيلاء على السلطة ، إلا انه صحيحا أن هناك الآن أحزابا كبيرة للفاشية في كثير من البلدان ، وهى متأصلة الجذور كذلك. ويبحث هذا الفصل في تاريخ ، وممارسات هذه الحركات الفاشية ، وسنحاول أن نوضح فيه الفاشية على حقيقتها ، لأن تلك هى حقيقتها بالفعل.

أما الفصل الثاني ، بعنوان «سجن الأفكار» ، فهو يدرس النظريات الليبرالية التي تسيطر على الدراسة الأكاديمية للفاشية. والتى تدعى أن النظريات المستخلصة من الدراسات الفاشية ، تقوم بوصف افاشية على أنها مجرد مشكلة تاريخية ، بينما في الواقع أن الفاشية لا تزال تشكل تهديدا محتملا حتى هذا اليوم. وهذا الفصل يشير أيضا إلى أن هذه النظريات لا توفر الفهم النقدي بما فيه الكفاية للفاشية ، لأنها دراسة فكر فقط مع إهمال لدراسة ممارسات الفاشية التى قامت بها ، وبالتالي فإنها لا تفسر حقيقة الفاشية فعلا.

أما الفصل الثالث ،بعنوان « الفاشية الكلاسيكية »، والذى يعطي تاريخا موجزا عن الفاشية كحركة وكنظام ، مشددا على المحتوى الرجعي للسلوكيات الفعلية للفاشية.

أما الفصل الربع ، بعنوان «طريقة بديلة» ، والذى يتدخل بطريقة مختلفة لتفسير الفاشية ، وذلك على أساس الفهم التاريخي والاجتماعي لممارسات الفاشية ، والتي يمكن بعد ذلك أن نفهم من خلالها كيف ساهمت تلك الجوانب التاريخية والاجتماعية فى صياغة الفكر الفاشى ، وهذا يعنى فهم الفاشية من خلال منهج «المادية» والمنهج

« التاريخي» وهو منهج مستمد من التقاليد الماركسية الكلاسيكية. ثم تأتى الفصول الثلاثة التى تليها لتطوير هذه النظرية من خلال تاريخ استخدامها.

والفصل الخامس بعنوان « الماركسيون ضد موسوليني و هتلر » ، و يتناول تاريخ النظريات الماركسية حتى عام ١٩٣٠ .

أما الفصل السادس ،حيث يقوم كل من « ثالهمير» Thalheimer، وسيلون Silone ، و غرامشي ، وتروتسكي ، بدراسة نظريات جديدة والتى تولدت بسبب الحاجة الى مقاومة هتلر قبل عام ١٩٣٣ .

ويليه الفصل السابع ، بعنوان «ما بعد ١٩٣٣ » ، وهو يدرس النظريات التى وضعت منذ ذلك الحين وحتى يومنا هذا.

أما الفصل الثامن ،وهو بعنوان «الماركسيين والهولوكوست» ، فهو يبحث في المناهج المختلفة المستخدمة في ذلك الوقت لفهم المحرقة أو «الهولوكوست»، ويناقش هذا الكتاب أيضا استجابة الماركسيون الأخيرة إلى لأفضل الكتب مبيعا للكاتب «دانيال جولدهاجن Goldhagen ، بعنوان «الجلادون ورغبة هتلر». من خلال كل من هذه الفصول التاريخية للكتاب ، فإن الحجة التي طرحتها هو أنه ينبغي النظر إلى الفاشية بوصفها ممارسة علم من الناحية النظرية ، والتي يوجد بها اتصال وثيق بين الفكر والسلوك ولكن يوجد أيضا بها بعض التوترات. والاستنتاج فى النهاية يلخص هذه النظرية، حيث يقوم بالتأكيد على التناقضات داخل الفاشية ، ومن ثم يقدم تفسيرا للكيفية التي يمكن أن يتم هزيمة الفاشية بها ، وكيف يمكن التغلب عليها مرة أخرى.

الفاشية
بين النظرية والتطبيق

1

الفاشية اليوم
Fascism today

ويبـدو حتـى أواخـر ١٩٧٠ ، أن الفاشـية كانـت جثـة هامـدة . فالفاشـيون في الأعوام ١٩٥٠ ، ١٩٦٠و ١٩٧٠ ، كانوا متمثلين فى مجموعه من الأحزاب الفاشية الصغيرة التى تشكلت ، و حققت شهرة وجيزة وانهارت بعد ذلـك ، ولكـن لم يكـن هناك منظمات فاشية كبيرة أو دائمة ، كما أنها لم تكـن مستقرة . أمـا في فرنسـا بما في ذلك الغرب والنظام الجديد ، فقـد تـم تهميش الفاشـية. وكانـت الأحـزاب القائمـة وقتها ، ، تفتقـر لعـدم وجـود الرمـوز القياديـة الكبـيرة لتسـاعدهم مـن الخـروج مـن البرية. وفاز مرشحين الجبهة الوطنية (FN) في عام ١٩٧٩ بالانتخابات الأوروبيـة بنسبة ٣, ٠ في المائة فقـط مـن الأصـوات. وفي وقـت متـأخر من عـام ١٩٨١ ، كـان جان ماري لوبان غير قادر عـلى جمـع ٥٠٠ توقيعـا كـان فى حاجـة لهـا للوصـول الى الرئاسة. وفي الأماكن الأخـرى في أوروبـا ، كانـت القصـة مشـابهه ، ففـي بلجيكـا ، كان حزب فلامس بلوكVlams Blok عالقا حيث حاز نحو ١ في المائة فقـط مـن الأصـوات ، بينـما في إيطاليـا ، تأرجحـت القـوة الانتخابيـة «للحركـة الاجتماعيـة الإيطالية [MSI] لأرقام تعد على أصابع اليد الواحدة ، وليس أكثر مـن حفنـة مـن النواب في البرلمان» . وباعتراف الجميع ، كان هناك اثنان مـن الأنظمـة العسـكرية في أوروبا واسبانيا والبرتغال والتـي تغطـي فـترة العصر الأول مـن الفاشـية. عـلى حـد سواء ، ومع ذلك ، كانت يحكمها الطغاة الطاعنين فى السـن فى وضـع يشـكل أزمـة. وقد وصف أوزوالد موسلي أشـهر المعـروفين بالفاشـية في بريطانيـا ، ، في مجلـة «نيـو ستيتسمان» ، بوصفه «الإنكليزي الوحيد اليوم الذى يفوق الوصف».

في أواخر ١٩٧٠ و بداية ١٩٨٠، بدأ عـزل الفاشـية يصـل إلى نهايتـه . وجـاءت أول إشـارة إلى أن الوضـع قـد تغـير في عـام ١٩٧٣ ، وذلـك مـع انقـلاب الجنـرال بينوشيه في شيلي. و جـاء أكـبر دعـم قـدم لبينوشـيه مـن داخـل الجـيش ، ولا يمكـن

وصف نظام بينوشيه بالفاشية تماما ، لأنه ظهر من خلال بنية الدولة القائمة حينها ، ولكن هناك عناصر فاشية متورطة فى الأمر ، وكان انتصار الإنقلاب الذى قام به «بينوشيه» يمثل دعمًا واضحًا لليمين المتطرف ، وذلك على الصعيد الدولي.

وأعقب نجاح بينوشيه نمو للجبهة الوطنية (NF) في بريطانيا. وفي عام ١٩٧٢ ، تم طرد الآسيويين الأوغنديين من قبل الرئيس «عيدي أمين» ، واستغلت الجبهة الوطنية هذه القضية. و أعقب ذلك تدفق المحافظين من اليمين المعارض في الجبهة الوطنية وبلغت عضويتها آنذك ذروتها لتصل إلى ١٤٠٠٠ عضو في عام ١٩٧٣. واستطاع الحزب اكتساب ثقة المرشحين في ٥٤ دائرة انتخابية في الانتخابات العامة في شباط / فبراير ١٩٧٤. و بعد ثلاث سنوات ، فازت «الجبهة الوطنية» ب ١١٩٠٠٠ صوتا في الانتخابات الكبرى للمجلس بلندن وهو رقم يقارب الربع مليون شخص تقريبا على الصعيد الوطني. ،وبدا لوهلة أن الجبهة الوطنية (NF) تحقق انفراجة وطنية ، ولكن تحت ضغط المعارضة الشعبية الفعالة ، والتى كانت تتألف من منظمات عديدة منها منظمة « الصخرة لمناهضة العنصرية »ورابطة مكافحة النازية (ANL) ، بدأ تقديم الدعم للجبهة الوطنية يضعف. وبحلول منتصف عام ١٩٨٠ ، أصبحت منظمة الجبهة الوطنية في حالة من الانهيار التام.

وجاءت نقطة تحول حاسمة مع الانتخابات الأوروبية في عام ١٩٨٤. فقد استفادت الجبهة الوطنية الفرنسية من التغطية الإعلامية المواتية ، التي أعقبت تحالفها الناجح مع اليمين المحافظ في الانتحابات المحلية في بلدة دريوكس الفرنسية (Dreux)

وكان جان ماري لوبن بالفعل شخصية بارزة على الصعيد الوطني ، ولكن النجاح الغير مسبوق للجبهة الوطنية قد جاء بمثابة صدمة. وفاز الحزب بنسبة ١١

في المائة من الاصوات مع ١٠ من مرشحيه المنتخبين حسب الأصول كنواب اليورو. وأصبحت الجبهة الوطنية محترمة وانتقلت الى المصاف السياسية الرئيسية. وذلك وفقا لما ذكره «بول هاينسوورث» (يقول) : جلب نجاح اليورو المزيد من التمويلات لأنصار الجبهة الوطنية، مما مكن الحركة من تنظيم وإعداد نفسها على أساس وطني شامل. وبحلول عام ١٩٨٥، كانت الجبهة الوطنية قد أنشأت هياكل لها في جميع أنحاء المناطق الفرنسية، والإدارات والمحليات مع ٣٠ أو يزيد من المكاتب المختلفة و الدائمة، و كذلك تجديدها لقنوات التثقيف السياسي، وحركة الشباب النشط التى تدعى (FNJ) مع العديد من الأنشطة الاجتماعية والمهنية والجماعات السياسية، والدعاية وأقسام الصحافة وهلم جرا.. .وبالنسبة للعضوية، أيضا فقد ازدادت وذلك حسب تصريح المتحدث باسم الحزب ميشال كولينتو » والذى يدعي أن وجود ٦٠،٠٠٠ من الأعضاء في عام ١٩٨٥ يمثل رقم أكثر واقعية، وقفز الرقم من بضع مئات في عام ١٩٨٢ إلى حوالي ٣٠،٠٠٠ مع تواجد نواة نشطة أيضا تتألف من حوالي من ٥٠٠٠ إلى ٦٠٠٠ عضو.

ولقد مهد انتصار لوبان السبيل لمزيد من النمو. و بعد عام ١٩٨٤، حاولت الأحزاب الفاشية في جميع أنحاء أوروبا محاكاة الجبهة الوطنية، ونجح الكثير منها فى ذلك. وفى أوائل عام ١٩٩٠، تم تعميم التجربة الفرنسية. وكان سقوط جدار برلين وانهيار الشيوعية وما صاحبه من حالات للانكماش الاقتصادي الدولي قد ساعد على تهيئة الظروف المواتية لصعود اليمين المتطرف.

وبناء عليه، وحدت الأحزاب الفاشية نجاحاتها في مختلف أنحاء أوروبا. وخلال الانتخابات الأوروبية الألمانية لعام ١٩٨٩، وفاز الحزب الجمهورى الألمانى بـ ٢ مليون صوت، وهو إنجاز تردد صداه بعد عامين متمثلا حصول

حزب الحرية النمساوي بقيادة «يورغ هايدر» على ٢٣ في المائة من الاصوات في الانتخابات المحلية في فيينا.

و في روسيا، في عام ١٩٩٣، فاز جيرينوفسكي والأحرار الديمقراطيون بـ ٢٤ في المائة من الاصوات. وفي إيطاليا، فتح انهيار الأحزاب السياسية السائدة فجوة على الأحزاب اليمينية. ورشح «جيانفرانكو فيني» نفسه لرئاسة بلدية روما في عام ١٩٩٣ وفاز مع نسبة ٤٧ في المائة في جولة الإعادة. و بعد سنة واحدة، حققت «الحركة الاجتماعية الإيطالية» MSI، والرابطات الشمالية بإيطاليا بقيادة «سيلفيو برلسكوني» (فورزا إيطاليا المتحدة Forza Italia united) الفوز في الانتخابات العامة.

وحاز «حزب فينيFini's party» خمسة مناصب وزارية وأصبح أول حزب فاشي بالتحديد ينضم الى الائتلاف الحاكم من بلد أوروبي كبير منذ عام ١٩٤٥. وكما يقول «مارتن لي»: إنه كان لنجاح «فيني» أهمية تاريخية حيث يقول: على الرغم من أن حكومة برلسكوني لم تدم طويلا، فقد كان لمشاركة «الحركة الاجتماعية الإيطالية» MSI تأثير كبير، ليس فقط بالنسبة لإيطاليا ولكن لجميع أوروبا. وكسرت بذلك التابوه أو المحرمات المعادية للفاشية منذ أمد بعيد، وأنشأت سابقة من السياسيين المحافظين، الذين كانوا قد تجنبوا سابقا تحالفات مع اليمين المتطرف. وبذلك قامت الحركة الاجتماعية الإيطالية عبور عتبة بالغة الأهمية السياسية، الأمر الذي جعل من التحالفات التي تنظم مع الفاشيين الجدد والمتنكرة في زي الشعوبيين من جناح اليمين أكثر قبولا وأكثر احتمالا في المستقبل.

وردا على نجاح هذه الأحزاب الفاشية انتقلت القوى السياسية الرئيسية إلى اليمين. وكانت هناك مذابح عنصرية في ألمانيا في أيلول / سبتمبر في مدينة «هوير

سويردا Hoyerswerda في عام ١٩٩١ ، وكذلك في مدينة روستوك Rostock في آب / أغسطس ١٩٩٢. وقام هيلموت كول من حكومة يمين الوسط لحزب (الاتحاد الديمقراطي المسيحي) بالرضوخ لمطالب العنصريين ، حيث أنه بعد روستوك ، أمر «كول» جميع اللاجئين بالخروج من المدينة. و في ٢٦ أيار / مايو ١٩٩٣ قام البرلمان الألماني «البوندستاغ» بتقييد القوانين التقليدية للجوء في ألمانيا الليبرالية. وبعد ثلاثة أيام ، تمت عملية حرق عرقيه لأربعة من الأتراك حتى الموت ثلاثة منهم كانوا قد ولدوا في ألمانيا ، في مدينة سولينجين.

وبالمثل ، وفي فرنسا ، استجابت الحكومة لصعود الجبهة الوطنية NF عن طريق إلقاء اللوم على ضحايا العنصرية أنفسهم. وفي عام ١٩٩٤ ، سعت الجمعية الفرنسية لقانون الجنسية الفرنسية إلى تقييد الهجرة لأولئك المنحدرين من أصول عرقية فرنسية. وقام المسؤولون الفرنسيون بترحيل عشرات الآلاف من الأجانب. وكان السبب وراء ذلك تشديد الرقابة على الهجرة بشكل أيديولوجي وبراجماتي (فلسفة الواقعية) :ومن خلال تبني السياسأت العنصرية تلك ، سعت الأحزاب التقليدية إلى اصطياد المؤيدين من الجماعات الفاشية، ومع ذلك ، فقد حدثت عملية معاكسة لذلك . فلقد رأى الناخبون للجبهة الوطنية NF أن التغيير في موقف الأحزاب المحافظة كدليل على صحة مخاوفهم العنصرية. ولم تكن تلك القيود المفروضة على الهجرة إلا خطرا يهدد نجاح حزب الجبهة الوطنية في الانتخابات.

و الأحزاب الفاشية هي الآن جزء من الساحة السياسية التي أنشئت في كل بلد تقريبا من البلاد الأوروبية. وحتى بعد انهيار الائتلاف الذي يتزعمه برلسكوني «للحركة الاجتماعية الإيطالية MIS » ، والتي أعيدت تسميتها الآن بالتحالف الوطني ، فقد فاز بنسبة ١٥,٧ في المائة في الانتخابات التي جرت في حزيران /

يونيو ١٩٩٦. وحقق «حزب الحرية» ٦, ٢٧ في المائة من الأصوات في انتخابات الثاني / نوفمبر ١٩٩٦ في النمسا، في حين أن سجل الاتحاد الشعبي الألماني في أيار / مايو ١٩٩٨، أكثر من ١٣ في المائة من الأصوات في ولاية ساكسونيا، ليصبح بذلك أول حزب فاشي منذ عام ١٩٩٠ يشغل مقعد في برلمان الولاية الألمانية الشرقية. و حاليا، وفي فرنسا، تسيطر الجبهة الوطنية بقيادة « لوبان » على أربعة من المجالس البلدية وهي : فيترول، طولون، أورانج و ماريان. وتمكن الحزب من الحصول على ١٥ المائة من نصيب الأصوات، في الانتخابات الرئاسية في عام ١٩٩٥ و الانتخابات البرلمانية عام ١٩٩٧، وكرر هذا في عام ١٩٩٨ بنسبة ١٥ في المائة أيضا من الأصوات.

و حقيقة أن حزب «الجبهة الوطنية » قد سجل تلك الأصوات لنفسه في ثلاثة انتخابات متتالية يشير إلى أنه قد بدأ في ترسيخ قاعدته الانتخابية، حيث أن الدعم لحزب الجبهة الوطنية لم يأت من ناخبين محتجين على نقص الالتزام، ولكن جاء من ناخبين يعرفون مدى تفاني الجبهة الوطنية. وعلى بينة من الأيديولوجية الأساسية للحركة. والأكثر من ذلك، فقد انقسم نجاح الجبهة الوطنية وعلى نحو فعال إلى اثنين من الأحزاب المحافظة، اتحاد الجبهة الديموقراطيةUDF (يمين) وحزب التجمع من أجل الجمهورية (RPR)، وهم فصيلان معقدان، واحد أمنهم مستعد للعمل مع الجبهة الوطنية، والآخر ليس مستعدًا لذلك. وتخضع الآن خمس مناطق فرنسية من قبل ائتلاف من الديغوليين والفاشيين.

أما خارج أوروبا، فالفاشية أكثر ندرة. ففي الولايات المتحدة، هناك بيئة واسعة ومتنوعة من اليمينيين، بدءا من المحرفين للمحرقة ولوبي الحرية ومعهد البحوث التاريخية، ومن خلال العنصريين الذين يسمون أنفسهم« كو كلوكس

كلان» Ku Klux Klan ، والعنصريين البيولوجيين ، ونظريات المؤامرة التي تختص بالشخصيات المهيمنة داخل حركة الميليشيات والنازيين الأنقياء للأمم الآرية. و بالرغم من أن بعض الأفراد داخل هذا الوسط يعرفون أنفسهم كتابعين للتقاليد السياسية التي سبقت الفاشية ، إلا أن معتقداتهم تتسم بجوهر أساسي من الفاشية.

ويمكن ملاحظة حجم الحركة الفاشية فى الولايات المتحدة بشكل واضح في تداول جريدة «لوبي الحرية» ، والتي تبيع حوالي ١٥٠،٠٠٠ نسخة. وقد حاول العديد من الفاشيين الذين ترعرعوا على الأراضى الأمريكية باختراق الحزب الجمهوري. ويمكن ملاحظة نجاح هذه الحملة في ١٩٩١ والذى أدى بشخصية سابقة من الكو كلوكس كلان وهو « ديفيد ديوك» ليصبح حاكم ولاية لويزيانا ، وعلى الرغم من خلفيته النازية الموثقة جيدا ، وعنصريته المستمرة ، تم ترشيح ديوك كمرشح رسمي للحزب الجمهوري ، وحصل على ما يقرب من أغلبية الأصوات في المسابقة النهائية للانتخابات. واعتمد الفاشيون الأمريكيون الآخرون على اتباع منهج« التكتيكات الإرهابية » بأسلوب «المقاومة بلا قيادة« ، ومن أحد تلاميذهم « تيموثي ماكفي» ، وهو الذى أدين في عام ١٩٩٥ لتفجيرات أبريل فى مدينة أوكلاهوما .

وتلك الأمثلة من الولايات المتحدة كلها تشير لعملية هامة : أن مختلف المنظمات الفاشية تقوم ببناء طبقات دعم من ذوي الخبرة ، والكوادر المتأصلة الجذور في التقاليد الفاشية ،وتلك الكوادر نفسها قادرة على كسب وإيجاد أنصار جدد.

وفي ألمانيا ، وعلى الرغم من عدم وجود حزب فاشي واحد مهيمن ، إلا أن هناك العشرات من جماعات أصغر من الحركات الفاشية والتى تتلقى دعما كبيرا. وهناك

تقديرات لإدارة التحقيقات الجنائية الألمانية بوجود ٤٧،٠٠٠ من نشطاء اليمين المتطرف في ألمانيا في عام ١٩٩٧، وجميع الدلائل تشير إلى زيادة هذا الرقم في السنة التى تليها.

و في مناطق كبيرة من ألمانيا الشرقية، نجد أن العنصرية والأفكار القومية المتطرفة هي المهيمنة. ومن الصحيح القول: إنه لا يزال في ألمانيا ككل، عدم تطابق بين مستوى التنظيم الفاشي مع حجم الدعم الذى يصل إليه، وهذا المعنى، يدل على أن عدم وجود تنظيم لا يزال يمثل ضعفا. وعلاوة على ذلك، وأنا سوف أقول ذلك في الخاتمة، أن الأحزاب الفاشية الألمانية لا تزال ضعيفة نتيجة للحركة الجماهيرية ضد الفاشية الذي عكس في الواقع نمو اليمين المتطرف في عام ١٩٩٣-١٩٩٤. و في هذا المعنى، فهذا يمثل الجانب الإيجابي للصورة، والتي غالبا ما يتم تجاهلها. ومع ذلك، فإن الخطر يبقى من توحد الجماعات اليائسة من أنصار الفاشية، مما قد يؤدى إلى تنظيم فاشي كبير.

و في وقت كتابة هذا الكتاب، تظهر مختلف الأحزاب الفاشية الألمانية علامات على مزيد من الوحدة والثقة بنفسها. و بحلول عام ١٩٩٧ ستعمل المجموعات الفاشية، بما في ذلك حزب« داى ناشيونالن »،والحزب الوطنى الديموقراطى الألمانى (NPD) بالعمل مع أعضاء الأحزاب المحافظة الرئيسية، وحزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي CDU والاتحاد الاجتماعي المسيحي (CSU)، في معارضة ل «معرض متجول» والذى يستعرض 'جرائم الجيش الألماني» . ففي ميونيخ، تظاهر ٤٠٠٠ من لنازيين ضد هذا المعرض فى مارس ١٩٩٧. واحتج اثنا عشر ألفا في مدينة دريسدن في يناير ١٩٩٨، في حين تظاهر ٣٠٠٠ في لايبزيج يوم ١ مايو. وكانت مظاهرة ميونيخ أكبر حدث لفاشية في ألمانيا منذ سقوط نظام هتلر.

و في بريطانيا ، وفي أوائل عام ١٩٩٠ مثلت تلك الفترة نموا فاشيا كبيرا. ففي سبتمبر ١٩٩٣ انتخب «ديريك بيكون» مستشارا محليا للحزب الوطني البريطاني (BNP) في منطقة بشرق لندن تسمى « جزيرة الكلاب Isle of Dogs».

في الفترة التي تسبق الانتخابات لمجلس أيار / مايو ١٩٩٤ ،كانت توقعات ورقة الحزب الوطني البريطاني لبرنامجها كما يلى : إن الحزب يستعد الآن لتولي السيطرة على ما يصل الى اثنين من المجالس المحلية في شرق لندن. وهذا من شأنه أن يجعل الحزب الوطني البريطاني يتذوق طعم السلطة الحقيقية ، وسيمكنه من السيطرة على عدة ملايين من الجنيهات الإسترلينية المخصصة لميزانيات الإسكان . والأهم من هذا الفوز بالسيطرة على المجالس المحلية ، إعطاء المصداقية الانتخابية للحزب الوطنى . وأيا كان ما سيحدث في ٥ أيار / مايو ، فقد تم إعداد الحزب الوطني البريطاني للهيمنة على السياسة البريطانية في عام ١٩٩٠.

ولحسن الحظ ، فشل نمو الحزب الوطنى للترقى إلى مستوى التوقعات الخاصة به. فلقد كان إحياء حزب العمال كقوة انتخابية بين عامي ١٩٩٣ و ١٩٩٧ عاملا أدى إلى تقويض الحزب الوطني البريطاني ، ووضع المصاعب أمام تلك المنظمة الفاشية حتى لا تشكل كيانا بديلا قابلا للتطبيق. والأهم من ذلك ، أن مجموعة متنوعة من الجماعات كانت مصممة على معارضة الحزب الوطنى البريطانيBNP . فلقد مشى موظفي الخدمة المدنية في «تاور هاملتس» خارجين فى إضراب احتجاجا على انتخاب « بيكون » وكذلك أكثر من ألف شخص من مناهضى العنصرية قاموا بمنع الحزب الوطنى البريطانى من بيع جرائده في منطقة «بريك لين» . وتم إحياء الرابطة المناهضة للنازية ، في حين أن مسيرات كبيرة مناهضة للعنصرية استمرت في التدفق ، ومنها مسيرة لمجالس الاتحادات التجارية من خلال مسيرات فى شرق

لندن ، وكذلك ١٥٠،٠٠٠ فرد من حزب مناهضة النازية ANL عام ١٩٩٤ الذين مشوا فى كرنفال خلق مناخا أدى إلى وقف الحزب الوطني البريطاني. وبالتالى خسر «ديريك بيكون» مقعده فى مايو ١٩٩٤ ومنذ ذلك الحين والحزب الوطنى BNP يتجه نحو الأفول والانخفاض.

و اليوم ، يبدو أن الخطر الداهم أقل في بريطانيا. فهناك فاشيون وأحزاب الفاشية ، لكنهم أضعف من نظرائهم في فرنسا والنمسا ، أو حتى ألمانيا. ومع ذلك ، سيكون من الخطأ أن نفترض أن الفاشية البريطانية ستبقى إلى الأبد ابن العم المسكين للحركة الفاشية الأوروبية. و في الانتخابات العامة أيار / مايو ١٩٩٧ ، صوت ٣٠،٠٠٠ شخصا للأحزاب الفاشية. وفى «ديوسبري» ، و «ليدز » ، كان الحزب الوطني البريطاني لا يزال هو الأفضل. وبالرغم من أن الفاشية البريطانية لا تزال مهمشة ، إلا أن هناك مناطق كاملة فى البلاد تلقى الأفكار العنصرية قبولا لديها. وفى كل عام ، هناك ١٣٠،٠٠٠ من الحوادث والهجمات العنصرية فى بريطانيا . وبالتأكيد ، فالأفكار العنصرية ليست هي نفسها أفكار الفاشية ، ولكن حيثما وجدت جيوب مفتوحة للعنصرية ، فذلك يمكن الفاشية من أن تنمو مرة أخرى.

ولما كانت الأحزاب الفاشية قد أصبحت تحظى بالاحترام ، وتم السماح بالتفكير الفاشي بالدخول في مجالات النقاش الفكري المهذبة. ومع انهيار ما يسمى بالأنظمة الشيوعية في أوروبا الشرقية ، انجذب عدد من الكتاب والأكاديميين بعيدا عن الماركسية واليسار الليبرالية. وتحول بعضهم لما بعد الحداثة ، والبعض الآخر تحول لإحياء شكل من أشكال الحكم الاستبدادي المحافظ ، وتأثروا بكل من مارتن هايدغر ، الكسندر كوجيف ، بول دي مان ، روبرت ميشيل ، أوزوالد سبينجلر ، و كارل شميت . وتعد جريدة « بول بيكون تيلوز» مثالا جيدا لهذه

العملية الواسعة من النقاشات الفكرية

لقد تأسست تلك الجريدة في ربيع عام ١٩٦٨ كوسيلة لليسار، أو للماركسيين في كثير من الأحيان، للفلسفة النقدية. وبحلول أواخر ١٩٩٠، أصبحت تلك الجريدة تتسم بالعنصرية والشعوبية. وأشاد «بول بيكون» برابطة الشمال الإيطالية، بإفساح المجال أمام الفاشية الفرنسية متمثلة فى المفكر «ألان دي بونيست Alain de Benoist . وقد بررت جريدة » بيكون» موقفها من خلال الزعم أن ذلك بدعوى تثقيفية وليس بغرض الترويج للعنصرية البيولوجية: فكون أن الأفضلية هى للأوروبيين فى المقام الأول وليس للمهاجرين من أفريقيا أو الآسيويين، فإن ذلك لا يعد بالضرورة عنصرية. فهناك البعد الثقافي في التركيبة الاجتماعية للولايات المتحدة والرغبة فى الحفاظ على المجتمع الغربي فى إطاره « اليهودي المسيحي» والذى لا يعد بالضرورة بمثابة كراهية للأجانب.

و هذا التفضيل الثقافي «للأوروبى الأبيض» هو تعبير مهذب، أي ما يعادل الشعار الذى تتخذه الجبهة الوطنية فى فرنسا NP (فرنسا للفرنسيين) أو شعار الحزب القومي البريطاني (بريطانيا للبريطانيين). ووصف «روجر إيتويل» الاستعداد لقبول الفاشية المتنامية بأنه يستند إلى مجموعة خطيرة من المذاهب. وهو يقول فى ذلك: هناك دلائل متزايدة بأنه في غضون العشر سنوات إلى العشرين سنة القادمة، سيتم النظر إلى جوانب هامة من الفاشية في ضوء أكثر إيجابية. و في مطلع القرن العشرين، ستظهر مجموعة جديدة من الأفكار الفاشية والتى سوف تعمل على تحدي الأفكار السائدة من الليبرالية والاشتراكية. ولكن الفاشية لا تزال أيديولوجية لا نجرؤ على ذكر اسمها في أى شركة محترمة، ولكنها كمظلة مركزية... ويبدو أنها تعود إلى الظهور في مشهد العقلية الأوروبية.

فالفاشية ليست تهديدا فوريا. ولا يوجد بلد في أوروبا هو على وشك الذهاب الفاشية. لكن الفاشية مرة أخرى تعتبر جزءا من المشهد السياسي. وفي عام ١٩٦٠ ، لم تكن للفاشية علاقة بالجدل السياسي الدائر آنذاك. ولكن الفاشية أصبحت ذات صلة أكبر بالنقاشات السياسية بحلول عام ١٩٩٠ ، حيث لم تعد الفاشية مشكلة تاريخية بقدر ما أصبحت الآن جزءا من السياسة المعاصرة. وإذا كانت الأحزاب الفاشية قادرة على الحفاظ على الدعم المقدم لها ومن ثم البناء عليه ،وإذا لم تواجه فترة أخرى من الإختراق ، فستنعم بعصر آخر من النجاح مثل الذى كان فى أوائل عام ١٩٩٠ ، وعندها قد يكون هناك خطر حقيقي.

فصعود الفاشية في أوروبا ١٩٩٠ وبالمقارنة لظهور الفاشية في ١٩٣٠ ، كان به نفس العمليات ولكن كل ما فى الأمر أن السرعة أبطأ - في الوقت الحالي - .

إن المؤرخين الليراليين الذين يكتبون عن الفاشية يعلنون أن الفاشية مجرد هراء. ويقومون بذلك عن طريق توجيه السؤال اتالى ،(هل يمكنك وصف لوبان بأنه فاشي؟) فتكون الإجابة (بالتأكيد) ، ومؤيديه هم فقط من القوميين ، والذين يتحركون بدافع من عدم ارتياحهم من موضوع الهجرة؟

وأما الفكرة القائلة : هل الفاشية هي في ازدياد! والإجابة ستكون أيضا « بالتأكيد» ، وسؤال آخر حول ما إذا كانت أوروبا لن تشهد مرة أخرى أزمة ، على غرار عام ١٩٣٠؟ وهل سيكون من قبيل المبالغة أن تقارن أزمة الفاشية عام ١٩٣٠ بما يحدث فى يومنا هذا؟

وهناك جدل شائع حول ما إذا كانت الجبهه الوطنية الإيطالية FN أو أن التحالف الوطني الايطالية «AN» ليسا فاشيين، ومع ذلك ، نفترض جدلا أنهم يعتمدون على التصريحات العلنية لقادة معينين . ولنأخذ مثالا على الجبهة الوطنية ،

فما يقوله « لوبان » للأمة بخصوص موضوع « الهجرة » أكثر بكثير مما يقوله بشأن معاداة السامية أو العنصرية ، و كما يوحي «جاي بيرينبوم Guy Birenbaum » ، فإن الضغط من جهة حزب الجبهة الوطنية بشأن موضوع الهجرة هو قرار استراتيجي -- فالجبهة الوطنية تلعب ببطاقة الهجرة لأنها ترى أن ذلك هو أفضل وسيلة لكسب التأييد لها.

وتحت سطح الفكر الفاشي ، كانت هناك لعبة أولا تم التجهيز لها فى الأسفل ومن ثم يتم استعادتها الآن. فالجبهة الوطنية لا تقوم بالمحاكاة بشكل من الأشكال بمعنى : لا هى ببساطة تتبع الفاشية التى كانت في الماضي ، كما أنها لا تتشارك فى كل امواقف الأيديولوجية لهتلر وموسوليني. فهناك عناصر أيديولوجية ل « لوبان» توصف بأنها « فرنسية» ، وهذا ليس مستغربا ، فجميع القوميات تحتوي على ميزات محددة تبعا لجنسياتهم.

وبهذه الطريقة ، نجد أن الجبهة الوطنية الآن أكثر إهتماما بتراثها من حرب الجزائر أكثر من اهتمامها بالأحزاب الشقيقة لها في اسبانيا أو النمسا ، بل هى أيضا أكثر فى «حدتها الكاثوليكية» من الأحزاب التى تعادلها في أوروبا الشمالية.

إن الجبهة الوطنية لا تسعى لإقامة دولة المؤسسات ، كما أنها لا تسعى للتوسع الإقليمي. ويشير كل من «جان ايف كامو» و«رينيه مونزات » إلى أن منظمة (الجبهة الوطنية) لا تقبل معاداة السامية من الحزب النازي ، وكذلك ما قيل عن نقاء دم هتلر والتراب الوطنى . و في عام ١٩٨٠ ، كانت الجبهة الوطنية أكثر حداثة فى ليبراليتها من الأحزاب الفاشية الكلاسيكية ، وعلى الرغم من انخفاض أسهمها قليلا نتيجة لدعمها للسوق الحرة. إلا أنه ينبغي أن يتم وصف « الجبهة الوطنية » بالفاشية ، لأنها تتبع أهم جوانب الفاشية الكلاسيكية. فالجبهة الوطنية

توصف بأنها عنصرية وقومية وعسكرية النزعة. فهى تؤيد سياسات لإجبار المرأة للخروج من العمل والعودة إلى المنزل ، وقام المسلحين التابعين للجبهة الوطنية بالاعتداءات البدنية على عيادات الإجهض. و يصف «ريتشارد جولسان » جذور الجبهة الوطنية بقوله التالى: إن « لوبان » ليس ابنا لوالدين نازيين ، ولا يتحدث في مسيرات من الأعضاء السابقين في قوات الأمن الخاصة. لكنه ادعى انه من بين أصدقائه الرئيس السابق لحركة « ريكسيست» Rexist فى بلجيكا ، وهو « ليون ديجريل». ويردد أيضا و بشكل مستتر تصريحات بشأن معاداة السامية وتعليقات حول المحرقة التي تنضح بالتحريفية التاريخية من النوع الأكثر سوءا... وأخيرا ،فإن أولئك الذين شهدوا عن قرب التكتيكات الخاصة بالحملة الانتخابية لحزب الجبهة الوطنية والآثار التى ترتبت على وصولها إلى السلطة يمكنه الوصول لأوجه التشابه القوية التى كانت موازية مع صعود النازية.

إن أفضل دليل على الاستمرارية بين لفاشية الإيطالية والألمانية هو رغبة الجبهه الوطنية لبناء «حزب جماهيري» ،وذلك من أجل إسقاط الدولة. وأقول رأيي فى هذا ، بأن هذه الشعبوية الفاشية هي واحدة من أكثر العلامات المعبرة عن الاختلاف بين الأحزاب المحافظة والفاشية في التقليد السياسي.

ويمكن النظر إلى فاشية الجبهة الوطنية عندما قال لوبان لاتباعه سيتم جمع شمل قواتنا الوطنية بحيث يتم سماع صوت فرنسا مرة أخرى ، قوية وحرة. وكان الفكر الفاشي الذي قاد الجبهة الوطنية في أيار / مايو ١٩٩٠ ، يصر على أن تدنيس المقبرة اليهودية في «كاربنتر» كان كذبا ، وتم اختراعه من قبل الدولة. ومرة أخرى كانت أيديولوجية و فكر الفاشية واضحة للعيان في نيسان / أبريل ١٩٩٦ ، عندما ألقى «برونو جولنيك » محاضرة عامة للدفاع عن المتطوعين الفرنسيين المسمون

بإسم « قصر سام» وهى (حركة مناهضة للبلشفية) ، و كذلك الدفاع عن الفرنسيين الفاشيين الذين تطوعوا للقتال إلى جانب الألمان ضد روسيا في الفترة بين أعوام ١٩٣٩-١٩٤٥.

والجبهة الوطنية هى نسخة من النازية المعادية للسامية ، وهذا ما حدث عندما أشار« فرانسوا برينيه » إلى ضحايا المحرقة واصفا إياهم ب ٦ مليون من صغار احمالين « لبنك كبير فى إسرائيل» على حد وصفه.

وبدت معاداة السامية واضحة أيضا في وصف لوبان للمحرقة بأنها مجرد تفصيل في التاريخ ، في ادعائه بأن «الدولية اليهودية تعمل ضد المصلحة الوطنية الفرنسية وهجومه على أحد منافسيه قائلا له : بأنه« عضو فى البرلمان اليهودي ». وأعلنت واحدة من الملصقات الإعلانية الاكثر شعبية للجبهة الوطنية مامضمونه أن 'اثنين مليون مهاجر يساوي «اثنين مليون من العاطلين عن العمل».

واستخدم حزب العمال القومي الاشتراكي الألماني لهتلر (حزب النازي) نفس تلك الصيغة. والواقع أنه من الصعب قراءة ما يقوله لوبان عندما يتحدث في مؤتمر الجبهة الوطنية في «لو بورجيه» من دون ذكر تسميات صحفية مشابهة للكلمات التى كان يقولها هتلر في نورمبرغ في عام ١٩٣٠ وإليكم ما يحدث قبل أن يقوم لوبان بإلقاء خطابه تفصيلا : فبحلول المساء كل شيء يكون جاهزا لظهور الزعيم. ويتم إطفاء أنوار المدرج وترتفع آلاف الأيدي بشعلات النيران عاليا في الظلام (ملحوظة : لأن رمز الجبهة الوطنية هو عبارة عن اللهب) وتزيد الأغاني الوطنية الوضع التهابا .. ويرفع الأزواج من الشباب أطفالهن عاليا للحصول على لمحة من الرجل العظيم. و عادة ، فإن لوبان يقوم بعملية «الإحماء» لجمهوره وذلك عن طريق ذكر أسماء أولئك الذين وجهوا له «الإهانة» (أسماء يهودية فى الغالب) ، و الجمهور

يصدر أصواتا « هادرة» تعبيرا عن الكراهية بعد كل اسم يقوم « لوبان بذكره. ثم يتوقف ويذكر جمهوره بأن يسوع كان غاضبا عندما رأى التجار في المعبد ، وأنه عندما تعرض لاهانة أي (لوبان) ، من قبل الصحفيين أو شيء من هذا القبيل فيقول لوبان عن نفسه «و أنا ، مثل يسوع ، الذى عرف عاطفة الغضب». والنتيجة هو هتاف مبتهج لهذا الأسلوب البسيط : وبعد دقيقة واحدة ينبح الجمهور مثل كلب مسعور معبرين عن كراهيتهم للصحفيين اليهود ، وتتعلق الأنظار هناك في السماء ، مع الزعيم جنبا الى جنب مع يسوع المسيح.

وسيكون من الخطأ التركيز فقط على قيادة الجبهة الوطنية NP. فنادرا ما يتم أخذ القرار بشأن انتخاب شخصيات من الأحزاب السياسية عن طريق استخدام اللغة الرسمية لتصريحاتهم للعامة فقط ، بل يتم تحديد تلك الشخصيات في كثير من الأحيان بشك مسبق وذلك من خلال العمليات التي يتم فيها تحويل المؤيد السلبي إلى عضو مؤيد للحزب. ويصر « راي هيل» ، الذي كان عضوا بارزا في الجبهة الوطنية في بريطانيا ، على أن وجهت النظر هى حجر الأساس الحقيقي للجبهة الوطنية ، ولا تتم من خلال التصريحات من قادتها وحسب ، ولكن من خلال البيانات وأنشطة أعضائها.

وبالنظر إلى الصورة من أسفل إلى أعلى للأحزاب الفاشية يجعل من الواضح فهم أين يقفون حقا : 'فلجنة المؤسسين للجبهة الوطنية تشمل مدافعي فيشي ، وقدامى المحاربين وقوات من المخابرات و الكاثوليكيين من الأعضاء بجماعة إرهابية تدعى «التفوق الأبيض» white supremacist الذين حاولوا قتل الرئيس شارل ديغول. وفي خطب الجبهة الوطنية تجد هناك تجمعات للجبهة الوطنية من« بيتان» ، والمعادين للسامية وبائعى الكتب عن هتلر ، في حين أن وكالة الاقتراع «سوفريس»

وجدت في دراسة أجرتها عام ١٩٨٤ عن عضوية الجبهة الوطنية بأن ربع هؤلاء الأعضاء يسعون لانقلاب للوصول إلى السلطة.

وفي عام ١٩٩٠ ، عندما طلب من بعض الممثلين لحزب الجبهة الوطنية والذين كانوا يحضرون المؤتمر السنوي على آرائهم بخصوص بعض الموضوعات ، فكانت النتيجة أن ٧٩,٩ في المائة اتفق مع فكرة ان «القوة المالية يسيطر عليها اليهود» ، في حين أن ٦٠ في المائة يريد أن يتم « قمع المثلية الجنسية »(أي الشذوذ الجنسي).و فقط ١ في المائة اتفقوا فى أن «أفضل نظام سياسي هو الديمقراطية» ، مقارنة إلى ٩٦ في المائة الذين وافقوا على الاقتراح بأن 'أفضل نظام سياسي هو «التسلسل الهرمي الذي يديره الرؤساء».

و الفاشية كلمة لا تزال ترتبط بالمحرقة ومجازر الحرب العالمية الثانية. وهى تمثل مصطلحا لا يزال بغيضا ، و يعد تهرب مؤيدى الفاشية منها دليلا على ضعف الفاشية المستمر. فلو حدث أن توقف أنصار الفاشية عن إنكار أنهم فاشيون ، وعندما يذكرون أن المحرقة كانت إنجازا مجيدا بدلا من انكار ذلك صراحة ، سيكون هذا هو الوقت المناسب لأعداء الفاشية بالشعور بالقلق. و على الرغم من أن الجبهة الوطنية نفسها تدرك تماما أن كلمة «الفاشية» لا تزال تشكل إهانة ، وأنه ولكى ينجح أي شكل من أشكال الفاشية ، فيجب أن تجد تلك الفاشية لنفسها اسمًا آخر. وقد وصف «برونو جولنيش » ذلك بما أسماه «معركة المفردات». ويستدرك برونو قائلا : أن هذه المعركة السياسية هي معركة لغوية. وهذا هو السبب في ان الجبهة الوطنية تصف نفسها بعبارات مثل «لا يمينا ولا يسارا» ، بل «الطريق الثالث». والأحزاب الفاشية المعاصرة تريد تغيير اسم عقيدتها دون إفراغها من مضمونها. و لهذا السبب ، فإن المؤرخين الذين يصفون القوات الجديدة باسم

«اللوبانيين» (نسبة إلى « لوبان») أو باسم «الشعبوية الوطنية» ، يقومون بإضافة الحلوى للقضية لكنهم فى الواقع يقومون بمساعدة الفاشيين في مهمتهم.

فمن الخطورة أن نزعم أن الأحزاب الفاشية المعاصرة ليست في الواقع فاشية ، وكذلك قبول فكرة أن الليبرالية فى أوروبا ، أو في العالم تعمل بمثابة تأمين من الأزمات . فمنذ عام ١٩٩٧ ، وبخصوص اقتصادات النمور الآسيوية ، التى كان يشاد بها حتى وقت قريب بأنها مثالية ونموذج يحتذى به فى الرأسمالية الدولية ، منيت بهزيمة مطلقة. وفي يناير ١٩٩٨ ، قدرت البنوك اليابانية مجموع ديونها ب ٧٦ تريليون ين. ومن قبل ، آذار / مارس ١٩٩٨ فى الدولة الكورية الجنوبية ، يدين تكتل من كبريات الشركات ب ٢٠٠ مليار دولار مستحقة للبنوك. وقدرت ديون الاقتصاد الأندونيسي بأنه يوازى ١٢٠ مليار دولار على المكشوف ، وهذا الرقم يقابل الديون لكل من الفلبين وتايلاند وماليزيا مجتمعة.

وكانت نصف ديون كورية الجنوبية مستحقة السداد في غضون الأشهر الاثني عشر المقبلة ، ولكن بحلول حزيراز / يونيو ١٩٩٨ ، كان الاقتصاد الكوري الجنوبي كان في حالة من الركود لمدة ٣٦ شهرا. وكان الين الياباني قد انخفض في القيمة بنسبة ٢٠ في المائة منذ عام ١٩٩٤ بينما وصلت النسبة من جميع الوظائف في تايلاند المعرضة للخطر إلى ١٠ في المائة. وكاستجابة لهذه الأزمة المتنامية ، فقد حاولت النظم المختلفة استخدام تكتيكات مختلفة للفت الانتباه بعيدا عن فشلهم. وبعض هذه الحيل كانت مألوفة. ففي اندونيسيا ، حاولت المؤسسة السياسية إلقاء اللوم من جراء انهيار الاقتصاد على العملة المهاجرة الصينية لأندونيسيا ، بينما ، في ماليزيا ، أعلن « مهاتير محمد» ، رئيس اوزراء ، أنه تم خلق أزمة العملة تلك من قبل «مؤامرة يهودية» .

إن التركيز على عنصرية هذه الأنظمة، ينتقص من الأهمية الحقيقية للحالة. والنقطة الأهم من ذلك هو أن انهيار النمور الآسيوية هي علامة ضعف، حقيقي ودائم في الاقتصاد العالمي.

فالرأسمالية، كنظام، لا تزال عرضة للأزمات الاقتصادية، وإذا عادت تلك الأزمة، فإن ذلك يعنى عودة الفاشية أيضا.

إن أزمة النمور الآسيوية لم تكن فقط أزمة اقتصادية، ولكن مشكلة سياسية أيضا. ففي أيار / مايو ١٩٩٨، أثيرت احتجاجات طلابية في جاكرتا كحركة من أجل الديمقراطية. وانضم العمال لها، مع اضرابات في مصانع الأحذية ومصانع الأخشاب، والملابس والقرطاسية، و العمال في مصانع المطابخ وشركات الأدوية. وذلك لمدة ثلاثة أيام، وكانت المدينة غارقة في الاحتجاجات والسلب والنهب والهجمات على المباني.

وعلى الرغم من محاولة أنصار الرئيس الاندونيسي سوهارتو لتحويل الحركة باتجاه العنصرية ضد الصينيين، إلا أن غالبية المحتجين رفضوا هذه العنصرية، وركزوا فى هجومهم على الرموز المرئية للنظام. وقد خرج الملايين من هؤلاء المحتجين الى الشوارع، واضطر سوهارتو إلى الاستقالة. وكانت تلك الثورة الاندونيسية تمثل حركة ناجحة للديمقراطية، قام بها الطلاب والعمال والفقراء. وهذا يوضح أنه تحت وطأة الأزمة الاقتصادية، يمكن للمجتمعات أن تتحول إلى اتجاهات مختلفة .... وليس بالضرورة نحو الاستبداد والفاشية، ولكن ربما نحو مزيد من الديمقراطية كبديل لذلك.

وبالفعل، شهدت السنوات العشر الماضية، ليس فقط إحياء الفاشية، ولكن أيضا إحياء للحركات النقابية المتشددة، وبعث القوى المتطرفة اليسارية.

ففـي ايطاليـا ، جـاءت حكومـة برلسـكوني نتيجـة للتحـالف بـين المحـافظين والفاشيين ، عن طريق القيام بإضراب عام ضخم. وفي فرنسا ، قوض ٢ مليـون مـن عمال القطاع العـام حكـومتهم المحافظـة ، في ديسـمبر ١٩٩٥ وذلـك أدى إلى خلـق إمكانية للتطرف الآتى من أسفل المجتمع.

و في ألمانيا ، كانت هناك إضرابات جماهيرية ضد التهديد الذى تشكله البطالـة ، بينما في الولايـات المتحـدة ، قـام عـمال خدمـة الطـرود الأمـريكيين بـإضراب في عـام ١٩٩٧ من أجـل أن يـتم التعاقـد معهـم بعقـود دائمـة ، ووجهـوا لأصـحاب العمـل الأمريكيين أول هزيمة يذوقونها خلال خمسة عشرة أو عشرين عاما مضت .

إن هذا التشدد الجديد الذى طرأ على السـاحة مهـم ، ويشـير إلى أنـه سـيكون مـن الخطأ أن نرى أن النجاح المستمر للفاشية كما لو كان شيء لا مفر منـه. ولـيس عـودة الفاشـية فقـط ، ولكـن سـتكون هنـاك عـودة لقـوى أخـرى كـذلك. وتقـترح «روزا لوكسمبورغ» الشهيرة بأن المسابقة في المستقبل ستكون بـين الاشـتراكية و الهمجيـة ، لأنه من الواضح أن الاشتراكية لا تزال تمثل جزءا فاعلا من هذا الاختيار.

ومع ذلك ، يبقى صحيحا أن الفاشية ، التي كانت صغيرة ، والتى كان لها تقاليـد لا تحظى بشعبية ومعزولة تماما منـذ عشريـن عامـا ، وقـد ولـدت مـن جديـد. ، لأن الفاشية سمة متكررة للرأسمالية الحديثة. وتتغذى الفاشية على الإحسـاس بكـل مـن المرارة والاغتراب من قبل الجماهير العريضة ، وكلا (الرأسمالية والفاشـية) يتغـذى على جرعات منتظمة من البطالة والأزمات. و هذا اليأس هو وقودهـا ، الـذى يحفـز على نمو المزيد من الفاشية. فحياة الفاشية تتمثل فى العنصرية ، والتميز عـلى أسـاس الجنس والنخبة ، في حين أن الرأسمالية تعزز الأحكام المسبقة الخاصـة بهـا ، وتحـاول إرتداء ثوب المشاعر المشتركة بين المعتقدات ، والتي يبدو أنها تناسب تجارب النـاس

وخبراتهم ، في حين أنها بذلك تقصد أن تعيق هؤلاء الناس من تحدي النظام. والرأسمالية تولد الأساطير العنصرية والنخبوية ، والتي يستخدمها الفاشيين لتحقيق مصالحهم. و يفسر« مارك نيوكلس» استمرار وجود الفاشية عن طريق عقد مقارنة بين الرأسمالية من عام ١٩٣٠ مع الرأسمالية اليوم ، بينما يشير «كولن سباركس » أيضا إلى أن معتقدات الفاشيين يبدو أنها تروق لبعض الناس حيث يقول: إن الأفكار التي تطرحها العنصرية والفاشية تبدو أنها موجهة إلى الطبقة العاملة ، لتقديم حلول لهم بسبب تداعيات الأزمة الاقتصادية ، والمساكن السيئة والبطالة وانخفاض مستويات المعيشة. فالضغوط التي تؤدي بالناس نحو العنصرية والفاشية هى «الضغوط المادية الحقيقية» .ولتدمير الأفكار ، فلا بد لنا من إزالة قعدتها المادية أولا .

وإذا كانت الحجة القائلة بأن الفاشية هي سمة متكررة للرأسمالية حجة سليمة ، فيترتب على ذلك أن الفاشية ليست مجرد انحراف تاريخي ، ولكن تقاليد حية وخطرة التي من شأنها تكرار جرائم الماضي. وأولئك الذين يعارضون الفاشية فى حاجة إلى أن يكونوا واضحين حول التعرف على عدوهم وكيفية محاربته ، وعلى هذا الأساس ، ينبغي تناول أي نظرية للفاشية.



الفاشية
بين النظرية والتطبيق

2

سجن الأفكار
The prison of ideas

عند الكتابة عن أي فكر سياسي ، يتعين على المؤرخ أن يكون حاسما. وسيكون من الخطأ أن يتم التعامل مع لغة أى شخصية من الشخصيات السياسية في ظاهرها فقط. وينبغي القيام بمقارنة التصريحات الرسمية للقادة مقابل ممارساتهم الفعلية. ولا يكفي أن نفترض أن السياسي الذى يستخدم كلمات مثل «الحرية» أو «الديمقراطية» ، أن يكون من المفترض أن هذه الكلمات سوف يكون لها نفس الوقع عى مختلف الجماهير التى تستمع إليها.

فهناك حاجة ماسة لتحليل كل الأيديولوجيات ، وهذا ينطبق بشكل خاص على الفاشية ، وهو التقليد السياسي الذي ينص من بدايته على قتل الملايين. في الواقع ، كيف يمكن لمؤرخ ، لديه ضمير ،أن يقوم بدراسة نهج الفاشية مع التزام الحياد؟ وما معنى الموضوعية عند الكتابة عن النظام السياسي الفاشى الذي أدخل العالم في الحرب التي قتل فيها ما لا يقل عن ٤٠ مليون شخصا ؟ بل كيف يمكن لمؤرخ محايد الحديث عن نظام للسياسة التي تحولت أوروبا القارية بسببه الى مخيم لسجن كبير؟

لا يمكن للمرء أن يكون متوازنا عند الكتابة عن الفاشية ، فلا يوجد شيء إيجابي يمكن أن يقال عنها. فالفاشية غير مقبولة بتاتا ،سواءً كوسيلة من وسائل التعبئة السياسية ، وسلسلة أفكارها وأيديولوجياتها ، وكنظام للحكم. ومع ذلك ، فهناك دور لمؤرخي الفاشية ، في سعيهم لشرح هذه العقيدة ، وشرحهم هذا يعد من النقاط الإيجابية التي نعتقد أنها شروح تسعى إلى مساواة أكبر بين فئات المجتمع كما انها أكثر السبل ديمقراطية والتي يمكن من خلالها وضع النظم المجتمعية. وعند الكتابة عن الفاشية ، فيجب على المؤرخين أن يكتبوا ضدها ، مع تقديم شروح لوجهة نظر بديلة خاصة وعالمية. هذا هو المحك في أي نظرية للفاشية – فكيف نتوقع أن تأخذنا الفاشية نحو فهم شيء نحن نرفضه فى الأساس؟

فعندما يتعلق الأمر إلى وضع مثل هذه النظرية النقدية الفاشية ، يواجه المؤرخون مجموعة مذهلة من النماذج والتعاريف. فهناك العديد من التعريفات النفسية ، والتي تركز على ملامح الشخصية السلطوية أو الفاشية ومن هذه التعريفات؛ تعريفات (فيبرية) نسبة للمفكر« ماكس فيبر» ، والذى يصف الفاشية كأزمة برجوازية صغيرة ؛ النظريات «المثالية» ، والتى تقوم بدراسة الطابع الأسطوري والأيديولوجي للفاشية ، «النظريات الهيكلية» ، والتي تعتبر الفاشية كرد سياسي على فشل التنمية الاقتصادية. ويقول بعض المؤرخين أنه لا يوجد شيء اسمه الفاشية عموما ؛ والبعض الآخر يقبل أن هناك نمطًا عامًا من الفاشية ، ولكن يجب أن تستبعد الفاشية الألمانية من ذلك!

وهناك إحدى المدارس التاريخية تعرف الفاشية على أنها شكلا من أشكال الثقافة ، في حين تصف مدرسة أخرى بأنها مظهر من مظاهر السياسة الاستبدادية. ويستمر الجدل حول كل تلك النظريات حتى هذا اليوم.

وبالنظر إلى أن مثل هذا الخيار الواسع الموجود من النظريات ، يأس العديد من المؤرخين من محاولة فهم أو تعريف الفاشية ، مفضلين بدلا من ذلك التركيز على كتابة تاريخها. ويبدأ «بول هايز» تحليله للفاشية بالتشديد على أنه لم يصدر حتى الآن تعريف مرضي تماما عن الفاشية ، و يقول : إن الغرض من هذا العمل الذى يقوم به لا يعد محاولة لإيجاد مثل هذا التعريف. أما «ريتشارد ثورلوو» فهو يبسط المهمة بعد قيامه بتعريف الفاشية باعتبارها مجموعة من الأفراد أو الأحزاب التي تعلن ولاءها للعقيدة الفاشية والتى تطلق على نفسها هذا الاسم ! وهو تعريف موجز جدا ، وبالكاد يمثل نظرية نقدية أو ولا يقدم أى عون للمؤرخين من الناحية العملية . وبالنظر إلى ما قد ذهب إليه الفاشيون وخصوصا بعد عام ١٩٤٥ ، من

ْجل إخفاء معتقداتهم السياسية ، فيترتب على ذلك ببساطة بأنـه ومـن أجـل الكتابـة عن الفاشية ، يجب على المؤرخين أن يجدوا طريقـة تمكـنهم مـن التمييـز بـين الفـاشي من غير الفاشي.

توافق الآراء الجديد The new consensus

ذكر « روجـر غـريفين » مـؤخرا ، أن هنـاك 'توافقـا جديـدا ' في مجـال 'الدراسـات لفاشية» .وعلى حد قـول« غـريفين» :«أن المسـاهمين في الدراسـات الفاشـية في نهايـة لمطاف في وضع يمكنهم من التعامل مع الفاشية مثل أي أيديولوجية أخرى... فهم م يعودوا بحاجة للانغماس في طقوس الرثاء بسبب افتقارهم إلى التوافـق في آراءهـم ، و على الأقل القيام بوضع تعريف للفاشية».

وهـذا «التوافـق الجديـد فى الآراء » واضـح أيضـا في مقـال نشر مـؤخرا مـن قبـل لكاتب «روجر إيتويل».

يقول «روجر إيتويل» : إنه يجب أن ينظر في المقام الأول للفاشية على أنها سلسـلة من الأفكار : وأن أفضل تعريف للفاشية هو أنها تمثل فكرًا ، ويضيف إيتويل ، بأنـه « لا توجد أي وسيلة أخرى لتفسير الفاشية » ، و أنه لا يمكن أن ينظر إليها على أنهـا شكل من أشكال النظام ، لأنه «كان هنـاك نظامـان فقـط» ؛ وعـلاوة عـلى ذلـك ، لا يمكـن تعريـف الفاشـية بأنهـا نـوع مـن الحركـات السياسـية ؛ وذلـك لأن الحركـات لسياسية لها ملامح محددة مـن حيـث «العـرض والسياق» ، وهـذا هـو الـذي لفـت لانتباه بعيدا عـن الجـوهر الهـام للأفكـار الفاشـية. بحجـة أن الفاشـية هـي في المقـام لأول إيديولوجيـة ، ويضـع « إيتويـل التعريـف التـالى المكـون مـن جملـة واحـدة فى وصـف الفاشـية كـما يـلى :« هـى أيديولوجيـة تسـعى جاهـدة لإقامـة ولادة جديـدة تسمي نفسها طريقًا قوميًّا راديكاليًّا ثالثًا و شاملًا ، و هذا على الرغم من التأكيد على

أن الممارسات الفاشية تسير على نمط معين ، يتمثل فى ممارساتها وشخصيات قائديها ، وان لديها أكثر من برنامج مفصل والدخول في تشويه الطائفة المانوية من أعدائها (المانوية نسبة الى قائدها ويدعى مانى).

ويستمد «روجر إيتويل» أسس حجته ، و نموذجه هذا من الفاشية ، من أعمال ثلاثة مؤرخين هم : زئيف ستيرنهيل ، وستانلي باين و روجر غريفين ، ويدعى إيتوبل انه يقدم توليفة حقيقية لأفكارهؤلاء المؤرخين. ولذلك فمن المهم أن ننظر إلى تعريفات و أفكار هؤلاء المؤرخين. أما بالنسبة لزئيف ستيرنهيل فهو أكثر شخصية إثارة للجدل من هؤلاء المؤرحين الثلاثة. فهو يذكر في عدد من الكتب و المقالات ، بأن الفاشية ظهرت لأول مرة في فرنسا في ١٨٨٠ و ١٨٩٠ وأن الفاشية قد تولدت في عقول المثقفين والفنانين مثل درومونت Drumont ، وبيجوي ، و موراس ، و بيريس . وقد بدأت هذه الفاشية عند رفض الفكرة القائلة بأن«السبب» يمكن أن يستخدم لفهم توجهات المجتمع ، وجادل ستيرنهيل ، في أن تشكيل الجيل الجديد من المثقفين زاد من مناهضة العقلانية الفردية للمجتمع الليبرالي وبقوة. و أن هؤلاء المثقفين استوعبوا تلك الأفكار ثم قاموا بتوليفها لخلق أيديولوجية جديدة من الاشتراكية والقومية ،حيث وصف تلك الاشتراكية بأنها «اشتراكية بدون البروليتاريا » ، و التي أصبحت على شكل« الفاشية».ويصف ستيرنهيل تلك الأيديولوجية بأنها « التوليفة القومية العضوية والاشتراكية المناهضة للماركسية» ، و أنها «الإيديولوجية الثورية» على أساس رفضها لكل من الليبرالية ، والماركسية والديمقراطية في وقت واحد.

وستيرنهيل ، مثل ايتويل تماما ، فهو يعول بشكل كبير على الأصول الفكرية للفاشية ، و يقول : «إن الفاشية ، قبل أن تصبح قوة سياسية ، هى ظاهرة ثقافية».

إن أول الفاشيين كانوا من المفكرين والفنانين ، والاشتراكيين أيضا. وطوال كتابة ستيرنهيل ، نجد أنه يتبع طريقة على الدوام مستقاه من سيرته الذاتية الفكرية. وهذا مكنه من أن يشدد على العناصر اليمينية عند الحديث عن شخصيات من اليسار مثل «وبرودون» و«سوريل» ، والعكس من العناصر اليسارية في التفكير في الشخصيات اليمينية مثل درومونت Drumont وموسوليني و باريز Barrès. ونتيجة لذلك فالشيء الملاحظ والثابت من سرد ستيرنهيل لهذه المواضيع هو «إفتقاد المعنى» فى التمييز بين اليسار و ليمين. كما يقول : إن الفاشية ، جاءت من اليسار في حين يدعى ان الفاشية نفسها ضد اليسار. ومن الشائع وصف الفاشية بأنها ظاهرة يمينية ، ولكنه لا يوجد لها قواسم مشتركة لا مع المحافظين ولا مع الشيوعية. فالفاشية ليست يمينا ولا يسارا.

أما الكاتب «ستانلي باين» ، فهو مثل زئيف ستيرنهيل ، مؤرخ لفاشية أوروبا الغربية. ولكن ستيرنهيل يكتب عن الفاشية الفرنسية ، في حين يدرس باين الشكل الاسباني للحركة الفاشية. وهناك ما لا يقل عن اثنان من الكتب ل «باين »، لتقديم تعريف منهجي للفاشية بشكل عام.

إن «باين» يقوم بوصف الفاشية على أنها على شكل سلسلة من الأفكار التي تمتلك ثلاثة فروع رئيسية هي : فاشية الإنكار ، و فاشية الأهداف ، وفاشية الأسلوب أو النمط. أما «فاشية الإنكار فهو يعني بها السياسة الفاشية القياسية المضادة الشيوعية و المضادة لليبرالية. كما لاما بالنسبة لفاشية الإيديولوجية والأهداف ، فيضم «باين» لها إنشاء الدكتاتورية القومية ، وتعزيز الإمبراطورية وتبني مثاليات محددة ، والعقيدة الإرادية. ، ومن ناحية أخرى فالنمط الفاشي لباين يشمل تركيزه على بعض الصفات مثل العنف ، وتفضيل الرجل على المرأة والتقييم

الايجابي للشباب أكثر من الكبار فى السن . وبالتالى نجد أن « ستانلي باين» ، مثله مثل « زئيف ستيرنهيل » ، يشدد على النوعية الفكرية للفكر الفاشي. و يرى «باين » الفاشية بوصفها تتويجا منطقيا لإحدى «فرق التفكير والتنوير» ، ومزيج من الميتافيزيقية المثالية والمذهب الحيوي.

وعلى ما يبدو أن ذلك يعني أن الأفكار الفاشية تتمحور حول موضوع الرجل الجديد الذى يتميز بقوة إرادته : فرؤية المثقفين الفاشيين الذين يعتقدون أنهم قد وجدوا بغيتهم في شخصيات مثل « فاوست » أو « سوبرمان نيتشه». لذلك نرى أن تعريف باين يستحق أن يتم نقله بالكامل :

تعريف « ستانلي باين» للفاشية

Stanley Payne’s Definition of Fascism

أ) إنكارات الفاشية

- مناهضتها لليبرالية.
- مناهضتها للشيوعية.
- مناهضتها للمحافظة (على الرغم من الجماعات الفاشية على استعداد للتفاهم للقيام بتحالفات مؤقتة مع أي مجموعات من قطاع آخر ، و خاصة مع اليمين).

ب) الفكر (الأيديولوجية) والأهداف

- إنشاء دولة قومية سلطوية جديدة .
- تنظيم نوع جديد من التعدد الطبقى المنظم ، وهياكل اقتصادية وطنية متكاملة.
- هدف أن تكون إمبراطورية.
- التبني لعقيدة معينة من المثالية الإرادية.

ج) الأسلوب والتنظيم

• التركيز على البنية الجمالية... مشددة على الجوانب الرومانسية.

• الشروع في التعبئة الجماهيرية مع عسكرة العلاقات والأساليب السياسية وإستهداف تكوين تكتل من ميليشيا الحزب.

• التقييم الإيجابي واستخدام... العنف.

• التطرف فى التركيز على مبدها الذكورى.

• الإعلاء من شأن الشباب.

• نزعة معينة تجاه النظام السلطوي ، والكاريزمية والنمط الخاص بالشخصية القيادية.

أما «روجيه جريفين» فهو مثل « روجر إيتويل» ، ولكنه مخالف لكل من «زئيف ستيرنهيل» أو «باين ستانلي» ، فهو ليس مؤرخًا من أي نوع محدد من الفاشية. ويستند عمله الرئيسي على مفهوم الفاشية كظاهرة عامة. وتحقيقا لهذه الغاية ،كتب تفسير واحد رئيسي عن الفاشية وقام بتحرير مجموعات هامة من النصوص والنظريات عن الفاشية.

فـ «روجر جريفين » يقول : إن الفاشية يمكن فهمها أفضل على أنها على شكل سلسلة من المقترحات ، أو..... «الخرافات». لهذا السبب ، فهو يتبع باين في قائمته التى وضعها بشأن تلك الخصائص التي يمكن أن يقال : إنها تمثل الحد الأدنى للفاشية . وبالنسبة لـ «غريفين » فالفاشية معادية لليبرالية ، وتناهض المحافظة ، وكاريزمية ، ومضادة للعقلانية والاشتراكية ، وهى شمولية وعنصرية وانتقائية.

ويقترح جريفين أن الفاشية تظهر على السطح عندما تعتبر أمة نفسها في أزمة ،

وأنه يقر أيضا -- مثل باين -- أنه ليس لديها دعم من طبقة معينة. ومع ذلك ، يتجاوز غريفين ، ستانلي باين ، بحجة أنه يوجد خيط واحد ووحيد هو الذي يربط هذه «الأسطورة » ، وهذا الخيط هو القومية. ويرى روجر غريفين أنه يمكن فهم الفاشية بطريقة أفضل باعتبارها شكلا من أشكال القومية ، وهي شكل من التطرف القومي الشعبوي. و هذا التعريف لوصف الفاشية كقومية متطرفة ، هو من العبارات التى ذكرها غريفين بشكل متكرر فى كتاباته.

و كلمة palingenetic التى يستخدمها للدلالة على التطرف القومى هى كلمة فى الأساس تعني « ولادة جديدة» ، لذلك فالفاشية هى شكل من أشكال القومية التي تنص على أن الأمة فى أوج انحطاطها ، و تحتاج إلى ولادة جديدة من خلال الثورة القومية. إذن فالفاشية متطرفة أو ثورة قومية. ومثل تلك التفسيرات التي يطرحها مثل هؤلاء المؤرخين تختلف بشكل واضح. فجريفين يقول: إن الفاشية والنازية يختلفان عن بعضهما البعض ، وإن كانا في الوقت نفسه مرتبطتان ، من خلال الأسطورية الجوهرية المشتركة بينهما . ومع ذلك فـ «ستيرنهيل» ، يقول بكل بساطة: أن هتلر لم يكن فاشيا.

وعلى الرغم من هذه الاختلافات ، فهناك مساحات أكثر أهمية و التي يتفق فيها المؤرخون. فعلى سبيل المثال ، «إيتويل » ،و غريفين ، و باين و ستيرنهيل يلتزمون جميعا بالأسلوب المستمد من أسلوب ماكس فيبر ، والخاصة بإنشاء مفهوم خاص بهم من «الفاشية المثالية» وذلك من خلال تقديم قائمة من الأفكار تم اختيارها بعناية من الأصول الفاشية ، وبعد ذلك قاموا ببناء ما يسمى بـ «الحد الأدنى للفاشية» والذى ينص على أنه إذا كان فرد أو مجموعة معينة يتمسكون بعدد كبير من هذه الأفكار الفاشية ، فبالتالى يعد هذا الفرد أو الأفراد فاشيين أنفسهم.

وهـذا الأسـلوب يتـيح للمـؤرخين التمييـز بـين الفاشـية والقوميـات المحافظـة الأخـرى ، مثـل الأصـولية المسـيحية أو المحافظـة التقليديـة. وخـارج عمـل هـؤلاء المؤرخين الأربعة ، فمن الممكن بناء تعريف موحد للفاشية. العنصر الأول من هـذا التعريف هو الاعتقاد بأن الفاشية هي شكل مـن أشـكال القوميـة. وهـذا مـا أعـرب عنه جريفين روجر بكل وضـوح في كتابـه ، والـذي يصـف الفاشـية بأنهـا « نمـوذج ثوري قومي النزعة» ، ولكن ستانلي باين وزئيف ستيرنهيل يعملان من منطلق أنه لا ينبغـي تعريـف الفاشـية بهـذه الطريقـة. ف«بـاين» يؤكـد تحـرك الفاشـية لخلـق دولـة استبدادية قومية جديدة ، في حين يصف ستيرنهيل الفاشية بأنهـا « شـكل جديـدٌ مـن أشكال القومية» . و يصور سـتيرنهيل الفاشـية كتوليفـة مـن القوميـة والاشـتراكية ، بحجة إنها كانت انحرافا من الاشتراكيين الغير ماركسيين نحو القومية وبالتـالى أدى ذلك لولادة الفاشية باعتبارها أيديولوجية مختلفة.

و العنصر الثاني مـن تعريـف المـؤرخين يمثـل الاعتقـاد بـأن الفكـر الفـاشي يمثـل خلاصة القومية والاشـتراكية ، و اسـتعار المؤرخـون تلـك الحجـة مـن فـالوا جـورج الفاشي الفرنسي ، الذي حافظ على القول بأن : الاشتراكية+ القومية = الفاشية.

و يقول زئيف سـتيرنهيل أن الفاشـية هـى شـكل مـن أشكال الاشـتراكية ؛ لأنهـا تنطوى على «العداء للاقتصاد الحر». ، ويصف ستيرنهيل في الواقع ، ما يسمى بحالة زواج القومية مـن الاشـتراكية وهـو الـزواج مـن شركـاء متسـاوين عـلى حـد قولـه ، وبالتالى تعرف الفاشية على أنها «متغير جديد مـن الاشـتراكية» ، أو عـلى حـد قولـه : « نوع معين من الاشتراكية» .ويحدد ستيرنهيل الغرض من عمله بأنه ترسيم «لعملية الانتقال من اليسار نحو الفاشية »، حتى أنه يصـور الفاشـية بأنهـا قـد تـم تجنيـدها في المقام الأول من اليسار.

والعنصر الثالث في تعريفات (غريفين ، ستيرنهيل ، باين) هو الادعاء بأن الفاشية هي في المقام الأول فكر أو«أيديولوجية» . فروجر جريفين يريان «الخرافات» هى السمة المميزة للفاشية ، في حين يقوم زئيف ستيرنهيل بوصف الفاشية باعتبارها مجموعة من الأفكار التي أنشأتها المثقفون. يسميها الفاشيون «تجميعا» ، وهى خليط من «الأيديولوجية الثورية» ، و«الثورة الثقافية» . ويدعى ستيرنهيل أنه يعمل من خلال اثنين من الافتراضات : الافتراض الأول هو أن الفاشية ، وقبل أن تصبح قوة سياسية ، فهى ظاهرة ثقافية... و الافتراض الثاني هو أن الدور الذى لعبته المفاهيم الفاشية داخل إطارها الخاص ، كان بالغ الأهمية في عمليه تطورها. ومن جهة أخرى ، يجادل ستيرنهيل بكل السبل بأن الممارسة الفاشية هى التى تحدد الفكر الفاشي ، ويقول : إن « الفاشية تقدم أفضل نموذج لها عندما يتواجد نظام سياسي يتميز بالممارسة الاستبدادية». . وأن الفاشية تعد «تطورا مباشرا للفكر والأيديولوجية». وبعبارة أخرى ، فقد جاء الفكر الفاشى أولا قبل أن يترجم تلك الأفكار إلى أفعال .

وحتى الآن ، فلقد قمت بوصف التعريفات الواضحة للفاشية التي يتقاسمها هؤلاء المؤرخون الأربعة. ومع ذلك ، فهناك أيضا توافق ضمنى في الآراء المتواجدة في أعمال هؤلاء الكتاب. وذلك من حيث تعريفهم للفاشية بطرق مشابهة ، ووصفها أيضا بطرق مشابهة ، لا لمجرد تنقيح فهمنا عن الفاشية ، بل أيضا شرح للكيفية التي تتصرف وتعمل بها. وهم في هذا لديهم أيضا عددا من المعتقدات المشتركة.

فالمعتقد الأول هو الشعور بأن عصر الفاشية الآن قد مضى وولى (على الرغم من أن «غريفين» هو الأكثر ترددا في هذه النقطة). ويقول ستانلي باين لنا عن الفاشية

بأنها: ظاهرة تاريخية محدودة في المقام الأول فى أوروبا خلال عصر «الحربين العالميتين». ومن الحجة القائلة بأن الفاشية قد انتهت الآن، يتبع نقطة أخرى مقبولة تماما لعرض الفاشية على أنها لا مستحبة، ولا خطيرة. وجميع المؤرخين الأربعة هم بالتالي يستكبرون بشكل عميق على الاعتراف بفكرة التاريخ المناهض للفاشية: بشكل عام، لأقصى اليسار، والتحليل النظري للفاشية يسعى في هدوء من قاعات المكتبات ليعزز إلى حد كبير رد الفعل الغريزي من ذوي الخبرة للخروج بالفاشية إلى لهيب المعركة. ، ويبدو أن جدلهم حول المعارك قد ولى زمانه، والآن يبقى من الممكن تفسير الفاشية «كقوة تاريخية».

و يرتبط بهذا اختيار لنموذج محدد: فإذا كان هناك نظام يمكن وصفه أنه فاشي فلا بد أن يكون « النظام الإيطالي». والواقع أن الأربعة مؤرخين يذهبون الى حد القول بأن الفاشية الألمانية ليست في الحقيقة فاشية على الإطلاق. وحسب «ستيرنهيل»، «فالفاشية لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تحدد بالنازية»، ولا يمكن للنازية أن تعامل على أنها مجرد متغير للفاشية، ويرفضون أن يتم التعامل معها على هذا النحو. ووفقا لستانلي باين، فإن ألمانيا تحت حكم هتلر كانت غير شيوعية وتعادل «الاشتراكية القومية» لروسيا ستالين: «أما إيطاليا موسوليني فلم تحمل أى شبه بأى واحدة من السابقتين». ونجد أن «غريفين» على استعداد لقبول أن ألمانيا تحت حكم هتلر كانت « فاشية». وذلك على الرغم من أنه يسير على فكرة أن إيطاليا موسوليني كان أكثر فاشية، وبالتالي لا يمكن توجيه اللوم بأن الفاشية مسئولة عن المحرقة:

بل هو مثال بشع ومأساوي للغاية المتمثل فى تفعيل «قانون مورفي» في العملية التاريخية التي مكنت شكلان من أشكال الفاشية الموجودتان آنذاك من الاستيلاء

على سلطة الدولة ، حيث كانت لإحداها إيديولوجية مدمرة لا مثيل لها.

وكان هناك عدد من الأساطير الخاصة بالإمبراطورية الرومانية والتي تذرعت بها إيطاليا الفاشية ، أو[رؤية موزلي] التي تذرعت بها بريطانيا العظمى... وتلك الحجج لا يمكنها تفسير الحجم الهائل من العدوان والاضطهاد العنصري من الجيش الذي ينطوي علي حلم الإمبراطورية النازية من تكوين إمبراطورية تخلو من العنصر اليهودي.

وبعد التفريق بين إيطاليا الفاشية و ألمانيا النازية ، يأكد المؤرخون على أن ما يرونه هو أساسا يمثل «الطبيعة الغير مدمرة للفاشية». و المؤرخون يرون أن الوقت قد حان لانقاذ ايطاليا الفاشية من وصمة العار ، في حين انه ليس من المناسب وصم ألمانيا بهذا العار فى الأساس . وفى هذه النقطة يقول باين ستانلي ، في جملة له: « إن القوى التي عززت تلك الكارثة التاريخية العالمية يصعب عرضها بموضوعية علمية» .

و يتشارك المؤرخون الأربعة أيضا فى وجهات النظر السياسية الليبرالية ، وأنها ستكون صدمة شديدة لهم حقا لو وجه إليهم الاتهام بأن تاريخهم لم يقدم ما يكفي لفهم أكبر للفاشية. أما بالنسبة لكونهم ليبراليون ، فهم يتذرعون بقولهم بأنه ينبغي أن ينظر للفاشية على أنها شكل من أشكال النظام السياسي الشمولي في الدولة والذى يسعى للحصول على السيطرة الكاملة على حياة مواطنيه. ، و يخبرنا ستيرنهيل بأن «الشمولية هى جوهر الفاشية».

ومن ثم تم شرح هذه الشمولية من حيث كونها تمثل«الطابع الجذري للفاشية» ، ويؤكد لنا المؤرخون أن الفاشية تمثل «حركة ثورية آرية أصيلة» ، والتي تمثل تحدي أساسي للرأسمالية ،والليبرالية الديمقراطية. ولذلك ، ربما كان ذلك سببا فى الحجة

القائلة أن الفاشية والماركسية لا يتعارضان فى الإيديولوجيات ، ولكنهما نفس الشيء. وكان من السخف الاعتقاد بأن الرأسمالية أخطر من أي شيء آخر فى العالم. ويوضح ستيرنهيل جزءا كبيرا من التماثل المزعوم بين الفاشية والشيوعية بقوله : « ومن المفيد الإصرار على «عظمة الدمار »الناجم عن التخلي الواعي عن حلم عقلاني من القرن الثامن عشر».

وهناك بلا شك توافق جديد فى الآراء ولكن يعتمد على قراءة انتقائية للأجيال السابقة من مؤرخي الفاشية. فعلى سبيل المثال « رينزو دي فيليس» ، الذى أوحى للمؤرخين الأربعة بفكرة أن التفسيرات السابقة للفاشية تركز كثيرا على استخدامها «للقومية» والعناصر القسرية والارهابية لتحقيق التوافق في الآراء ، وهو شرك تجنبته حتى الأصناف الفاشية الألمانية والإيطالية .

ومع ذلك ، فهم يرفضون تركيز دي فيليس على أن الطابع الغالب على الحركة الفاشية الإيطالية هى البرجوازية الصغيرة . ويقول « نولتي ارنست» أن المؤرخين قاموا باشتقاق اثنتين من الحجج المهمة : الأولى أن عهد الفاشية قد انتهى الآن ، وثانيا ، أنه ينبغي تفسير الفاشية في المقام الأول على أنها مجموعة من الأفكار. وما تم تجاهله من هؤلاء المؤرخين ، هو ما عاد وأكد عليه« نولتي» لمفهومه عن أهمية «معاداة الماركسية للفاشية» ، سواء من حيث «فاشية الفكر» و «فاشية العمل».

ويستعير المؤرخون من « إيه جى جريجور» ، تركيزهم على الطابع الشمولي للفاشية ، في حين رفضوا حجته بشكل كبير أنه يمكن تفسير الفاشية بوصفها 'الديكتاتورية التنموية »، وبعبارة أخرى ، «استجابة سياسية متكررة للتخلف الاقتصادي في ظل الرأسمالية».

وعندما نعيد النظر في الأفكار الأساسية في صلب نظريات المؤرخين المشتركة ،

يصبح من الواضح أن هناك نقاط ضعفٍ لحججهم ، سواء في الطريقة والاستنتاج. والعيب واضح من استخدام نهج «الحد الأدنى للفاشية» ، وهو أنه يصف أيديولوجية فاشية ثابتة : فهؤلاء الذين اعتنقوا الأفكار المحددة «هم فاشيون» ، وأولئك الذين لم يعتنقوا هذه الأفكار« ليسوا فاشيين». وهناك معنى لكيفية تطوير الأفكار ، واتصال تلك الأفكار بعضها البعض. ولطالما كانت الفاشية حيوية وفكر متناقض للغاية ، وبعض المواضيع توهج في أوقات معينة ، والبعض الآخر في وقت لاحق. وهكذا ، ومنذ وصف ستانلي باين الفاشية بأنها تتسم بنفس القدر من مكافحة الشيوعية وأيضا أنها «مضادة للتيار المحافظ» على حد سواء . فهو لا يستطيع تفسير سبب مساعدة الحزبين الفاشيين الذان وصلا لحد الاستيلاء على سلطة الدولة ، وفي جميع الأحوال فقد تم ذلك من خلال التحالف مع المحافظين من الطبقات الحاكمة. ولقد كان من الواضح أن الفاشية المعادية للتيار المحافظ تختلف عن الفاشية المضادة للشيوعية ، وأنه عندما حدث الصراع بين هذين المبدأين من الفاشية ، كانت هذه الأخيرة هي التي فازت.

ويستند هذا الأسلوب المستخدم في بناء الحد الأدنى للفاشية على « الوصف» بدلا من « التفسير» لذلك. وكما لاحظ جاك جوليار ، أن كتابات ستيرنهيل تمثل العودة إلى «التاريخ القديم» من الأفكار التي تكتفي «بالترتيب الداخلي ، للأصل والانتماء» ، ولكن لم تضع في الاعتبار ادماجها من النواحي الزمنية والبيئية. ويدافع باين عن هذا النهج قائلا : «إن تعين دراسة الفاشية كظاهرة عامة ، فمن الأولى أن يتم تحديدها من خلال نوع من العمل الوصفي . وهذا الوصف يجب أن يكون مشتقا من الدراسة الميدانية للحرب الداخلية المشتركة بين الحركات الكلاسيكية الأوروبية».

ولأن هؤلاء المؤرخين استندوا بشكل أساسي في نظرياتهم على وصف الفاشية

بدلا من تفسيرها ، فهم بذلك قد فشلوا في توليد « فهم غير فاشي» للفاشية. ويقودون القراء إلى استنتاج مفاده أن وجهة النظر الفاشية في حد ذاتها هى العامل الأكثر أهمية في تعريف الفكر أو (الأيديولوجية). وبالتالى فهى ليست نظرية هامة لتعريف الفاشية ، بل تكاد لا تمثل أى نظرية على الإطلاق، لأن الأسلوب معيب ، وهناك نقاط ضعف في التعريف نفسه، كما هو الحال عندما يعرف جريفين الفاشية بأنها 'نموذج ، تطهير palingenetic والأسطورة القومية المتطرفة. وليس من الواضح أن «التطهير» يضيف شيئا إلى معنى «القومية المتطرفة».وحتى الحركات القومية المعتدلة نسبيا التى تنادى بضرورة إعادة الولادة للنهضة الوطنية ، وكذلك بالنسبة لغريفين فالقومية هي السمة المميزة للفاشية ، في جوهرها و ظاهرها. والمشكلة فى هذه الحجة هي أن النزعة القومية في حد ذاتها ليس من السهل تحديدها بسهولة ، وحتى المحللين الأكثر تطورا يأكدون على «الطبيعة الوهمية للتذرع بالحجة القومية». وبعبارة أخرى ، فقد وضع غريفين أسطورة واحدة ، من الفاشية ، ضمن فئة أوسع من الأساطير ، وأضاف لها القومية. وقد فشل غريفين بعد ذلك لتوضيح ما إذا كانت تلك التعبيرات التى استخدمها تضيف أي شيء إلى فهمنا على الإطلاق. وليكون تفسيره أكثر إقناعا ، تطلب ذلك بدوره تواجد نظرية قومية ، وتلك النظرية القومية لكى تضمن استمرارها ، فإن هذا بدوره يتطلب نظرية أيديولوجية ، والتي بدورها ستتطلب دعم لنظرية مجتمعية. ومن دون شرحا وافيا للقومية ، فإن حجة غريفين يبدو وكأنها مبنية على الرمال.

فهناك خلط شديد أيضا فى فكرة الاشتراكية الفاشية. في حين أن أعمال زئيف ستيرنهيل تجعله صاحب «منطق ملتوي» في التلاعب بهذه الفكرة كأنها لعبة من ألعاب الصالونات الفكرية. وأحد الأمثلة على ذلك هو حجته بأن الفاشية ، مثل الديمقراطية

الاجتماعية ، تظهر بين الاشتراكيين غير الماركسيين ، وبالتالي يمكن وصف تاريخ الفاشية» على أنه محاولة مستمرة لمراجعة الماركسية! ويمضي ستيرنهيل فى الهجوم على ما يراه من الانقسام الكاذب على حد قوله بين اليسار السياسي واليمين السياسي ، ويوجه إدانة للمؤرخين الفرنسيين من المحافظين الذين ما زالوا يؤمنون أن هناك فرقا بين الاثنين (اليمين واليسار) ويقول :... و في بلد مثل فرنسا حيث تمتزج السياسة مع العاطفة ، وحيث يتم الحكم على الحاضر من خلال الأحداث التى كانت فى الماضي ، ويكون الفصل بين اليسار واليمين ذو أهمية كبيرة. ولقد تناولت البحوث التاريخية ذلك الأمر ، بشكل أكبر مما تناولت به الحياة الفكرية ككل. والمشكلة فى حجه ستيرنهيل هو أن الانقسام بين اليسار واليمين في التاريخ واضح وحقيقي. فعلى سبيل المثال ، لم يتم التطرق الى الحركات المناهضة للفاشية والمعروفة تاريخيا والتى تم تجاهلها عند وصف حجج المؤرخين الليبراليين. فالنضال بين الفاشيين والمعادين للفاشية كان عنيفا ، وقاتل وحقيقي. وهذا يجعل من الواضح أن المؤرخين الليبراليين تجاهلوا أهمية حاسمة للاشتراكية المضادة للفاشيين فى دراساتهم . والتغاضي عن الحقائق المتمثلة أيضا أن في كل بلد أثبت كل من الاشتراكيين والشيوعيين أنهم من أشد أعداء الفاشية ، ولقد كان اليسار السياسي الضحية الأولى دائما للحكم الفاشي.

وإذا كان هناك أي اهتمام بمناهضة الفاشية في الدراسات الأكاديمية ،يجعل من التماثل المزعوم بين الفكر الفاشي والاشتراكية مبالغا فيه والذى لم يؤد فى النهاية إلى أي شيء أكثر من مجرد الاعتراف بأن كلا الفريقين (الفاشية والاشتراكية) قد سعى لتغيير المجتمع ، و أن كل منهم قد استخدم الأحزاب السياسية للتأثير على هذا التغيير. والحقيقة أن الفاشية والاشتراكية تختلفان من حيث الأفكار والتقاليد ، ومصادر الدعم لكل منهما مختلفة ، و كذلك فإن لها علاقات مختلفة جذريا بالوضع الرأسمالي القائم حينها ، ويبدو أن

جميع المؤرخين قد قاموا بتجاهل كل تلك الحقائق. ولقد تنصل المؤرخون أيضا بلطف من حقيقة واضحة أن الفاشية تستحوذ على حلفائها من جهة اليمين وليس اليسار. وأشار لذلك « روبرت سوسى »بأن ليس صحيحا فقط أن «أيديولوجية المحافظين»... متوافقة مع الفاشية في عدد من القضايا ، ولكن دخلت أيضا أقسام اليمين الأوروبي طوعا في تواطؤ مع الفاشية وذلك عندما أعربوا عن اعتقادهم بأن مصالحهم الاجتماعية والاقتصادية تتعرض لتهديدات خطيرة من قبل اليسار.

فالحجة القائلة بأن الفاشية هى موسوليني وليس هتلر ماهى الا حجة لإجراء إعادة تقييم إيجابي للفاشية. وعلاوة على ذلك ، ما يوصف الآن بأنه « تحليل أكاديمي» للفاشية ليس من المرجح أن يظل على هذا النحو للأبد . وهكذا فإن مزاعم « زئيف ستيرنهيل بشأن تطرف الفاشية فى الماضى تفتقر إلى الأمانة فى السرد ، بل هى مزاعم خطرة أيضا. وتلك المزاعم لها جذورها المستمدة من أفكار المؤرخ «إي جى جريجور» ، وهو المؤرخ الذي كتب فى «مجلة موزلي الفاشية الأوروبية».

كما نجد أن حجة ستيرنهيل فى أن التمييز بين اليسار واليمين لا معنى لها على الإطلاق ، لأنها حجة مطابقة لما استخدمه اليمين المتطرف في عام ١٩٣٠ و كذلك فى هذه الأيام. وفي عام ١٩٩٥ ، كتب «آلان دي بونيست » ذو الفكر اليمينى المتطرف في مجلة « تيلوز Telos ، أن «الانقسام بين اليسار واليمين» قد انتهى. ثم قام باستخدام نفس مصطلحات وحجج ستيرنهيل بشكل واسع النطاق لمراجعه وتنقيح الفاشية ، وتابع : إنها ليست مسألة «يسار ولا يمين »ولكن هى مسألة تطوير لتشكيلات سياسية جديدة . ومن غير المحتمل أن مثل هذا الادعاء قد أخذ على محمل الجد ، حيث أنه لم يكتسب الشرعية من قبل في نظريات مؤرخين أمثال ستيرنهيل.

إن الضعف الأساسي في تعريف المؤرخين أعلاه للفاشية يكمن في تركيزهم على

الـدور المركـزي للأفكـار. فالمشـكلة الكبـيرة فى فهـم الفاشـية ببسـاطة عـلى أنهـا « أيديولوجية» أو كونها فكر يتصادم مع حقيقة مفادها أن ليس من السهل فهم العديد من الأفكار التي تميز الفاشية في حد ذاتها. فبعض هذه الأفكار « وطني بحت» ، وكان هناك العديد من القوميين الذين لم يكونوا فاشيين. وبالمثل ، كان للعديد من الأحزاب المحافظة التقليدية أنصار من العنصريين. ويكتب « كولن سباركس» فى ذلك قائلا:

قامت الفاشية بالعديد من المراوغات في أثناء حياتها ، وكان نتاج ذلك عدد هائل من الخرافات والأكاذيب أكبر من أي وقت مضى في تاريخ الرأسمالية العفنة ، وهى مثل حزمة من «البطاقات الدهنية » ومن ثم يتم التعامل بها للفوز بها أمكن.

والمهم ليس هو الأفكار نفسها ، ولكن السياق الذي تعمل فيه. فالعديد من الأفكار الفاشية تمثل مرتعا لجميع الرجعيين ، ولكن يتم استخدامها بطريقة مختلفة. فالفاشية لا تختلف عن الأحزاب التقليدية اليمينية مثل حزب المحافظين في الكثير من الأفكار ولكن تضيف لنفسها أنها « حركة جماهيرية من خارج البرلمان »

والتي تسعى للوصول الى السلطة من خلال الهجمات المسلحة على معارضيها.

ومن أجل تبرير تعريفهم المثالي ، أكد المؤرخون على أن الفاشية ، حركة ، حيث تعمل الأفكار والمبادئ الفاشية على صياغة العمل الفاشي. ولكن معظم البحوث التجريبية تشير إلى عكس ذلك ، فهى تشير إلى أن موسوليني وهتلر وأوزوالد موسلي كانوا زعماء غاية فى الانتهازية ، وأنه أحزابهم تتميز بالتركيز أكثر على العمل بدلا من الانضمام إلى أحد الأفكار الرئيسية. كما يقول أنجيلو تاسكا عن « موسوليني »: كان يستخدم ما لديه من الأفكار فقط في الاستغناء عن الأفكار. ويرصد أيضا هذه النقطة «ريتشارد ثورلوء » بشأن الاتحاد البريطاني للفاشيين :

كانت الفاشية دوما حركة ذات توجه عملي ، حيث إن وظيفة الأفكار هى شرح سلوكيات أكثر من توخى العقلانية الفطرية. وبالنسبة لزئيف ستيرنهيل ، الذى يعتقد أنه وبما أن الفاشيين قد وصفوا أنفسهم بأنهم يقادون بالأفكار ، فبالتالي يجب أن يكونوا كذلك.و يصور ستيرنهيل الفاشية بأنها اشتراكية لأن موسوليني قال : إنها كذلك، وأنها فرنسية بسبب أن « دورينوت »Doriot وصفها على هذا النحو ، ومناهضة للوضعية anti-positivist بسبب أن اليهود قالوا ذلك.

وكان أول من أدلى بالجملة القائلة :

والشيء نفسه ينطبق بشأن الحجج التي تساوي الفاشية بالقومية و الاشتراكية ، وأنها ليست عنصرية ، وأنها على خلاف النازية، هما «جورج فالوا» و« بينيتو موسوليني» الفاشيين. لذلك يجادل ستيرنهيل بأنهم قد يكونوا محقين.

ومن جانبه ، يرى روجر جريفين بوضوح الخلل في تحديد وجهات النظر من خلال الفاشية وطريقة إظهار الفاشيين لتاريخهم بأنفسهم : إن فرضية هذا النهج تعتمد على التعامل مع الفكر الفاشي في ظاهره ، والاعتراف بالدور المركزي الذي تضطلع به من حيث أسطورة « الولادة القومية الجديدة » التى سينجم عنها العثور على «الطريق الثالث» بين الليبرالية / الرأسمالية من جهة والشيوعية / الاشتراكية. من جهة أخرى، ومع ذلك ، يصور غريفين هذا الضعف الكبير باعتباره قوة قائلا : واحدة من مزايا توافق الآراء الجديد هو أنه يأتي تماشيا مع أن الفاشية تسير من خلال المذاهب السياسية الرئيسية الأخرى» «وتقترب من العلوم الإنسانية من خلال وصفها كفكر قابل للاستنتاج.

ومن الغريب أن التاريخ يقبل ببساطة القيمة الظاهرية عند تعريف الشخصيات التاريخية وذلك من خلال طريقة عرضهم لأنفسهم. وليس هناك عاقل يمكنه تفسير

المحرقة في المقام الأول بنفس الطريقة التي يفسرها مرتكبيها. لذلك كيف يمكن للمؤرخين الدفاع عن النظرية الأكاديمية والذين يستخدمون الفاشيين «كمادة هامة لبناء فهم أفضل عن الفاشية؟ وبالنظر إلى تاريخ الفاشية، فمن المنطقي أن يكون هناك إصرار أكبر على دراسة تلك الحركة الخطيرة. وأول انتقاد تم توجيهه من قبل ارنست نولت، الذي كان من المفارقات أنه ينصب نفسه رائدا في التفسير المثالي للفاشية فيقول : هل يسمح لهتلر بأن تكون له« الكلمة مرة أخرى » بعد سنوات عديدة من وفاته، بعد أن أجبر العالم كله على الذهاب إلى الحرب من أجل إسكات الغوغاء الهائجون؟

ومهما كانت الصفات الايجابية من النظريات الفاشية التي طرحها « إيتويل» Eatwell وغريفين والمؤرخين الآخرين، ومهما وصفت سياساتهم بأنها ليبرالية، ومهما كانت نوايا هؤلاء الكتاب التاريخيين، إلا أن توافق الآراء الجديد قد فشل في الاختبار المقترح في بداية هذا الفصل. لذا فمهمتهم التاريخية معيبة وترتبط ارتباطا وثيقا بتعريف الفاشية بنفس الشكل الذي يقدمه الفاشيون أنفسهم، وبالتالي فهم لا يشكلون نظرية هامة للفاشية.

ولذلك و لتجاوز تعريفات إيتويل، ستيرنهيل، وباين وغريفين، يجب على المؤرخين الخروج من «سجن الأفكار». ويكون البديل هو تحليل الفاشية بوصفها قوة فاعلة في المجتمع. ومن أجل فهم أفضل للفاشية، يجب على أي نظرية أن تركز على النظر في تاريخ الحركة، والسلوكيات الخاصة بها كتقليد سياسي. وهذا هو الأسلوب الذى يمكن عن طريقه القيام ببناء تاريخي سليم يمكن عن طريقه التوصل إلى فهم أكثر ملاءمة للنظرية الفاشية. وتحقيقا لهذه الغاية، سأقوم بدراسة الفاشية داخل المجتمعات التي نشأت فيها أولا، ولا سيما إيطاليا وألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى.



3

الفاشية الكلاسيكية
Classical fascism

وكانت كل من إيطاليا وألمانيا من المجتمعات الرأسمالية الصناعية، والتي كان الإنتاج بها للسوق، وكانت الغالبية العظمى من السكان يعملون إما في المصانع أو في أراضي مملوكة لأشخاص الآخرين. ولأنها كانت مجتمعات رأسمالية، فقد كانت تتقاسم «بنية طبقية مشتركة». وكانت أكبر الطبقات في كل من إيطاليا وألمانيا من العمال، يليها الفلاحون والطبقات المتوسطة الحضرية والريفية ومن ثم الطبقة الرأسمالية الصغيرة. وفي ألمانيا عام ١٩٣٣، على سبيل المثال، تشير التقديرات إلى أن ٤٦,٣ في المائة من السكان كانوا من العمال، وكان الفلاحون ٢٠,٧ في المائة، ونسبة ١٢,٤ في المائة من العاملين من ذوي الياقات البيضاء، و ٩,٦ في المائة من الحرفيين و المهنيين، ثم نسبة ٦,٢ في المائة للمهن الأخرى. ولقد تشكلت هذه المجتمعات من التطور المتفاوت للرأسمالية. و شدد نيكوس بولانتزاس Poulantzas أن هذه البلدان كانت توصف بالتخلف سواءً كانت العاصمة الإيطالية أو الألمانية وهي كانت أضعف الوافدين الجدد للرأسمالية والتي كانتا تأتيان بعد روسيا في الترتيب وكانت إيطاليا متخلفة نسبيا، وخمسي السكان بها يعيشون في الجنوب الذي كان بالكاد صناعيا. أما في الشمال، فقد كان أكثر تحضرا من المناطق في أوروبا الحديثة، ولا سيما المثلث الصناعي «من جنوة وميلانو وتورينو». وكان بامكان كل من المجتمعات اختيار أن يكون لها توجهات مختلفة، من حيث الرقابة العمالية، أو من أجل الديموقراطية البرجوازية أو نحو الفاشية. وكان من الممكن أن تهيمن المناطق الريفية في الجنوب على إيطاليا، أو أن تتم الهيمنة عليها من قبل المناطق الشمالية. وكان من الممكن أن تتم الهيمنة علي ألمانيا من قبل «بافاريا الأسود» أو «برلين الأحمر». وتشكلت شخصية المجتمع الألماني والإيطالي بعد حرب ١٩١٤-١٩١٨. ففي إيطاليا، تم تجنيد ٥١٥٠٠٠٠ من الرجال، وقتل ٦٠٠،٠٠٠ منهم وأصيب ١٠٠،٠٠٠ بعجز دائم. وفي ١٩١٧-١٩١٩. كانت

النتيجة أن دفعت الحرب المجتمع الأوروبي إلى اليسار. وكانت هناك ثورات في روسيا والمجر وألمانيا ، وكانت هناك اضرابات جماهيرية فى كافة أنحاء أوروبا. أما في بريطانيا ،فقد كتب ديفيد لويد جورج قائلا : تم تعبئة كل أوروبا بروح الثورة. وكان هناك إحساس عميق ليس فقط بالاستياء ولكن بالغضب والثورة بين العمال ضد ظروف ما قبل الحرب. وكانت هناك تساءلات كثيرة حول النظام القائم من كل جوانبه السياسية والاجتماعية والاقتصادية من قبل الجماهير و السكان فى جميع أنحاء أوروبا.

وكان عام ١٩١٩ و ١٩٢٠ معروفا في ايطاليا ، باسم « بينيو روسو» ، وترجمتها «السنوات الحمراء ». ففي تورينو ، أنشأ العمال المسلحون مجالس بالمصانع التى يعملون بها نسخة طبق الأصل مما قام به السوفييت الروسيون.وفي أيلول / سبتمبر ١٩٢٠ ، وعندما دعا أرباب العمل بالمصانع لتعليق العمل بشكل تدريجي تمهيدا لتسريح العمال ، قام نصف مليون عامل بالسيطرة على مصانعهم. لذلك فمن دون أن نقدر مدى الحماسة الثورية التى كانت فى عام ١٩١٩-١٩٢٠ ، فإنه سيكون من المستحيل أن نفهم كيف كان يمكن أن تنمو الفاشية وتتطور بعد عام ١٩٢٠ . وكما كتب غرامشي في مجلة تدعى «لا أوردين »L' Ordine،في مايو ١٩٢٠ ، أنه إذا كانت الحركة الثورية قد فشلت في استغلال الفرصة التى أتيحت لها ، فكان لابد من استخدام كل أنواع العنف لإخضاع الطبقة العاملة الزراعية والصناعية. فقد كانت تلك الحالة الثورية للعمال تمكنهم من الاستيلاء على السلطة ولكنهم لم يفعلوا ذلك. والفاشية على حد قول « كاروتشى »Carocci ،وهو واحد من مؤرخي الفاشية الإيطالية ، يقول : «مد دام الأغنياء مستمرون في موقفهم الدفاعي ، فلن يكتب للفاشية النجاح ولو كان نجاحا متواضعا».

وأول حركة فاشية قامت بتنصيب نفسها بنفسها ، هى حركة « كومباتيمينتو combattimento الفاشية ، وقد تم تأسيسها من قبل موسوليني في عام ١٩١٩. ـكما سبق أن ذكرت ،فإن زئيف ستيرنهيل يضع مزاعم غير عادية بدعوى أن لفاشية قد تم دعمها في المقام الأول من اليسار. كما يزعم « ستيرنهيل» أن الفشل فى رؤية الطابع اليساري فى الفكر الفاشي ، يمثل إساءة إلى 'الآلاف من نشطاء لاشتراكية والشيوعية الذين ألزموا أنفسهم بالفاشية. ولكن و في الواقع ، فلم تشتمل كوادر تلك الحركة الفاشية سوى أقلية من الأفراد كانوا من اليسار. أما الغالبية نقد جاؤوا مباشرة من جهة اليمين من القوميين الذين دعموا الحرب العالمية الأولى ومن أنصار الغارة التى دعا إليها غابرييلي دانونسيو D'Annunzio's على مدينة ـيم « Fiume. وخاف موسوليني من أن خصمه دانونسيو هذا (وهى تسمية بسمى بها ملك إيطاليا عام ١٩٢٤ ؛ قد يكون شخصية يمينية أكثر شجاعة منه . ولذلك بدأ الفاشيين في النمو في عام ١٩١٩ خلال فترة من الاضرابات. حيث تلقى موسوليني مبالغ كبيرة من المال من مجتمع الأعمال من مدينة ميلان وكذلك من ملاك الأراضي الكبيرة. وفي الشمال ، صورت الفاشية نفسها على أنها « بديل لثورة العمالية» ؛ أما في الجنوب ، قامت العصابات المسلحة الفاشية بقصم ظهر لفلاحين بما يسمى «حملة الأرض».وأصبح موسوليني نفسه لاعبا رئيسيا على لساحة الوطنية فى مايو ١٩٢١ ، حيث كان الفاشيون قادرين على تأمين تحالف نتخابي مع الليبراليين والقوميين والمحافظين والأحزاب من الوسط واليمين.

ونما الفاشيون بسرعة مذهلة. وفي نيسان / أبريل ١٩٢٠م ، شرعوا في مهاجمة لاشتراكيين في شمال إيطاليا. و بعد أيار / مايو ١٩٢١م ، كان هناك ٣٥ نائبا من لفاشيين قد تم انتخابهم. وفي نوفمبر تشرين الثاني عام ١٩٢١م ، شكل الفاشيون

لنفسهم حزبا ، وهو (حزب الوطنين الاتحاديين الفاشى) PNF. و كان لحزب الوطنين الاتحاديين (وبالمقارنة مع الفاشية في وقت سابق) ، بنية مختلفة أكبر من النواحى العسكرية. و خلال فصل الشتاء من عام ١٩٢١-١٩٢٢ ، كان هناك ركود كبير في الاقتصاد ، وهذا أعطى ذريعة لأصحاب الأعمال بالشروع في الهجوم على المصانع. و في صيف عام ١٩٢٢ ، استولت العصابات الفاشية على قاعات مدينة ليفورنو في ميلانو وجنوى واحتلتها. وقدم رجال الاتحادات و البنك التجاري دعمهم لموسوليني ، ولحزب الوطنين الفاشى PNF ، كما قام بذلك قداسة البابا. وفي أكتوبر ١٩٢٢ ، قام موسوليني فى بالاستيلاء على سلطة الدولة في روما لنفسه.

وجاء الفاشيون من فئات مختلفة من المجتمع. ولكنهم جاؤوا بأعداد غير متناسبة من الطبقة المتوسطة. كما جادل «سلفاتوريلى Salvatorelli » في ذلك الوقت ، قائلا بأن [البرجوازية الصغيرة] هى العامل المهيمن عدديا في الفاشية. وفي جنوة ، كان الفاشيون الذين تم تجنيدهم قد اتوا من الطبقة العاملة من الذين أيدوا التدخل الإيطالي في الحرب. ومع ذلك ، فإن فقد خسرت هذه الجماعات التي عارضت الضربات الفاشية فى عام ١٩٢٠ الدعم ، حتى «ذبلت وماتت». وقام الفاشيين فى «جنوى» بعملية « إعادة تشكيل لأنفسهم » ، على أساس دائرة انتخابية مختلفة تكون أكثر احتراما. وكان وقتها «الحزب الفاشي » منظمة متجانسة نسبيا أكثر مما كان عليه ، و في الواقع لم يجند حينها الكثير من الطبقة العاملة ، ولكن كان للحزب الفاشى قاعدة جيدة بين العمال من ذوي الياقات البيضاء ، والبرجوازية الصغيرة وبين الفئات المهنية الأقل ازدهارًا.

وادعى موسوليني في ذلك الوقت أن الكثير من مؤيديه كانوا من العمال. ولكن

في الواقع، ووفقا لإحصاءات حزب الوطنيين الفاشي PNF، في ١٩٢١-١٩٢٢ كان حوالي ثلث الأعضاء الذين تم إدراجهم من العمال والفلاحين، ولكن الرقم الحقيقي أقرب إلى ١٥ أو ٢٠ في المائة، بينما في روما وميلانو، كان هناك أعضاء من الطبقة العاملة فقط بنسبة تتراوح من ١٠-١٢ في المائة. وقد فشل الفاشيون من تحقيق أي تقدم على الإطلاق بين الراديكالية والعمال الأكثر تنظيما. ولاقى حزب الوطنيين الفاشى نجاحًا كبيرًا بين العاملين فى مجال الطباعة والمهندسين والعاملين في التعدين، وعمال البناء.

ولقد عانت فئات مختلفة من السلطة الفاشية.، فقد كانت الفاشية الإيطالية ديكتاتورية وتتعامل بوحشية تجاه العمال. وكانت هناك موجات من القمع ضد النقابيين في الأعوام ١٩٢١، ١٩٢٣ و ١٩٢٤. أما في عام ١٩٢٥، فقد أغلق جميع ما تبقى من نقابات عمالية مستقلة. وكانت معدلات الأجور يتم تقريرها وتحديدها بواسطة الشركات و فقد العمال أي حق في التمثيل. وفيما بين ١٩٢٧ و ١٩٣٢، ووفقا للإحصاءات، تم خفض الأجور الإسمية بنسبة ٥٠ في المائة. ثم في عام ١٩٣٥، وضعت الحكومة جميع العمال المرتبطين بشكل مباشر أو غير مباشر بالإنتاج الحربى تحت النظام العسكري. أما جميع العمال الآخرين فقد خضعوا لقرارات محكمة العمل. وكان يعاقب بالسجن من يقوم بالإضراب. أما بالنسبة للبرجوازية الصغيرة، أيضا، فقد جلبت الفاشية لها بعض الفوائد القليلة، مثل مراسيم تنظيم أسعار التجزئة. ففي عام ١٩٣٠م، أرسلت الفاشية مندوبيها « ذوى القمصان السوداء» إلي المحلات للتأكد من أن أصحاب المحلات التجارية الفردية يقومون بتنفيذ هذا القانون. وهكذا، في حين ارتفعت الأسعار بنسبة ٤١ في المائة بين عامي ١٩٣٤ و ١٩٣٨، وطلب من المتاجر تنفيذ خفض الأسعار، بما في ذلك

خفض قدره ١٠ في المائة بالنسبة لجميع السلع ، وذلك في نيسان / أبريل ١٩٣٤. ولم يسمح لصغار المصنعين بالحصول على أي منظمة مستقلة لتمثيلهم. وتم تصنيفهم على أنهم أقلية ضئيلة داخل اتحاد الجمعيات التجارية. أما بالنسبة لصغار فلاحين الأراضى ،فقد وعدهم الفاشيين في عام ١٩٢٢ بمصادرة الأراضى الكبيرة، ولكن لم يتم ذلك. وكانت هناك معاناة قاسية لعمال المزارع أيضا من جراء تخفيض الأجور ، في حين تم إغلاق النقابات التى تمثلهم.

وكانت الطبقة التي استفادت أكثر من غيرها من الحكم الفاشي طبقة كبار المصنعين. فقد كانت لهم مكاسب متمثلة فى خصخصة قطاع التأمين ، وخدمة الهاتف ، وتنافست الشركات لإحتكار الكهرباء المحلية. وقد تم إلغاء ضريبة رأس المال ، وكذلك ضريبة الإرث ، والضريبة على أرباح الحرب والضرائب المفروضة على المديرين. وتدخلت الحكومة مرارا وتكرارا من أجل إنقاذ الشركات الفاشلة ، لا سيما المصارف التجارية ، وكثير منهم كان مهددا بالانهيار في ١٩٢٩-١٩٣١.واستفادت الصناعات الحربية بين عامي ١٩٣٤ و ١٩٣٨ ، بقيمة ٣٦ مليار ليرة من النفقات الاستثنائية. وفي الوقت نفسه ، ترك اتحاد الصناعة دون مساس للجميع. وسمح للمتاجر بأن تزدهر مع تشجيع الدولة ، والتي كانت واحدة من الأهداف الخطابية الرئيسية المضادة للرأسمالية من قبل الفاشيين عام ١٩٢٢ . وكما قال موسوليني لمجلس الشيوخ في عام ١٩٣٤ ، «الاقتصاد المؤسسي يحترم مبادئ الملكية الخاصة. والملكية الخاصة هى المكملة لشخصية الإنسان ».

لقد قيل الكثير عن حقيقة أن النظام الفاشي الإيطالي قد قاوم الحركات المعادية للسامية. غير أنه كان هناك رسميا ، هجمات على اليهود فى عام ١٩٣٤ و اعتمدت الدولة قوانين عنصرية على الطريقة النازية في عام ١٩٣٨.وكان مابين ٨٥٠٠ ـ

١٥٠٠٠ من اليهود الايطاليين قد قتلوا في المحرقة النازية«الهولوكوست» . وعلاوة على ذلك ، فإن حقيقة أن هناك القليل لمناهضة معاداة السامية رسميا قبل عام ١٩٣٨ لا يعني أن القول إن إيطاليا ليست دولة عنصرية. وفى عام ١٩٣٠ ، كان النظام يخطط لتوسيع إمبراطوريته في إثيوبيا وتونس. وتم تبرير هذه الخطط في لغة عنصرية بشكل واضح. واعتبر السود والعرب من غير البشر. ودافعت الفاشية عن الحرب في الحبشة من أكتوبر ١٩٣٥ باستخدام العنصرية بادعاء أن الأثيوبيين كانوا غير قادرين على حكم أنفسهم. و كانت الطريقة التي نفذت بها الحرب طريقة عنصرية أيضا : لأن الدولة الفاشية اعتبرت أن السكان الأصليين كانوا أقل من البشر ، لذلك فقد قتلتهم بالغازات السامة مثل الحيوانات. وكان الغرض من الفكر الفاشي الإيطالي ، تعبئة الناس للحرب العنصرية. هذه هي الطريقة التي نشرت بها « بارتيتو أى ليمبير Partito e Impere وصفها لدور الحزب في عام ١٩٣٨ : لم يسمح للشعب الإيطالي بأخذ قسط من الراحة ، لحثهم وتعزيز الرغبة لديهم في التوسع إلى ما لا نهاية من أجل البقاء على قيد الحياة ، وغرس فيهم الشعور بتفوق جنسهم على السود... وباختصار ، يجب أن نحاول أن نقدم الشعب الإيطالي بأنه يتميز بعقلية عنصرية وإمبريالية.

وفي ألمانيا ، كان هناك نفس النمط - التخلف الاقتصادي والحرب أديا إلى الثورة والثورة المضادة بعد ذلك. وكما كان الحال في إيطاليا ، فقد أعقب نهاية الحرب فترة من الثورة. وطوال عام ١٩١٨ ، كان هناك تمرد كبير في الجيش الألماني. وفي نوفمبر ١٩١٨ ، حدث تمرد في ثكنة بحرية في مدينة «كييل» الألمانية قام على أثرها مجموعه من البحارة والجنود بتشكيل مجالس للعمال ، والتي انتشرت في الموانئ الشمالية والداخلية لبرلين. وفي ٩ تشرين الثاني / نوفمبر أجبرت هذه الحركة الجماعية

القيصر أن يتنازل. وفي عام ١٩١٩ ، كان هناك تمرد فاشل في برلين ، أيام سبارتاكوس». و شكل الاشتراكيون في بافاريا الجمهورية السوفياتية ، والتي تم سحقها فى مايو ١٩١٩ . وفي العام التالي ، أوقف إضراب عام في برلين محاولة انقلاب يميني بقيادة «كاب غوستاف».

وفي صيف عام ١٩٢٣ ، قام عمال المناجم ، وعمال الحديد الصلب فى برلين وباقى العمال من العاملين فى الطباعة فى المشاركة في هجمات سياسية ضخمة ضد الحكومة. وشكل مئات العمال البروليتاريا ، مدعومة بالحراس المسلحين ، كخطوة أولى نحو استيلاء العمال على السلطة. وفي تشرين الأول / أكتوبر بدأ الحزب الشيوعي الألماني يستعد للاستيلاء على السلطة. ولكن الحزب الشيوعي كان مترددا فى مخططاته ، وبالتالي أضاع تلك الفرصة فى ألمانيا وهو نفس الحال الذى كان في إيطاليا .

وقد تم تشكيل الحزب النازي ((NSDAP) على وجه التحديد بوصفه قوة لكسر الثورة الألمانية. و أقرب وقت لجذور هذا الحزب النازي يكمن في سلسلة من المناورات قام بها من ١٩١٤ فصاعدا . وهى مناورات قام بها المحافظون الألمان الأثرياء ، بما في ذلك هوجنبرج ،و الأميرال «تيربيتز Tirpitz و«كاب» ،وذلك لكسب التأييد للحرب عن طريق تمويل أحزاب الطبقة العاملة الوطنية: ان أصول الفهم الصحيح للنازية جاء في سياق المحاولة الفاشلة التى قام بها التجمع الصناعي العسكري لحزب المحافظين الألمان لمحاولة تعبئة الدعم للعمال من أجل المجهود الحربي. وكان حزب العمال 'الألمان ، ومن بعده «حزب العمال الألمان الوطني الاشتراكي أو كما أطلق عليه «حزب النازي» ،يضم حوالي ٥٠ عضوا عندما انضم إليه هتلر ، وكان انضمام هتلر في الأصل بمثابة تجسس من الجيش ، في عام

١٩١٩. و مثل الفاشية الإيطالية ، كانت النازية حركة قبل أن تنضج وتصبح حزب سياسي. وكان العديد من النازيين أعضاءًا في الـ« فريكوربس Freikorps » ، وكذلك الجنود المسرحين والشباب والوطنيين من الطبقة المتوسطة تحت الراية الاجتماعية الديمقراطية التي رفعها وزير الدفاع حينها « غوستاف نوسك Gustav Noske »، وذلك لوضع حد لثورة نوفمبر. وكانت فريكوربس مسؤولة عن قتل الشيوعيين البارزين ، بمن فيهم روزا لوكسمبورغ وكارل ليبكنخت ، واستولوا على السلطة خلال محاولة انقلاب «كاب». وتم تجنيد هؤلاء الجنود ليشكلوا كوادر قومية مسلحة للفاشية الألمانية. ومثل نظيرتها الإيطالية ، لذلك ، فقد نمت الفاشية الألمانية من حركة قومية معادية للاشتراكية لقدامى المحاربين exservicemen ، خوفا من أن يشكل قدامى المحاربين طرفا في تلك الحركة. وكان أحد العوامل التي ساعدت حزب النازي في النمو ، خاصة بعد عام ١٩٢٠ ، سحق ولاية بافاريا السوفياتية. و حتى عام ١٩٢٣ ، كان الحزب النازي أساسا حزبا بافاريا ، ويعمل تحت رعاية السياسيين المحافظين وجنرالات من هذه الولاية. وخلال محاولة انقلاب فاشلة لهتلر في عام ١٩٢٣ في «قاعة بير هول Beer Hall » ، تلقى هتلر الدعم العام من حزب النازي خاصة من « فون ويندورف» ،وهو الرجل الثاني في قيادة الجيش الألماني ، و مفوض الدولة «فون كاهر» ، ومن رئيس الجيش البافاري ، الجنرال «فون لوسو». وفي ذلك الوقت ، بدأ هتلر أيضا في الحصول على دعم كبير من رجال الصناعات المختلفة ، بما في ذلك هنري فورد ، قطب السيارات الأمريكية.

مرة أخرى ، تم اجتذاب فئات مختلفة للانضمام إلى الفاشية الألمانية. وأكثر عناصرها كانت من الطبقة العاملة في الحركة النازية «سا» SA ، والذين تم تجنيد

عدد كبير منها من العمال و الشباب العاطلين عن العمل: فقد تم تعبئة «سا » SA من الأفراد الذين ليس لديهم أى انتماء سياسي ، ومن الذين يعانون البطالة ، والشباب وبعض العمال وأرباب المعاشات في المدن والريف. الكثير من هؤلاء لكن تم استخلاصهم من المناطق الريفية. ولعب الريف دورا كبيرا: فقد تمكن النازيون من تحقيق أول اختراق حقيقي في شمال ألمانيا في المناطق الريفية في انتخابات عام ١٩٢٨ ، وكانت تلك النخبة الريفية البروسية هى التى سلمت السلطة لهتلر في وقت لاحق. و في ألمانيا ، كان الحال مثل ايطاليا ، ومع ذلك ، كان يسيطر عليها الحزب النازي ليس من قبل العمال ولكن من جانب الطبقة الوسطى. على الرغم من أن العمال يكونون ٤٦,٣ في المائة من السكان في يناير كانون الثاني عام ١٩٣٣ ، فإنه فقط ٢٩,٧ في المائة من أعضاء الحزب النازي تم تصنيفهم رسميا كعمال ، وحتى هذا التقدير يعتبر مبالغا فيه جدا.

في عام ١٩٣١ ، كان أقل من ٥ في المائة من الحزب وهو ما يقرب من مليون عضو من الأعضاء أعضاءا أيضا فى التنظيم العمالى ، و تم تنظيم الحزب النازي الذى كان بمثابة مصنع خلية الرايخ الألماني NSBO . وفي ذات الوقت ، وعلى الرغم من ٢٠,٧ في المائة من السكان كانوا من الفلاحين ، إلا أنه ٩ في المائة من النازيين كانوا من الفلاحين فقط. وأكثر من نصف أعضاء الحزب النازي كانوا من العمال من ذوي الياقات البيضاء ، والموظفين المدنيين أو العاملين لحسابهم الخاص. وتم استخلاص الأعضاء القياديين في الحزب النازي من هذه الطبقة ، ليس فقط هتلر ، ولكن بورمان ، وفيدر ، وفريك ، وهيملر ، ووروم ، وروزنبرغ، و«أوتو ستراسر».

ويقول «روجر جريفين» : إن عدم وجود نسبة وتناسب لتواجد الطبقة الوسطى

في لأحزاب الفاشية الكلاسيكية هي مسألة صدفة : وإذا كانت الطبقات الوسطى قد زاد تمثيل أعضاءها فى الفاشية والنازية ، وذلك لأن ظروفًا اجتماعية وسياسية محددة جعلت نسبة كبيرة منهم أكثر عرضة لنموذج الولادة الجديدة من القومية المتطرفة الذى يدعى palingenetic ، إلا أن الغالبية كانت تتبع نماذج من الماركسية أو الليبرالية. وليس هناك شيء من حيث المبدأ يمنع من توظيف العاطلين عن العمل أو أحد أفراد الطبقات العاملة أو الأرستقراطيين... وكل من يريد المشاركة فى هذه الأسطورة الفاشية.

وكان هناك المزيد من الجهود لإنجاح الفاشية بين الطبقة الوسطى ، ولكن الدعاية النازية توجهت مرارا وتكرارا لزرع الأفكار بالتركيز على «الشباب»، والمنتجين العاملين لحسابهم الخاص ، والحرفيين وأصحاب المهن الصغيرة ، وتلك الأفكار كانت بمثابة تحريض يومي لهذه الفئة من الناس. والمثال الواضح في هذا الأسلوب هو الكتاب الذى وضعه هتلر باسم « كفاحي» Mein Kampf حيث كتب هتلر أن أساس حركته سيكون معتمدا على الأعضاء السابقين من الطبقة العاملة الذين كانوا قد جروا أنفسهم للخروج من هذا الموقف واصفا إياهم بأنهم : أناس من الحالة المتواضعة الذي ارتفعوا مرة واحدة فوق ذلك المستوى الاجتماعي ، وانهم غير قابلين للانخفاض فى حياتهم مرة أخرى. ويمكن أيضا النظر إلى التحريض النازي على الطبقة المتوسطة أن ينظر في أعمال مكتب «ميتلستاند Mittelstand للحزب النازي ، والذى عرف فيما بعد باسم «رابطة مكافحة تجار الطبقة المتوسطة». وهاجم مكتب ميتلستاند Mittelstand الشركات الكبرى تحديدا ، ولا سيما الشركات اليهودية ، وكذلك المتاجر الكبيرة. وحققت الدعاية النازية نجاحا منقطع النظير بين الطبقات المتوسطة والتي تحققت أيضا بين

الاتحادات الطلابية والجمعيات الحرفية. كانت العنصرية النازية تلعب دورها بوصفها طرفا من الطبقة المتوسطة. وكان غضب صغار المنتجين منصبا ضد كل من رأس المال والعمال. حيث كانت معاداة السامية منطقية جدًا لأعضاء الطبقات الوسطى، و التي بالنسبة لها كان رأس المال والعمل «عدو واحد». وباختصار، فقد فاز الحزب النازي بمن استطاع تجنيدهم من صغار البرجوازيين قبل عام ١٩٣٣ لأن الحزب النازى تصرف كممثل حقيقي للطبقة الوسطى.

وساهمت هزيمة الحركة العمالية فى وصول هتلر إلى السلطة، ولكن جاءت فترة الركود الاقتصادي بعد ١٩٢٩ مما لم يتح للحزب النازي النمو بسرعة حقيقية. وبين عامي ١٩٢٨ و ١٩٣٢ انخفض الإنتاج الصناعي في ألمانيا بنسبة ٤٢ في المائة، في حين أن البطالة ارتفعت من متوسط قدره ١,٣ مليون في ١٩٢٨ ووصلت إلى ٥,٦ مليونا في عام ١٩٣٢.

وسجل الحزب النازي في انتخابات عام ١٩٢٨، فقط ٢,٦ في المائة من الأصوات، ولكن في عام ١٩٣٠، سجل ١٨,٣ في المائة، وفي يوليو ١٩٣٢ ارتفع التصويت للحزب النازي مرة أخرى إلى ٣٧,٣ في المائة. وحتى ذلك الحين لم يكن هناك مفر من استيلاء النازيين على السلطة. ولم يكن بالإمكان وقف هتلر حينها الا توحيد القوى للحزبين الرئيسيين وقتها من الأحزاب اليسارية، وهما الحزب الاشتراكي (SPD) والحزب الشيوعي (KPD). فالنقابات التجارية التي كان يسيطر عليها الحزب الديمقراطي الاشتراكي كانت تضم ٥ مليون عضوا. وكان هناك مليون فردا للحزب الاشتراكي. أما النقابات التى سيطر عليها KPD (الحزب الشيوعي) فكانت تضم ١٥٠,٠٠٠ من الأعضاء. كان هناك ٢٠٠،٠٠٠ فردا من الحزب الشيوعي. وكان اتحاد الطرفين معا سيوفر لهما أعضاءً يمثلون

أرعة أمثال أعضاء الحزب النازي بالإضافة للدعم الهام الذى كانوا سيحصلون عليه من خارج صفوفهم.

وفي نوفمبر ١٩٣٢ ، صوت الشعب ب ١٣ مليون صوتا للحزب الاشتراكي SPD أو الحزب الشيوعى KPD في مقابل ١١٧٠٠٠٠٠ صوتا فقط للنازيين. وهناك أسباب كثيرة وراء فشل الحزب الاشتراكي والشيوعى KPD فى توحيد صفوفهم سويا . فقد اتهم زعماء الحزب الشيوعى زعماء الحزب الاشتراكي لفشل الثورة الألمانية وقتل «روزا لوكسمبورغ» و« كارل ليبكنخت» . كما اتهم الحزب الاشتراكي الحزب الشيوعى KPD بالمغامرة في التمرد عام ١٩١٨-١٩٢٣ ، وخاصة فى مارس ١٩٢١ ، عندما حاول الحزب الشيوعى شن تمرد ، دون أي دعم حقيقي وتحقيق نجاح ضئيل جدا. وكان من المتوقع للحزب الشيوعى أن يتلاءم مع الأممية الشيوعية العالمية حينها.

من عام ١٩٢٩ ، جادل الكومنترنComintern (منظمة دولية تأسست في موسكو الشيوعية) نظرية 'فئة ضد فئة ، والفكرة القائلة بأن الديمقراطية الاجتماعية هى مجرد متغير آخر من الفاشية. كما قال ستالين في ذلك الوقت ، 'الفاشية هي اىنظمة القتالية للبرجوازية و التي تعتمد عليها فى دعم نشاطها من الديمقراطية الاجتماعية... ويقول أيضا : « إن الفاشية والاشتراكية الديموقراطية ليستا إلا تـ أمتين. ويستمر الحزب الشيوعي، KPD بالقول : إنه كان يمكنه مقاومة هتلر وحده. وفي الوقت نفسه يقول الحزب الديمقراطي الاشتراكي : إنه كان يمكن أن يقاوم هتلر من قبل الرئيس «فون هندنبرج» والمستشار «فرانز بابن». بعد رفض هندنبرج منصب المستشارية لهتلر ، ويقول «رودولف هيلفردينغ »، وهو عضو بارز في الحزب الديمقراطي الاشتراكي ، والذى أكد أن النازيين كانوا أكثر راديكالية.

فالطبقة الحاكمة الألمانية لن تقبل بتشكيل حكومة فاشية ، وان ملاك الأراضي الألمان » ، لطالما اعتادوا على السلطة والمناصب العليا من البيروقراطية والعسكرية ، فهل يتخلون طوعا للتوجه إلى الميدان حيث الحركة الجماهيرية العامية؟

وكانت هناك أصوات تؤكد على ضرورة وجود وحدة وطنية يسارية ضد الفاشية . وللأسف ، كان أثر نظرياتهم على ممارسة الكتائب من اليسار الألماني لأدنى حد. وزحفوا تحت لافتات معارضة تقول الشرعية سوف تقتله و بعد هتلر نحن ، ولم يمنع الحزب الاشتراكى الديمقراطى والشيوعى المعارضان هتلر من الاستيلاء على السلطة. وفي أعقاب سلسلة من المقابلات مع الرئيس هندنبرج ، والقائدين من الجنرالات ورجال الأعمال ، دعى هتلر إلى منصب المستشارية، وفي ٣٠ يناير ١٩٣٣ . جادل «بيتر لامبرت» بأنه ، في لحظة هذا الاتفاق ، وحدت الطبقات الحاكمة الألمانية مطالبها. وأرادوا أن يروا «عسكرة مجتمعيه » وتدمير للديمقراطية الاجتماعية. وكان النقاش من كل عضو من أعضاء الدائرة التى كانت حول الرئيس هندنبرج توافقه على ضرورة التوصل إلى اتفاق مع هتلر ، وكانوا يختلفون فقط حول ما إذا كان «بابين» هو الذى يجب أن ينال الفرصة للتفاوض مع هتلر إما أن يكون من يجب أن يقوم بذلك هو «شلايشر».

وفي غضون أسبوع من تعيين هتلر كمستشار تم حظر الحزب الشيوعي . وفي غضون خمسة أشهر تم حظر الحزب الاشتراكي أيضا. وتم سجن المعارضين البارزين في النظام او لاذوا بالفرار . وفى يوم ٢ مايو ١٩٣٣ ، أغلقت النقابات ، وأصبحت وظائفها تحت سيطرة الدولة. واتسمت الفاشية الألمانية بأفظع مما تنبأ به "تروتسكي" . وكان الخاسر الأكبر بوضوح فى هذه العملية هم اليهود والمعارضين السياسيين هتلر : أول ضحايا النظام كانوا أعضاء في الحزب الديمقراطي

الاشتراكي والحزب الشيوعى. وبدأت الاعتقالات في نفس الليلة التى أصبح هتلر فيها مستشارا. وقد تم بناء معسكرات الاعتقال الأصلية فى مارس ١٩٣٣ ، لاعتقال أعضاء من اليسار الماركسي ، العدو الأصلي لهتلر والأكثر خطورة. ومن المفارقات ، أن كان ثانى الضحايا المعارضين لنظام هتلر في إطار التقاليد الفاشية من الفاشيين أنفسهم.

وفى مساء يوم ٣٠ فبراير ١٩٣٤ ، شهدت ليلة تسمى « ليلة السكاكين الطويلة » لونج نايفز Long Knives » هتلر النازي وهو يعتقل خصومه ، بما في ذلك العديد من أعضاء SA وحتى على زعيمهم « أرنست روم». فقد تم تصوير بعض الأحيان الانقسام بين هتلر وروم أو جريجور ستراسر ، باعتباره اختلاف فى الفكر ، وكان الاتهام الذي قدم فى حق هاتين الشخصيتين الأخيرتين أنهم شكلا يسارا متطرفا ومناهضا لنازية هتلر. وسيكون من الخطأ أن نرى هؤلاء النازيون المعتقدين فى «التطهير» مثل أي تشكيل يساري. وكما يشير بيتر ستاكورا، و جريجور ستراسر أن مزاعم «الاشتراكية» باطلة ، مبنية على العاطفة فى الأساس ، وسطحية ، وأنها برجوازية صغيرة مضادة للرأسمالية...وان هتلر لا يمكن النظر إليه كزعيم لليسار «النازي» لأن مثل هذا الكيان ببساطة لم يكن موجودا ككيان متماسك من النواحى الأيديولوجية والتنظيمية ، والسياسية.

وفضلا عن ضحايا المخيمات وعمليات التطهير ، فقد عانى أيضا الملايين من العمال العادين في عهد النازيين. فبين عامي ١٩٣٢ و ١٩٣٨ ، ووفقا للأرقام الرسمية ، انخفضت الأجور الألمانية بنسبة ٣ في المائة. وفي غضون ذلك ، ارتفعت تكاليف المعيشة بنسبة ٥ في المائة ، وارتفعت أسعار المواد الغذائية بنسبة ١٩,٥ في المائة ، وزادت ساعات العمل في الأسبوع في المتوسط بنسبة ١٥ في المائة. وأجبر

المديرون في محطات توليد الطاقة في بادن، على سبيل المثال، عمالهم على العمل ١٠٤ ساعة في الأسبوع. وزادت كثافة العمل وكذلك ارتفعت إنتاجية العامل الواحد بنسبة ١١ في المائة. كما عانى العمال وسلبت حرياتهم الأساسية: فالعامل الألماني فقد حريته في التعبير وحقه في حرية الصحافة وحريته فى التنظيم. وقد تم تدمير الصحافة العمالية، والمنظمات العمالية، بما في ذلك النقابات التجارية والتى تم حلها..

وعلى الرغم من الوعود النازية، عانت الطبقات المتوسطة أيضا تحت حكم الفاشية. ولم يسلم المصنعين الصغار والعمال الحرفيين المستقلين من ندرة المواد الخام وعدم وجود الأسواق. وانخفض عدد الشركات التي لديها رؤوس الأموال بين ٤٠٠٠ مارك ألمانى ومليون مارك من ٧,٥١٢ في عام ١٩٣١ إلى ٣,٨٥٠، في عام ١٩٣٧. وخسر صغار المزارعين أيضا. وأعلن أن المزارع المورثة غير قابلة للتصرف فيها بموجب القانون الألمانى المنظم للمزارع. وهذا يعني أن الملكيات الكبيرة قد تركت سليمة، في حين أن صغار المزارعين لا يمكن رهن أراضيهم، وغير قادرين على الاقتراض لعمل التحسينات اللازمة.

وجادل «ديفيد شونبوم» أن النازيين حققوا «ثورة اجتماعية»، لنقل السلطة من «نخب فايمار» لفئة جديدة. ومن ناحية سلطة الدولة، كان هناك بعض التغييرات والتى تم اتخاذها من قبل دولة الحزب النازي، فقد تمت إزالة اليهود وجميع المعارضين السياسيين في الخدمة المدنية بسرعة. ونما جنبا إلى جنب مع الدولة الرسمية جهاز للمؤسسات الحزبية، مع إعطائه مسؤوليات متداخلة، وهذا أدى بالإدارات والمنظمات بالدخول في كثير من الأحيان طرفا في صراع بسبب تحديد تلك المسؤوليات، وكان يمكن أن تحل الخلافات فقط بواسطة الهيئات العليا،

وأحيانا من هتلر نفسه فقط.

وقد استجاب المؤرخون بالكتابة حول هذه الفوضى القانونية والتساؤل حول كيف كان يمكن اتخاذ القرارات المهمة وسط هذه الفوضى ؟ وقد شجع هذا النقاش بين المؤرخين الذين يدعمون نظرية « التعمد » ويسمون 'intentionalists' مثل لوسي داويدوويك Dawidowicz أو آلان بولوك ، اللذان يشددان على أهمية تحديد الإيديولوجية النازية ، ومن ناحية أخرى مؤرخون «البنيوية» structuralists ' مثل : كارل ديتريش براتشر أو مارتن بروزات ، اللذان يشددان على الدور الذى لعبته الفوضى الداخلية والأحداث الخارجية ، فى طمس الحكم الذاتي للدولة النازية. ومع ذلك ، يأكد « أيان كيرشو» عدم جدية وزيف تلك المناقشة المطروحة. وتقريبا كان جميع المشاركين فى تلك الأطروحة يتقبل كلا من فكرة الأهمية الإيديولوجية للنازية ، وكذلك دور الضغوط الخارجية. وعلاوة على ذلك ، كان ذلك يهدف إلى التركيز على أهمية قرارات الدولة لتفويت الفرصة أمام الاستمرارية في الانقسامات الطبقية والتي استمرت لتشكل فيها بعد هيكل المجتمع الألماني.

وخارج بيروقراطية الدولة ، لم تنكسر البنية الطبقية الموجودة حينها ، ولكنها توسعت. كما هو الحال في إيطاليا ، فالطبقة التي استفادت أكثر من غيرها من الحكم الفاشي هى طبقة كبار الصناعيين وأصحاب الأراضي.و بين عامي ١٩٣٢ و ١٩٣٨ ، ارتفع دخل أصحاب العمل في المتوسط بنسبة ١٤٨ في المائة. وقال « تيم ماسون» : إنه بعد ١٩٣٦ فقدت الطبقة الرأسمالية قدرتها على البت في مسائل ذات الأهمية الوطنية ، وبالتالي أن تقلصت مواقف البرجوازية السياسية والاقتصادية من السلطة : 'فمنذ عام ١٩٣٦ فصاعدا كان إطار العمل الاقتصادي يحدد بواسطة القيادة

السياسية وعلى نحو متزايد.

و على الرغم من ذلك ،فمن الصعب القول وقتها أن الدولة الفاشية كانت تعمل ضد المصالح التجارية. وارتفع متوسط الأرباح ما بين ١٩٣٣ ونهاية عام ١٩٣٦ ، بنسبة ٤٣٣ في المائة. وزادت أرباح المجموعة الدولية «فاربن Farben » من ٧٤ مليون مارك ألمانى في ١٩٣٣إلى -٢٤٠ مليون مارك في عام ١٩٣٩. وفي الوقت نفسه ، ارتفعت مساهمات الشركات في حزب النازي من ٣,٦ مليون إلى ٧,٥ مليون مارك ألمانى. وساهمت أكبر التجمعات ، بما في ذلك المجموعة الدولية فاربن Farben، و أيه إى جى AEG ،و« دايملر بنز» ،و شركة كروب للتأمين وشركة « أليانز» ، جميعهم ساهموا في المجهود الحربي. كما استفادوا جميعا من الحرب والمحرقة (الهولوكوست) على حد سواء.

ويقول عدد من المؤرخين ، بما في ذلك «عمر بارتوف » و «أيه لاتك »: إن الدولة النازية حققت درجة غير عادية من الدعم الشعبي. ويمكن الاطلاع على الأدلة التى تشير هذا الرأي في رسائل الجنود الصغار ، والتي تكشف عن أنهم كانوا يؤيدون الحرب بشكل أكبر مما كان عليه نظر ئهم في إيطاليا. ومن الصحيح أيضا أن بوادر الدعم تواجدت في كل مكان ...... في الملابس الجديدة، والعادات التي جلبها النازيون معهم، وفي الوجوه العاشقة في التجمعات الكبيرة ، وفي شعبية «الشارات النازية» وشعبية من كنوا فى المجموعات الرسمية.

ومع ذلك ، فإنه بالتأكيد ليس صحيحا أن جميع الألمان كانوا مؤيدين للنظام. وكانت هناك مجموعة متنوعة من ردود فعل متفاوتة على مر الزمن وعبر الأجيال والطبقات. فبعض الألمان تقبلوا النظام قبولا تاما ، وآخرون كانوا أكثر تحفظا أو غير مبالين. وقد عارضت أقلية فقط من الألمان الدولة النازية.

فمـن الواضـح أن الفرصـة الأخـيرة لمقاومـة نظـام هتلـر كـان يمكـن أن تـأتى في الأشهر التي سبقت حصول هتلر على منصب المستشـارية ، في ينـاير ١٩٣٣ . ومع وصول هتلر للمنصب ، فقد هذا الاحتمال. ويمكـن التأكـد مـن هـذه الملاحظـة مـن الكتابات الرائعة التى سجلها « دانيال غيرانDaniel Guérin » ، وهـو اشـتراكي ثوري فرنسي ، والذي كان يؤيد بقوة دعوات «تروتسكي » لتوحيـد مقاومـة الطبقـة العاملة ضد الفاشية. وسافر دانيـال إلى ألمانيـا في آب / أغسـطس وأيلـول / سـبتمبر ١٩٣٢ . ونتيجـة لأنـه نقـابي وكاتـب بـارز ، تـم السـماح لـه بالوصـول إلى عـالم الديمقراطية الاجتماعية ، وتوفير أماكن للاجتماع الرسمي بمؤيديه. وعـاد في نيسـان / أبريل ١٩٣٣ ، حيث كان يخبئ سجلات رحلته في إطار دراجته. ووجـد «دانيـال غـيران» أنـه تـم تـدمير الديمقراطيـة الاجتماعيـة الألمانيـة ، وكـذلك شـيوعيي بـرلين الحمراء. ووصف الشباب العاطل من الشيوعيين الـذين تـم كسبهم واجتـذابهم إلى «الوطنية البلشفية» للحزب النازي ، في حين كان معلقـا عـلى مقـر نقـابتهم الصـليب المعقوف رمز النازية. أما الاشـتراكيون مـن أبنـاء الطبقـة المتوسـطة ، فقـد استسـلموا للنظام ، وكان معظمهم ممن كان لديهم قناعة بمعارضـة النظـام في السـجن أو ميتـا. وبحلول نيسان / أبريل ١٩٣٣ ، كان النازيون قد خصصـوا حتـى الأغـاني وأعـلام بمناسبة «هزيمة الاشتراكيين» ، ويقول دانيـال غـيرأن ، الحركـة العماليـة تشـابه بكـل شكل من الأشكال ما كانت عليه قبل بضعة أشهر.

لقد كان فشل الحزب الديمقراطي SPD ، والاشتراكي KPD ونقابات العـمال فى تقديم مقاومة واضـحة قبـل عـام ١٩٣٣ يعنـي أن المعارضـة للنـازيين لم يكـن لهـا أيديولوجية بديلة أو هيكل تنظيمـي واضـح لمعارضـة النظـام النـازي حينهـا. وبهـذا المعنى ، فإن المعارضة الألمانية لهتلر كانـت عـلى عكـس المقاومـة في أوروبـا ، ونتيجـة

لذلك، حقق النازيون نجاحا ملحوظا في سحق المنظمات المعارضة. أما بالنسبة للسلطة، كان الحزب النازي أيضا قادرا على استخدام السلطة التي اكتسبها جراء الاتفاقات التى أبرمها مع النخب التقليدية، من حيث عملية «تنسيق» مؤسسات الدولة القائمة.

وكان لزاما على الجيل الثاني من جماعات المعارضة، التى نشطت في الفترة من ١٩٣٦ فصاعدا، على العمل في ظروف صعبة للغاية، فقد تم اعتراضها من قبل عدد كبير من الوكالات الحكومية وكانوا يعيشون فى محيط من الرعب المطلق. وكانوا يتسللون من منازلهم إذا أرادوا البقاء على قيد الحياة، وكانوا يتلقون أيضا القليل من المساعدات من حكومات أجنبية. وتلك الجماعات المعارضة كان لها تنظيمات مجتمعيه فى السابق متمثلة فى المؤسسات القانونية مثل النقابات العمالية التي استولى عليها النازيون أو سحقوها تماما. وعلى الرغم من هذه القيود، كانت لا تزال هناك معارضة، والتي تواجدت على عده مستويات مختلفة كما يلى. أولا، كان هناك تنظيم لأعمال المقاومة، ضد النظام بهدف استبداله. ومن الأمثلة على ذلك أعضاء الحزب الشيوعي، وخاصة في الفترة بين الأعوام من ١٩٣٣-١٩٣٦، الذين حاولوا بناء منظمة جماهيرية غير مشروعة وذلك بهدف إسقاط هتلر من خلال العصيان المسلح. وفي المصانع الكبيرة في مناطق الطبقة العاملة، واصلت أعمال المقاومة نشاطها، بما في ذلك توزيع المنشورات ورفع الشعارات خلال فترة النازية. و كانت مجموعة «روز وايت» من إحدى فئات المقاومة، والتى نشطت في ميونيخ في ١٩٤٢-١٩٤٣. وكانت هذه الأخيرة تضم الطلاب الذين وزعوا المنشورات، داعيين إلى التخريب والمقاومة السلبية ضد النظام. ثم كانت هناك معارضة جزئية ومحدودة نوعا، ولكن لا تزال واعية ومعادية علنا على الأقل

للقرارات المتخذة من قبل النظام، والتى شملت فئة فردية من العمال ، الذين حاولوا كسر الصمامات في مصانعهم ، والمحولات و تعطيل أو تخريب الإنتاج في زمن الحرب.

و هذا المستوى من الاحتجاج شمل أيضا جماعات مثل «قراصنة إديلويس » Edelweiss Pirates و جاء معظمهم من الطبقة العاملة و من خلفيات شيوعية في كثير من الأحيان ، والذين هاجموا أعضاء من منظمة شباب هتلر ،ومثال آخر بمجموعه «شباب سوينغ» Swing Youth ، وهم طلاب من الطبقة المتوسطة والذين تركوا شعرهم ينمو طويلا ورفضوا القيود التى فرضتها الحرب. أما المثال الأكثر شهرة لهذا المستوى من المعارضة فكان مؤامرة قامت بها مجموعه تدعى قنبلة شتاوفنبرج Stauffenberg Bomb Plot فى تموز / يوليو ١٩٤٤ ، والتى ضم تنظيمها كبار الشخصيات العسكرية الذين كانوا قد لعبوا أدوارا كاملة في نظام الحرب النازية ، ولكنهم كانوا من الذين رأوا أن هتلر كان يقود ألمانيا للهزيمة وأنه هو من حاول اغتيال الفوهرر.

وأخيرا ، كان هناك انشقاق لتعبير الناس عن مدى الاختلاف مع النظام النازى. فقد قام عدة ملايين من الألمان بالمشاركة في أشكال من الاحتجاجات من هذا النوع ، فقاموا بحجب أولادهم من الانضمام لمنظمة «شباب هتلر» ، والاستماع إلى إذاعات العدو ، أو تمزيق اللافتات أو الملصقات للسامية.

وجاء مقتل ستة ملايين يهودي ليقف شاهدا على وحشية الفاشية في نهاية المطاف. واستخدم النازيون أساليب القتل الصناعية ، وقتلوا ضحاياهم من اليهود بشكل منهجي في مصانع الموت التي تكررت بشكل يومى تحت مظلة الرأسمالية.

إن المحرقة هي أفظع جريمة تم ارتكابها فى حق الإنسانية ، وأكبر عملية قتل

جماعية غير عادية ومنتظمة في التاريخ. وعلى الرغم من أن العديد من المؤرخين حاولوا فهم عمليات القتل هذه ،ولم تتواجد إجابة واحدة مقبولة تفسر لماذا وقع ذلك الحدث. وغالبا ما تركزت المناقشات بشأن مسألة ما إذا كانت المحرقة يجب أن ينظر إليها باعتبارها سياسة نظام محدد ، أو أن تلك المحرقة كانت كرد فعل على الأحداث. وهذا ، بدوره ، أدى لمحاولة المؤرخين للبحث عن وثيقة واحدة تفسر هذا الأمر تكون قد أصدرتها القيادة النازية العليا تفيد أن ذلك الحل النهائي بتنفيذ الهولوكوست يجب أن يبدأ. ولم يتم العثور على أية وثيقة من هذا النوع ، على الرغم من أنه يبدو واضحا أن مؤتمر وانسي Wannsee Conference في يناير ١٩٤٢ وضع إشارة بأن الدولة ككل ترى أنه ينبغي تمديد عمليات القتل.

ومن المؤكد أن الغالبية العظمى من عمليات القتل وقعت في غضون فترة قصيرة من الزمن وذلك بين ربيع عام ١٩٤٢ ونوفمبر ١٩٤٤. وكانت وقتها أوروبا الشرقية وألمانيا تخسران الحرب. ومن الواضح أيضا أن التسلسل الهرمي للحزب النازي كرس عدد قليل نسبيا من أفراده للقيام بالمحرقة ، حيث أن غالبية جرائم القتل قد ارتكبت من قبل أناس من خارج النازيين.

وكان هناك نقاش كبير حول السبب في أن المحرقة وقعت في ألمانيا وليس إيطاليا . وحتى قبل عام ١٩٣٩ ، بدا أن الإرهاب الذي وصل إليه النازيون ، كان أفضل وأكثر انتظاما. ويعزى هذا التباين من حيث الفروق الفطرية بين الفاشية الإيطالية والألمانية النازية. ومع ذلك ، وعلى الرغم من أنه صحيح أن الفاشية الإيطالية كانت أقل همجية من الفاشية الألمانية ، فإنه من الصحيح أيضا أن كلا من الحكومات وأنظمة القمع فى كلا البلدين قد تأسست على قاعدة مماثلة من الدعم والعمل في نفس الاتجاه. وقد سرد «إيان كيرشو » أوجه التشابه بين الفاشية الألمنية والإيطالية الحاكمة كما يلى :

- **الفاشيين في السلطة** Fascisms In Power

تمثل الفاشية قومية «شوفينية» chauvinistic متطرفة مع نزعة توسعية إمبريالية واضحة؛

• مضاد للاشتراكية، وما صاحبها من مناهضة للماركسية و التي تهدف إلى تدمير الطبقة العاملة والمنظمات الخاصة بها والقضاء على الفلسفة السياسية الماركسية.

• تتكون فى الأساس من حزب جماهيري مستمد من جميع قطاعات المجتمع، على الرغم من وضوح الدعم له من الطبقة الوسطى إلا أنه اجتذب الفلاحين والمشردين من مختلف القطاعات أو القطاع السكانى الذى يعانى من عدم الاستقرار إلى حد كبير.

• التركيز على الجاذبية الشخصية للزعيم الشرعي(الكاريزما).

• التعصب الشديد تجاه كل المعارضين، والإعراب عن رأيهم عن طريق الارهاب، والعنف والقمع بقسوة.

• تمجيد النزعة العسكرية والحرب، وزيادة فى ردة الفعل الناجمة عن الحرب العالمية الأولى للأزمات الاجتماعية والسياسية في أوروبا؛

• الاعتماد على «التحالفات» مع النخب الصناعية والزراعية والعسكرية والبيروقراطية القائمة، وذلك لتحقيق اختراقات سياسية.

• وعلى الرغم من الخطاب المعادي للإنشاء للثورة الشعبية، فإن وظيفتها الأولية على الأقل، تركز على تحقيق الاستقرار أو استعادة النظام الاجتماعي والهياكل الرأسمالية.

وعلى الرغم من أن الغرض من هذه القائمة السابقة هو تذكير بأهمية أوجه

التشابه بين الفاشية الإيطالية والألمانية ، إلا أنه لا بد من وضع شرح للفروقات بين النظامين. فالحجة التى تطرح نفسها بشكل أكثر إلحاحا هنا هى أن الأحزاب الفاشية الإيطالية والألمانية هى نتاج لأزمات مختلفة. فلقد تأسست الرأسمالية الألمانية منذ وقت طويل ، فهى أقدم من الرأسمالية الإيطالية بمراحل ، وكذلك أن الدولة الألمانية هى أكثر قوة ، ولكن تم تقويض كل من الدولة و رأس المال على مدار ١٥ عاما من الأزمات ، حيث تعرضوا للتهديد من قبل ما كان يعتبر آنذاك «أقوى حركة للطبقة العاملة في العالم». وتلك الحركة مثلت أكبر عمق للأزمة التى واجهتها الفاشية بحيث كان الأمر يستدعى التوصل إلى حل أكثر جذرية ملحا وضروريا ، وهذا ما يفسر لماذا كان لا بد للفاشية الألمانية أن تكون أفضل تنظيما.

إن قيمة «قائمة كيرشو Kershaw's list » هى أنها توفر الحد الأدنى البديل للفاشية لأولئك المؤرخين الذين يؤمنون بأن الممارسات الفاشية وأفكارها هى العناصر المميزة لتلك الفاشية. ويتمثل ضعف الفاشية فى كونها نموذجا تاريخيا ثابتا ، ومع ذلك لا تزال الفاشية تستبقى قوة لها في المجتمع الأوروبي ، ونظريتها لا تزال تمسك بزمام الأمور مما يعطيها حيوية وديناميكية لكى تظل قائمة ومستمرة فى الوجود.





طريقة بديلة
An alternative method

وبعد سرد موجز لهذه الفاشية كحركة وكنظام للحكم ، فهذا يدل على أنه من الممكن بناء نظرية بديلة للفاشية. وسوف نحتاج إلى تعريف ملامحها .

وفيما يلي الخطوط العريضة لوضع مثل تلك النظرية:

أولا : يجب أن تكون نظرية أكثر صلابة وحسما ، أي أنه ليس من المناسب استخدام الأساليب والأفكار الفاشية التى جاء بها المفكرون واعتبارها جزءا من محاولة فهم الفاشية كقوة تاريخية.

ثانيا : إن أي نظرية جديدة يجب أن تكون أيضا «تفسيرية» بمعنى : أنه لا يكفي وصف الفاشية في المقام الأول بناءا على مجموعة من الأفكار المستخرجة من التجربة البشرية ، ولكن تلك الأفكار فى حد ذاتها يجب أن تفسر بشكل أوضح. فمثلا إذا قال «روجر غريفين» أن الفاشية تعتبر شكل من أشكال القومية ، فإن هذه القومية أيضا يجب تفسيرها بشكل دقيق.

وفي نهاية المطاف ، فإنه يمكن القول بأنه لا يمكن فهم الأفكار الفاشية الا مرتبطة بنظرية مجتمعية. فأي نموذج من الفاشية يتطلب عوامل مجتمعية داخلية أدت الى ظهور تلك الفاشية ، وساعدت الأحزاب الفاشية على النمو.

وعندما يتعلق الأمر بوضع مثل هذه النظرية ، فإن الأفكار الماركسية الكلاسيكية تكون مفيدة بشكل خاص. و من ناحية الماركسية الكلاسيكية ، أود أن أشير إلى ما قام بوصفه «إسحق دويتشر» بأنه 'هيئة الفكر» التى وضعها ماركس وانجلز ، ومعاصريهم من قبل ، وتناولها من بعدهم كل من ... لينين ، تروتسكي ، و روزا لوكسمبورغ.

إن التقليد الماركسي يمثل قيمة خاصة فى فهم الفاشية ، وذلك لثلاثة أسباب رئيسية. أولا ، إن الماركسية أمر مرتبط كليا بالفاشية : فالماركسيون وحدهم هم

الذين قدموا معارضة شاملة لمعظم الأحزاب الفاشية.

ثانيا ، أن الماركسية تفسر الفاشية : فهي تفسر نمو الفاشية فى نطاق أوسع من خلال نظرية تسعى لشرح مجمل العلاقات الاجتماعية في ظل الرأسمالية. ولأن الماركسية تهدف الى شرح كل شيء عن المجتمع ، فالنظريات الماركسية تتسم بحساباتها الدقيقة. ومن المعروف جيدا أن المواضيع الماركسية والفئات التفسيرية يمكن فهمها على نطاق واسع : فالماركسيون لا يمكنهم إخفاء أي تناقضات في تحليلهم لفئات جديدة مثل الفاشية ، أو من التذرع بكون تلك الحالات تمثل إستثناءا. وأخيرا ،وبما أن الماركسية مجهزة بناءا على طرق جدلية ، لذلك فإن هذا التجهيز الفريد للماركسية يتيح لها شرح التناقضات فى قلب الفاشية نفسها.

وحتى هذه اللحظة ، لا توجد نظرية أكثر شيوعا بين مؤرخي الفاشية من نظرية الماركسية .ولكن السبب في ذلك يأتى من فكرة خاطئة للعديد من المؤرخين الغير ماركسيين بأن تعريف الماركسيين يمكنه أن يفسر الأفكار الفاشية بشكل فريد فقط عند ربطه بالحقائق الاقتصادية .وهكذا ، فقد جادل روبرت فليتشر أن النظرية الماركسية عن الفاشية هى التي تحدد العلاقة السببية للفاشية في المقام الأول في تطورها داخل القاعدة« الاقتصادية »للمجتمع .وبالمثل ، وقد وصف المؤرخ اليهودي رينزو دي فيليس تعريفات للماركسية مثل تلك التي ترى أن «الفاشية كمنتج للمجتمع الرأسمالي ، وكرد فعل معادي للبروليتاريا» . وذهب بعض الماركسيين مع هذه الفكرة بأن تفسيرات الماركسية تعتمد بكل بساطة على النواحى الاقتصادية . ويقول «هوارد سيمسون »: إن السمة المميزة للنظريات الماركسية عن الفاشية هو محاولتها لتفسير الفاشية كظاهرة رأسمالية .ويزعم مارتن كوك بأن السمة المركزية فى جميع النظريات الاشتراكية عن الفاشية هو الإصرار على العلاقة

الوثيقة بين الفاشية والصناعة.

وهناك عنصر من الحقيقة في هذا، لكن ما هى إلا حقيقة جزئية .فالقول بأن الماركسيين قاموا بتعريف الفاشية فقط من حيث صلتها بالرأسمالية، لا يعني أن جميع النظريات الماركسية ترى أن الفاشية مجرد انعكاس للمصالح الاقتصادية لطبقة اقتصادية واحدة أو فئة اجتماعية معينة. ولكن هناك العديد من المؤرخين الذين قاموا بتوضيح النظريات الماركسية عن الفاشية مع الإشارة إلى عوامل لا ترتبط بالنواحى الاقتصادية. فقط، وتشمل هذه العوامل «علم النفس»، كما هو الحال بالنسبة لمنهجية «مدرسة فرانكفورت »، أو عوامل تتناول وجود حزب ثوري من عدمه، كما في تفسير «جيوفاني زيبوردى »، أو نجاح أو فشل الطبقة الحاكمة في الترويج لأيديولوجيتها المهيمنة، كما هو الحال مع أنطونيو غرامشي.

وبعبارة أخرى، تبدأ النظريات الماركسية بتفسير الفاشية من خلال المجتمعات الرأسمالية التي نشأت فيها تلك الفاشية، ومن ثم الاستمرار من خلال شرح الفاشية فى الإشارة إلى التناقضات داخل الرأسمالية كنظام للحكم الطبقي .وهكذا، فمن السهل أن نرى بعض المشاكل مع أي تعريف للماركسية . فالرأسمالية هي فئة اقتصادية، وهى تمثل شكل من أشكال المجتمع يميزها عن غيرها من المجتمعات، وهى في المقام الأول لها علاقة قوية بالإنتاج .

ويمكن أيضا تمييز الاقتصاد الرأسمالي عن طريق ديناميكيته التراكمية، والمنافسة بين كتل رأس المال. وإزدهار الرأسمالية و نمو الأرباح، ولكن هذا النظام أيضا في حالة من الانحدار. إن الفجوة بين زيادة سرعة الإنتاج وبطء الزيادات في الأجور تمثل وقود للأزمات الاقتصادية حيث تؤدى إلى النقص فى الاستهلاك والإفراط في الإنتاج. كما أن الميل إلى توظيف عمال أقل من أي وقت مضى للعمل على الآلات

يعني إثقال لكاهل النظام عن طريق زيادة التكاليف ، وبالتالي يترتب على ذلك انخفاض فى معدل الربح.

وبقدر ما يصف الماركسيون الرأسمالية على شكل سلسلة من العلاقات الاجتماعية ، فيترتب على ذلك أن الفاشية تتصل بواحدة أو أكثر من الفئات الرئيسية في المجتمع ، وهما الطبقة العاملة والطبقة الحاكمة. وبقدر ما يصف الماركسيون الرأسمالية من حيث «دينامية أو حيوية التراكم» ، فيترتب على ذلك انه يمكن تفسير الفاشية من حيث الآثار الاجتماعية المترتبة على هذا التراكم : ويمكن رؤية الفاشية باعتبارها نتاج الغربة ، أو نتيجة للأزمات الاقتصادية. و يرى الماركسيين ضرورة الربط بين التفاعل الحيوي بين هذه النواحى التى تمثل القاعدة الاقتصادية وبين الظروف الاجتماعية والسياسية والأيديولوجية. فعلى سبيل المثال ، وفي إطار تعريف الماركسية ، فإن التعامل مع الفكر لوحده لوصف الحالة الاقتصادية ، سيكون بمثابة مرآة مشوهة ، لأنه سيعكس التجربة الاقتصادية لطبقة معينة ، ومن ثم يقوم بممارسات لإعادة تشكيلها. إن العلاقات الاقتصادية لا تحدد الوعي ، ولكنها تضع له شروطا ، ومن تم تتأثر تلك الشروط ذات نفسها به. ويترتب على ذلك أن أي تعريف ماركسي عن الفاشية كفكر يجب أن يشتمل على بعض الوعي بالتناقضات المحتملة بين اقتصاديات الرأسمالية والاستنتاجات السياسية التي رسمها الأفراد الذين يعيشون في ظل هذا النظام.

ومن المهم أيضا أن أقول شيئا عن دور التعريفات الواردة في الأسلوب الماركسي. فبالنسبة لماركس ، فقد صمم نظرية «تجريدية بسيطة » لزيادة مستوى الفهم. وكان لا بد من إعادة تشكيل تلك التجريدية، وليس مجرد مطابقتها مع الواقع. وفي كتابات كارل ماركس لوضع الخطوط العريضة لنقد الاقتصاد السياسي

المسمى« جروندريس Grundrisse » ، انتقد ماركس الاقتصاد السياسي لمعالجته ومعاملته للتجريدية على أنها أشياء جامدة ، وكان ينبغي من باب اولى أن تفهم على أنا عمليات فيقول : إذا تم استخلاص شكل محدد من أشكال رأس المال بعيدا ، وتم التشديد فقط على المحتوى... فسينظر إلى رأس المال على انه «شيء» ، وليس «علاقة» ... في حين ، أن رأس المال فى الواقع ليس «علاقة بسيطة» ، ولكنه عملية يكون هو فيها دائما «رأس المال» في مختلف اللحظات.

وقام« هنريك غروسمان» ، وهو عضو في مدرسة فرانكفورت الماركسية المساوية ، بتطوير هذه الحجة في عام ١٩٤٠ ، مصرا على أن التعريف الماركسي معني «بمضمون العملية» ، وليس «بشكلها الثابت» ويقول: إن ماركس يرفض الرأي القائل بأن المعرفة تتمثل في «التصنيف» و«التعريف» ، وأن مهمة العلم هي ببساطة «اكتشاف المعيار العقلاني للتصنيف». وهذا هو النهج الثابت للكلاسيكيين ، و لذين ينظرون الى الظواهر الاجتماعية على أنها «هياكل غير قابلة للتغيير» . ومن ناحية أخرى ، فإن ماركس هو المتحدث باسم نهج « الدينامية الجديدة». هذا هو السبب في أن الظواهر الاجتماعية ، في رأيه ، هي في الواقع لا يمكن تعريفها على حد قوله . وأنه لا يوجد عناصر «ثابتة »أو «أبدية » أو« مواصفات» ولكن فى نظره أن تلك الظواهر الاجتماعية « قابلة للتغيير المستمر».

واقترح غروسمان أن التفسيرات الأكثر فعالية للظواهر الاجتماعية لا بد لها من التطور. وينبغي أن التقاط ديناميكية العملية ، بنفس الشكل الذى تطورت فيه عبر التاريخ : فالتعريف يجب أن يحدد السمات السطحية من شيء في أي لحظة أو فترة زمنية ،و بالتالي يحول هذه الصفات إلى شيء «دائم وثابت». ولفهم هذه الأمور لا بد من معرفة كيف تم توارثها ، والتحولات المتوالية لها ، وبالتالي يمكن وقتها

الكشف عن جوهرها ،وأفكارها.

في حين أن أسس دراسات الفاشية تحتوى على قائمة من الأشكال النمطية للفاشية ، وأفضل النظريات الماركسية عن الفاشية، هى تلك التى كانت أكثر اهتماما بالفاشية من ناحية «الممارسة الحيوية» أو الديناميكية لها - و حاول الكثير فهم الفاشية من حيث الطرق التى تطورت وتغيرت الفاشية من خلالها. وقد وضع الماركسيون تعريفات عن الفاشية ردا على صعود الفاشية واتخذوا تلك التعريفات بناءا على تحليل ما قامت به الفاشية فعلا.

- **الماركسيون قبل الفاشية** Marxists before fascism

وحتى قبل وجود الفاشيين ، كان هناك أفراد ومنظمات تتعاطى بلغة ومفرادات الحركات الفاشية التى جاءت فى وقت لاحق. فقد كان هناك السلطويون والمحافظون والإمبرياليون وأعداء للسامية ، جميعهم كانوا هناك قبل ظهور الفاشيين. لذلك فليس من المستغرب أن أسست النظرية الماركسية عن الفاشية في سلسلة من الكتابات التي تسبق تاريخ صعود الأحزاب الفاشية. وكانت المواضيع الرئيسية التى تتناول أمورا مثل مفهوم الاشتراكية الرجعية أو فكرة وجود حكم «برجوازي بدون برجوازيين» ، كلها كانت جزء من المفردات الماركسية حتى قبل تواجد الأحزاب الفاشية. وبهذه الطريقة ، يمكن القول : إنه كانت هناك نظرية ماركسية عن الفاشية حتى قبل وجود الفاشية. ويمكن رؤية عناصر هذه النظرية في أربعة مصادر : ماركس وإنجلز فى كتابهم «البيان الشيوعي» ،ثم ماركس فى كتابه «الثامن عشر من برومير(برومير تسمية لأحد الشهور) لـ «لويس بونابرت» ، وأيضا جاك لندن في «الكعب الحديدى وإمبريالية لينين».

وتمت كتابة البيان الشيوعي في عام ١٨٤٨ ، بتكليف من مجمع الدول الشيوعية

والذي كتبه ماركس، واعتبرت تلك الدول أن البيان يعبر عن « حركة جديدة ثورية ودولية للاشتراكية. وفي أعقاب خطة العمل الخاصة ب « ماركس»، والتى قام بها في وقت سابق من قبل إنجلز، والتى شملت قسمين يعتبران ذى أهمية. فالقسم الأول، تضمن الخطوط العريضة الكاملة للماركسيين عبر التاريخ، وقدم فى هذا القسم مثالا على الطريقة والتي سوف تستخدم في وقت لاحق من الماركسيين لتفسير الفاشية. أما القسم الثاني ذو الصلة، فهو مقطع قصير فى الجزء الثلث من البيان، والذي قام فيه كل من ماركس وإنجلز بتحليل مختلف منافسيهم الإشتراكيين. ولا سيما استخدامهما تعبيرا وصفيا لفئة اسموها «فئة الاشتراكية الرجعية»، وكانوا يقصدون بها الأيديولوجيات السياسية التي سعت إلى ربط البروليتاريا بتلك الفئات الاشتراكية من خلال عمليات رأسمالية أدت إلى تدميرهم فى النهاية. ثم ما قاموا بوصفه ب « تراجع الأرستقراطيين الاقطاعيين»، وهم الفئة التى سعت إلى ربط مصالحها بالطبقة العاملة وبالتالي فقد أدى ذلك إلى ظهور ما يسمى بـ «الاشتراكية الإقطاعية». وبالمثل، فإن تراجع المنتجين الصغار، والبرجوازية الصغيرة، ولدت بعد ذلك ما يسمى بـ «البرجوازية الصغيرة» أو «الاشتراكية الألمانية».

وهذا المفهوم للاشتراكية الرجعية والنظريات سيكون ذا صلة وثيقة في وقت لاحق بالفاشية لعدة أسباب. أولا، لأنه يؤكد على الربط بين الأفكار السياسية والمصالح الاقتصادية. وفي وقت سابق، في البيان الشيوعي، صور كل من ماركس وإنجلز الأيديولوجية باعتبارها مشروطة بمجموع العلاقات في المجتمع، وهناك تساءل حول «ما الذى يبرهن عليه تاريخ الأفكار هذا»، هل يدل على أن طبيعة التغيير في الإنتاج الفكري تتناسب دوما كلما تغير الإنتاج المادي ؟

و عندما قام كل من ماركس وإنجلز بتعريف منافسيهم الاشتراكيين باسم «إقطاعيين» ، أو «برجوازيين» ، أو «صغار البرجوازيين» ، ذهبوا أبعد من ذلك ، واقترحوا أنه يمكن أن إيجاد « علاقة أوثق بين الأفكار والاقتصاد». فمضمون كلامهم أنه يمكن النظر إلى الأيديولوجيات باعتبارها انعكاسا « لوضع فئة اجتماعية معينة» ، وتكون أيديولوجيات تختص بتلك الفئة أو الطبقة (أيديولوجية طبقية) . وباستخدام هذا المنطق بعناية ، فإنه يمكن التوصل لنتائج ذات قيمة.

وشمل بيان كل من ماركس وإنجلز أوصاف خاصة « بالبرجوازية الصغرى» (البرجوازية الصغيرة تمثل الطبقة المتوسطة الدنيا من أصحاب المتاجر والوظائف الكتابية وغيرها) ، فإن تلك الطبقة الاجتماعية من صغار البرجوازيين(كما يسميهم معظم الماركسيين)هم الذين كانوا في وقت لاحق يوفرون الجزء الأكبر من عضوية العديد من الأحزاب الفاشية:

وفي البلدان التي أصبحت فيها الحضارة الحديثة كاملة النمو ، فقد تم تشكيل فئة جديدة من البرجوازية الصغرى بها والتى تراوحت بين البروليتاريا والبرجوازية و هى تقوم بتجديد نفسها أكثر من أي وقت مضى كجزء مكمل ومتمم «للمجتمع البرجوازي». وأفراد هذه الفئة (صغار البرجوازيين) ، يتحركون باستمرار أسفل أقدام البروليتاريا بفعل المنافسة وتطور الصناعة الحديثة ، وأصبح الوقت يقترب مؤذنا باختفاء هذه الطبقة تماما من المجتمع الحديث.

وهناك نقطة أخرى تتعلق بوصف ماركس وإنجلز لأفكار معينة خاصة «بالرجعية». وهم يعنون أن هذه الأفكار كانت تسعى إلى إعادة إنشاء العلاقات الاجتماعية التي سادت في فترة سابقة. وعلى سبيل المثال «فالاشتراكية البرجوازية الصغيرة » سعت إلى إعادة إنشاء «أسطورية ذهبية» تتعلق بالملكيات الصغيرة :

فهذه الطبقة إما أنها تطمح إلى استعادة وسائل الإنتاج القديمة ، وعلاقات لملكية القديمة والمجتمع القديم ، أو إلى وسائل حديثة للإنتاج والتبادل ، في إطار علاقات الملكية القديمة أيضا . وفي كلتا الحالتين ، فإنها تمثل الرجعية والمثالية على حد سواء.

و هنا ، فإن ما قدمه كل من ماركس وإنجلز فى وصفهم للأفكار الرجعية التي تدفقت بالضرورة نتيجة لتراجع وضع البرجوازية الصغيرة. ، وقامت تلك الأفكار لرجعية في وقت لاحق بوصف الفاشية وصفا دقيقا.

وقد كانت الفاشية في القرن العشرين أكثر انتقائية رجعية من ذلك. فقد كانت لفاشية في القرن العشرين مثل البرجوازية الصغيرة في القرن التاسع عشر ، ودعا لفاشيون للعودة إلى عصر «السلام الطبقى» ، ولكن خلافا لما فعله أسلافهم ، كانوا معداءًا بالحفاظ على أدوات المجتمع الحديث ،سواءًا كان ذلك أسلحة ، أو فى مجال لصناعة وكذلك الطرق السريعة. وعموما ، ومع ذلك ، فإنه يبقى صحيحا القول أنهم (ماركس وإنجلز) كانوا رجعيين في وصفهم لـ«الاشتراكية» وحصلوا على دعم أكبر في أوساط البرجوازية الصغيرة ، و تناول ماركس وإنجلز جانبين من لتعريف الماركسي للفاشية والذان تكررا في وقت لاحق.

وتمت الكتابة عن الانقلاب الذى قام به لويس بونابرت فى الثامن عشر من شهر برومير في عام ١٨٥٢ (وكان شهر برومير الشهر الثاني في التقويم الجمهوري لفرنسي. وأصل تسميته كلمة «بروم» brume وهى كلمة فرنسية تعنى «الضباب » الذي غالبا ما يحدث في فرنسا...) والاحتفال بالانقلاب الذى قام به لويس بونابرت ، و نابليون الثالث في وقت لاحق. وكان فوز بونابرت استجابة لثورات ١٨٤٨ ، التي كان قد تنبأ البيان الشيوعي بها ، وهو البيان الذى شارك في وضعه

كل من ماركس وإنجلز.

وكما قيل عن سقوط لويس فيليب أنه كان بداية لموجة كبيرة من النضال الثوري ، فقد كان نجاح بونابرت يمثل نهاية تلك الموجة. و من وجهة نظر ماركس ومن خلال التوقعات التى قام بها في وقت سابق ، فقد كان انتصار بونابارت انتصارا يتطلب بعض التفسير. وذلك ربما نتيجة لاختلاف الظروف التي تم بمقتضاها الكتابة عنه ، والتحليل العميق لأحداث « الثامن عشر من شهر برومير» يعتبر في عداد المفقودين عند إعداد البيان الشيوعي : لأنه يصور البونابرتية كحركة ، وقوة اجتماعية قامت بتغيير شكل العلاقات الاجتماعية ، وكذلك وبسبب أن البونابرتية قامت بالسيطرة على الدولة. كان ماركس يصفها على أنها حركة مضادة للثورة ، حتى بعد أن حققت سلطة الدولة.

وقد وجد هؤلاء الماركسيون أنه من المفيد استخدام أحداث « برومير الثامن عشر» لشرح جوانب الفاشية لعدة أسباب. أولها أن البونابرتية تعطى مثالا على كيفيه استيلاء قوة اجتماعية ، لا تمثل إلا مجرد طبقة صغيرة داخل المجتمع على سلطة الدولة. ولقد نتج هذا عن سلسلة من التطورات داخل المجتمع الفرنسي. وعلى رأس تلك التطورات وجود طبقة اجتماعية صغيرة أطلق عليها « رعاع البروليتاريا أوlumpenproletariat ، وتلك الطقة فى الأساس كانت تتألف من أصحاب بيوت الدعارة ، الحمالين ، الأدباء.. والمتسولين. وكان هؤلاء الناس لا مصلحة لهم في العملية الإنتاجية ولم يكونوا اجتماعيين إلا بقدر ضئيل ، وكانت النتيجة أن أيدت تلك الطبقة بونابرت ، «قائد رعاع البروليتاريا»، حيث كان هو الشخصية التى تجسد شكواهم . أما العامل الثاني فتمثل فى عدم قدرة الفلاحين على اتخاذ النموذج نفسه فى تولى الحكم بأنفسهم، أما السواد الأعظم من الأمة الفرنسية فقد كانت مجرد

إضافة لجموع متجانسة ، تتشكل مثل «بطاطا في كيس»

ولذلك قام الفلاحين بدعم البونابرتية لأنهم لا يستطيعون أن يحكموا بأنفسهم ، تلك البونابارتية التي قدمت لهم أيديولوجية لحكومة قوية وغير محدودة. ومع ذلك ، فقد ارتبط العامل الرئيسي فى هذا الشأن بالعلاقة بين فئتين كانتا تحاولان الوصول إلى السلطة للهيمنة على المجتمع الفرنسي وهما : «الطبقة العاملة» و «الطبقة البرجوازية». وكان فشل الطبقة العاملة في المدن بالاستيلاء على السلطة خلال التمرد الثاني من يونيو ١٨٤٨ ، يعني الهزيمة لها وأن «الجمهورية البرجوازية قد انتصرت». ومع ذلك ، فقد كانت البرجوازية تمشى على استحياء للاستيلاء على السلطة. وكان حجم الثورات التى كانت فى يونيو / حزيران ، قد أعطى مؤشرا لبرجوازية بأن هناك خطرا كبيرا للغاية عليها حتى لو كانت حائزة للحكم بنفسها : "لقد كانت للبرجوازية بصيرة حقيقية بشأن حقيقة أن جميع الأسلحة التي كانت تـ ورها وتستخدمها ضد الإقطاع قد انقلبت عليها الآن».

وأوضح ماركس أن من المفارقات أن البرجوازية وهى الطبقة التي كانت تستخدم أساليب ثورية لقلب نظام الأرستقراطية الإقطاعية ، يمكنها بعد ذلك أن تعارض نفس الأساليب التى استخدمتها من قبل عندما قامت الطبقة العاملة بـ ستخدامها فى ثورتها المضادة ضد تلك البرجوازية . مما يدل على أن البرجوازية مستعدة لفعل أي شيء ، حتى إمكانية أن تقوم بالحكم بنفسها ، وذلك من أجل الحيلولة دون سيادة الطبقة العاملة .

ولقد قام ماركس بوصف البونابرتية في السلطة كشكل من أشكال المجتمع ا رأسمالي الذي مثلت فيه البرجوازية «الطبقة الحاكمة اقتصاديا » ، ولكنها (أي ا برجوازية) لم يكن لها تمثيل وسط النخبة السياسية الحاكمة. حيث إن هذا التوازن

بين القوى الطبقية مكن الدولة من أن تكون فى حالة تبدو فيها وكأنها مستقلة تماما. ولوهلة ،كان يبدو أن الدولة لم تعمل لمصلحة أي فئة ، وأنها كنظام حكم ، تقوم بما يمليه عليها صالح المجتمع ككل. وفي الواقع ، كانت الدولة قادرة على لعب هذا الدور الوحيد فقط نتيجة لتوازن قوى معينة فى ذلك الوقت بمعنى أن بونابرت كان يتصرف للحفاظ على المصالح الاقتصادية للطبقة الرأسمالية : من خلال حماية قوتها المادية ، وتجديد القوة السياسية لتلك الطبقة. وكانت النتيجة حالة أصبح فيها المجتمع الفرنسي لا يختلف كثيرا عن المجتمعات الرأسمالية الأخرى ، ولم تشكل وضعا استثنائيا ، فقط رأسمالية داخل دولة أقوى. وما كان ماركس يحاول استكشافه بعد ذلك هو فكرة المجتمع الرأسمالي الذي لا تكون فيه للبرجوازية سيطرة على السلطة السياسية فيه. وينظر إلى الطبقة الرأسمالية بأنها ترخى قبضتها طوعا عن مقاليد النظام السياسي. حيث إن حسابات الطبقة الرأسمالية تلك تعتمد على مبدأها الذى ينص على أنه : «من أجل الحفاظ على قوتها الاجتماعية، فلا مانع من كسر السلطة السياسية لتلك الطبقة الرأسمالية».

وفي الوقت نفسه ، فقد وصف هذا الامتياز للطبقة الرأسمالية على أنه مؤقت وجزئي. وكما ذكرت من قبل ، فالكتابة عن الثامن عشر من شهر برومير في عام ١٨٥٢ ، كان يصف انضمام بونابرت بشكل خاص إلى السلطة. وعندما تم إنشاء هذا النظام ، قام بما فى وسعه من اجل تشجيع نمو الصناعة. وتم تعيين مستشارين التكنوقراط ، بما في ذلك « ميشيل كيفالير» الذي كان المرشح الثاني الغير منتخب في البرلمان الفرنسي. وجمع «لو كروسو» بين رئاسة الجمهورية وفيلق يدعى «ليجيسلاتيف législatif (وكان هذا الفيلق جزءا من البرلمان الفرنسي خلال الثورة الفرنسية وما بعدها. وهو أيضا مصطلح عام الفرنسية يستخدم للإشارة إلى

أي هيئة تشريعية).

وبين ١٨٥١ و ١٨٦٩ ، زاد الانتاج الصناعي بنسبة ٥٠ في المائة ، كما زادت الصادرات بنسبة ١٥٠ في المائة. ونما عالم جديد من السكك الحديدية ، ومناجم الفحم والمتاجر ، والموصوفة بشكل دقيق في روايات «إميل زولا Émile Zola .

ولقد استفادت البرجوازية من المجتمع الرأسمالي ، لكنها لم يكن لها أى سلطة سياسية من تلك التي أوكلت للنظام ، وقدمت البونابرتية نموذجا يمكن مقارنته مع تجربة الفاشية الإيطالية والألمانية في السلطة. في كل حالة من هذه الحالات في وقت لاحق ، كان السياسيون الذين استولوا على السلطة قد وعدوا بوضع حد لشرور الرأسمالية ، ولكنهم فى نفس الوقت يدعون أن سلطة الدولة تقوم على أساس التحالف مع الطبقة الرأسمالية. ومرة أخرى ، وفي تجربة الفاشية الإيطالية والألمانية في السلطة في وقت لاحق ، قامت تلك الأحزاب الفاشية بإلقاء الخطابات المعادية للرأسمالية لإبقائها خارج السلطة ، في حين كانت السلطة تقوم بدعم قوي شركات الأعمال الكبرى ،وبذلك كانت المجتمعات الرأسمالية تضم الرأسماليين الذين لم يكن لديهم سيطرة على السلطة السياسية ، وسيادة البرجوازية دون أن يكون هناك أى إشراف نشط من تلك البرجوازية.

وكتاب جاك لندن المسمى «الكعب الحديدى» ، والذى تم نشره في عام ١٩٠٧، كان كتابا مختلفا تماما سواء عن البيان الشيوعي أو انقلاب الثامن عشر من برومير ، ولم يكن الكتاب ماركسيا من النوع الكلاسيكي ، ولكن كان فى شكل رواية ، وكتب في أسلوب مذكرات التي وصفت الأحداث بعد عدة قرون من حدوثها. وتكمن الفائدة من هذه الرواية في المقام الأول في حقيقة أن أعدادا كبيرة من الماركسيين قد رأوا فيها نبوءة تمهد للفاشية.

كما يمكن لهذا أن يقال : إن تلك الرواية تتضمن نظرية شبه ماركسية صلبة عن الفاشية. فالقصة تحوى موجة من انتصارات الطبقة العاملة ، والدعاية الناجحة والاضرابات والأصوات الجماهيرية الكبيرة في الانتخابات العامة. هذه الانتصارات تلتها فترة من ردود فعل معادية للبروليتاريا ، والتى سميت «بالكعب الحديدى». في الكتاب ، وقد استمرت ردود الفعل لهذه الانتصارات لعدة قرون ، قبل زوالها في نهاية المطاف.

ويرد وصف «الكعب الحديدى » أولا كحركة ثم كنظام. وبدأت الحركة في اجتماع لناد خاص يدعى «فيلوماثز 'Philomaths' ، حيث كان جميع أعضائه من رجال الأعمال الكبار. وترد فلسفة هذه الحركة في الكلمة التي ألقاها السيد «ويكسون Wickson الذى كان يرأس هذا النادى، ردا على الخطاب الذي ألقاه «إرنست » زعيم الاشتراكيين الثوريين فى ذلك الوقت ومضمونها كما يلى :

يجب أن نصيغ ردنا بعبارات من الرصاص. فنحن في السلطة. ولا أحد ينكر ذلك. وبمقتضى هذا الحكم ، فنحن سنبقى في السلطة... وسنقوم بسحق الثوريين تحت كعوب أقدامنا ، وسنقوم بالسير على وجوههم. إن العالم لنا ، ونحن الأسياد ، ويجب أن نظل كذلك.

والمعنى الضمني لهذا النموذج يمثل شكلا من أشكال رد الفعل الفاشي ، على الرغم من أنه يجب استخدام هذا المصطلح بطريقة محددة للغاية. فحكومة الأقلية ليست رجعية ، بالمعنى الذى استخدمه ماركس في كتابته للبيان الشيوعي ، فالأقلية لا ترغب في استعادة علاقات ما قبل الرأسمالية في الإنتاج. ومع ذلك ، فهي تعد رجعية بمعنى آخر ،وذلك لأنها ترغب في تأسيس الهيمنة المطلقة للدولة على الطبقة العاملة ، لأن العاملين هم الأغلبية في هذا المجتمع ، وهم أكبر شريحة فى المجتمع

ككل. والشكل الوحيد من أشكال المقاومة التي كان من الممكن أن تقوم بها تلك الأقلية هى نوع من حرب العصابات السرية. و لقد تم التركيز على سحق الطبقة العاملة باعتبارها طبقة جيدة التنظيم .

وهناك نوعان من المشاكل فى هذا الكتاب الذى يعد كمثال للنظرية الماركسية عن الفاشية. أولا ، على الرغم من أن المؤرخ « لندن» قد عمل وأعطى المحاضرات عن الحركة الاشتراكية ، إلا أنه لا يبدو أنه استفاض فى شرح الماركسية أو حتى الاشتراكية. ويقول جورج أورويل : « لهذا السبب ، فإن لندن يمكنه التنبؤ بالفاشية؛ لأنه لديه نزعه فاشية في نفسه شخصيا.

فلم تكن لحركة الكعب الحديدى حنكة سياسية توازى تلك الخاصة بالماركسية الكلاسيكية. فعلى سبيل المثال ، في أحد فصول الكتاب ، كان والد البطلة يسعى من خلال كتابه لإثبات أن جميع الأكاديميين يتقاضون أجورهم من الرأسماليين. وردا على ذلك قام الرأسماليون بتدمير كتاب الأب ، وحرموه من وظيفته وأزالوا ممتلكاته.

وفى رأيي أن هذا الفصل غير مقنع ، لأنه ينظر إلى الرأسماليين من خلال عمل فردى لشخص واحد. ولم تكن ل «جاك لندن» أدنى فكرة فى أن السيطرة السياسية لا يمكن أن تكون خفية أبدا!

ثانيا ، لم تكن لـ « جاك لندن» نفسه أي خبرة عن أى حركة أو نظام فاشي فعلي . ونتيجة لذلك ، فالحركة شبه الفاشية التى يصورها جاك لندن ، مثل الكعب الحديدى» ، هى على عكس الأحزاب الفاشية الفعلية التى ظهرت فى الأعوام ١٩٢٠ ، ١٩٣ ، ١٩٨٠ و ١٩٩٠ من نواح كثيرة. فالشخصيات الرئيسية في الكعب الحديدى هم «أقلية» من أغنى رجال الأعمال : «والذين يعتقدون أنهم وحدهم من

يمكنهم الحفاظ على الحضارة ... وأن بدونهم ، ستعم الفوضى وستتقهقر الإنسانية الى الوراء في ظلمات من البدائية التي ظهرت منها تلك الإنسانية فى الأساس وبشكل مؤلم.

وتلك الأقلية كانت تحث على العنف ضد الطبقات الأخرى داخل المجتمع: فقد قامت أول الأمر بتدمير أصحاب الأعمال الصغيرة ، ثم المزارعين ، ثم الطبقة العاملة. وهذا يشير إلى مشكلة واضحة لم يستطع الكعب الحديدى الإجابة عليها. وتستند الحركة الرجعية التى يصفها جاك لندن على مصالح فئة واحدة فقط ،وهى «الطبقة الرأسمالية» ، والتي كان عبارة عن طبقة اجتماعية صغيرة. هذه الحركة الرجعية كانت قادرة على خوض الحروب الاجتماعية بنجاح ضد كل طبقة أخرى من المجتمع.

وفي كتاب جاك لندن ، نجد أن الطبقة الرأسمالية الصغيرة قادرة على بناء حركة رجعية ضخمة ، والتي تريد أن تقضي على حياة الملايين . ونجد أن جاك لندن غير قادر على الإجابة على تلك المشكلة من واقع الحياة : فإذا كانت الحركة الرجعية لا تعبر حتى عن مظالم هذه الطبقات التي تشكل الجزء الأكبر من السكان في ذلك المجتمع ، اذا فكيف تكون تلك الأقلية من الرأسماليين قادرة على تشكيل أغلبية مستعدة لخوض «حرب طبقية» والتي من الواضح أنها ستكون حربا ضد مصالحها فى النهاية؟

وكان « لإمبريالية لينين » تأثير كبير على كثير من الكتاب الماركسين الذين جاؤوا في وقت لاحق للكتابة ضد الفاشية. وتلك النصوص التي سبق ذكرها لا تضع توقعات سليمه فيما يخص الفاشية ، كما أنها لم تتضمن تفسيرًا لكيفية التصرف وسلوكيات الحركات الرجعية آنذاك. وهى نصوص متفاوتة فى أهميتها. وتتناول

الإمبريالية فى تلك الكتابات مسألة لماذا كان يمكن للرأسمالية أن تظهر في شكل نماذج وصور مختلفة. وكانت الرأسمالية في أيام ماركس لا تزال نظاما محليا تتكون من مجموعه من العلاقات الاجتماعية ، وكانت تقتصر على بلدان مثل بريطانيا وأميركا وأجزاء من شمال أوروبا. ولكنها بحلول عام ١٩٠٠ ، تحولت لتصبح «نظاما عالميا». وعلق العديد من الماركسيين على هذا التحول ، بما في ذلك «روزا لوكسمبورغ» ، و«رودولف هيلفردينغ» ، و«نيكولاي بوخارين». ولقد رأى لينين هدفا واحدا من أعماله التى قام بها ويقول «إنها لإعطاء تصورا عن الخطوط العريضة للمناقشات الشائعه التي كانت تجرى بالفعل فى ذلك الوقت .وفي قلب تحليلات لينين كانت تكمن فكرة أن الرأسمالية قد دخلت «مرحلة جديدة» ، وهي مرحلة « نظام أعلى» . ففي هذه الفترة الجديدة ، قام رأس المال بتحويل نفسه على نحو متزايد نحو «احتكار رأس المال» : فالإمبريالية تصبح هى نفسها الرأسمالية في هذه المرحلة من التنمية التي تكتسب فيها هيمنة الاحتكارات والرأسمال المالي أهمية واضحة ؛ ويتم تقسيم جميع أقاليم العالم بين القوى الرأسمالية الكبيرة.

إن أهمية الحديث عن الإمبريالية يأتى بسبب أنها كانت تربط بين الشكل الجديد للاقتصاد العالمي بالتغييرات السياسية في عهد الحرب العالمية الأولى. فقد أدى الاحتكار الاقتصادي الى ردود فعل سياسية. وقد تميزت الإمبريالية الرأسمالية ،بالسعي للسيطرة بدلا من السعي إلى الحرية ، واستغلال عدد متزايد من الدول لصغيرة أو الضعيفة من قبل مجموعة صغيرة جدا من الدول الغنية أو الأقوى... ".

وكانت حجة لينين تتمثل فى أن نمو الرأسمالية قد أدى إلى خلق وضع جديد جاوزت فيه ضغوط المنافسة الصعيد الفردي للشركات ، لتعرب بشكل متزايد عن الكفاح المسلح بين الدول المسلحة. وترتب على ذلك أن العديد من المزايا التي

كانت في وقت لاحق ترتبط بالفاشية ، بما في ذلك من ميزة كون الدولة قوية ، والقومية والحرب ، قد أصبحت في الواقع هي القاعدة الأساسية للمجتمع الرأسمالي. وكان رأس المال الامبريالي أكثر وحشية وأكثر دموية من «رؤوس الأموال الخاصة» التي سبقتها. وكانت نتائجها أن كانت هناك مساحة أقل من الديمقراطية ، وفرصة أكبر للحرب.

وفي الفترة من الأعوام مابين ١٩٢٠ و ١٩٣٠ اعتقد الكثير من الماركسيين أن العمليات المذكورة في «إمبريالية لينين» تفسر السبب وراء كون هذا النظام الرأسمالي الاقتصادي قادرا على أن يعيش جنبا إلى جنب بسهولة مع الحكم السياسي الفاشي.



5

الماركسيون ضد موسوليني وهتلر

وكان الماركسيون مضطرين لاعتماد تحليلات جديدة فى مواجهة التصاعد الفعلي للفاشية. ففي البداية ، كان يبدو أن لديهم العديد من الافتراضات بأن الفاشية لن تشكل أي خطر دائم ،فقد كانوا يعتقدون أن الفاشيين يمكنهم فقط الهجوم على المباني والنقابات العمالية ، لكنهم بالكاد يمكنهم الوصول الى السلطة. ومن ضمن من تحدثوا فى هذا الشأن «أنطونيو غرامشي» ، في كتابه « لا أوردين».

L' Ordine وذلك خلال الاضطرابات الهائلة في أيار / مايو ١٩٢٠ ويقول: إن المرحلة الحالية من الصراع الطبقي في إيطاليا هي المرحلة التي تسبق إما الاستيلاء على السلطة من قبل البروليتاريا الثورية... أو رد فعل هائل من الرأسماليين والطبقة الحاكمة. وسوف تستخدم كل أنواع العنف لإخضاع الطبقة العاملة الزراعية والصناعية.

وفتش الماركسيون ، بحثا عن أدلة حقيقية ، واستبدلوا نظرياتهم في وقت قصير بعدما تبين لهم من واقع الحياة أن حججهم القديمة كانت واهية ومبالغا فيها. ويمكن ملاحظة هذه العملية ، على سبيل المثال ، في السرعة التي وافق فيها غرامشي على بعض التفسيرات الجديدة والتى سرعان ما رفضها بعد ما تبين له بأنها تفسيرات متناقضة للفاشية. ووضع غرامشى مجموعة واحدة من الكتابات الماركسية عن الفاشية والتى تضمنت ثلاثة مقالات في عام ١٩٢١ .

وفي المقالة الأولى ، وصف غرامشى الفاشية باعتبارها مشكلة دولية قائلا : «تحاول الفاشية حل مشاكل الإنتاج بتبادل إطلاق النار من البنادق الآلية وطلقات المسدسات».

وفي المقالة الثانية ، يصور غرامشي الفاشية «كظاهرة إيطالية» ، تضرب بجذورها فى حالة من «عدم النضج للإنتاج الإيطالي». وأنها كانت حركة اجتماعية واسعة

النطاق لكن دون وجود قاعدة لها في فئة أو طبقة اجتماعية معينة ،كما وصفها بأنها «حركة القوى السياسية ، التي ليس لها وعى بالهدف الحقيقي الذى تسعى له.

وفي المقالة الأخيرة ، استعرض غرامشي الفاشية بقوله : « الحارس الأبيض للرأسمالية» والتى تعتمد على الصناعيين على نطاق واسع ، وفي ونفس الوقت تعتمد على صغار البرجوازيين في المدن وملاك الأراضي الإقطاعية في الريف.

ومع مرور الوقت ، تمكن الماركسيون من إيجاد تحليلات منهجية للفاشية الإيطالية. وفى الواقع ، فإننا يمكننا أن نتحدث عن ثلاث مدارس مستقلة ودائمة للفكر فى هذا الشأن.

أولها : «النظرية اليسارية للفاشية» ، وهى التي كانت مرتبطة في كثير من الأحيان بحركة اليسار داخل الحزب الشيوعي الإيطالي. ومرتبطة بإحدى الشخصيات بشكل خاص وهو «أماديو بورديجا ».

وثانى النظريات تتمثل فى: «النظرية اليمينية للفاشية» ، التي كانت تبنى على أعضاء الحزب الاشتراكي الإيطالي ، والذين تم الكتابة عنهم بشكل وافى في كتابات «جيوفاني زيبوردى».

وكانت النظرية الثالثة عن الفاشية نظرية أكثر تطورا ودقة ، والتي شهدت التناقضات بين النظريتين الماركسيتين السابقتين وأنها مرتبطة بعدد من التناقضات في قلب الفاشية نفسها. ولذلك قامت بالجمع بين وجهات النظر فى النظريتان السابقتين ثم قامت بإضافة تحليلاتها الخاصة ، وبذلك بلغت وصفا أكثر دقة حول الفاشية.

ورأت النظرية اليسارية للفاشية الفاشية باعتبارها خدعة في أيدي الطبقة الرأسمالية الحاكمة. وأنها شكلا من أشكال «إكراه الدولة» ، والتي تم تحقيقها

بواسطة البرجوازية. وأنها كانت حركة النخبة، التي حددتها هدفها، وهو «سحق الحركة العمالية». ووصف اليساريون الماركسيون الفاشية على أنها «'وظيفة في مجتمع برجوازي»، أو بوصفها «إجراءات عنيفة تتخذ من جانب مجموعة من البرجوازيين». وهذه المعادلة التى تنص على أن (الفاشية = رد فعل= البرجوازية)، تمثل امتدادًا للتحليل الذى قدم لأول مرة من خلال الكعب الحديدى. وكثيرا ما ترتبط نظرية اليسار بتحليلات اليساريين، أو اليساريين المتطرفين بشكل أكثر دقة، وذلك عند تفسير الديمقراطية الاجتماعية البرلمانية. ويسعى رأس المال لتحقيق السلام والاستقرار الاجتماعي، ويمكن تحقيق هذا الاستقرار السلمي نسبيا، من خلال التحالف مع السياسيين من الإصلاحيين، أو يمكن أن تحقيق ذلك بطريق بديل يشمل المزيد من العنف، عن طريق التحالف مع الألوية المقاتلة الفاشية.

وفي عصر الأزمات، كانت الطبقة الرأسمالية تحتاج لسحق العمال، وكانت الفاشية بالتالي أفضل طريقة لتحقيق ذلك لانها كانت تسحق العمال بشكل منظم ويومى. ولقد تميزت نظرية اليسار الفاشية بعجزها عن الفصل والتمييز بين رد فعل الفاشي وأى شكل آخر من أشكال ردود الفعل في ظل الرأسمالية. وعلى سبيل المثال، فبعد فشل الحزب الشيوعي الألماني (KPD) فى الاستيلاء على السلطة في عام ١٩٢٣، صدر قرار في مؤتمر للحزب الشيوعي الألماني يصر على أن الفاشيين قد وصلوا بالفعل إلى السلطة: حيث شهدت الطبقة العاملة إنشاء أول مركز للفاشية في بافاريا، حيث أنشأت الفاشية مركزها في برلين في شكل ديكتاتورية بقيادة الجنرال يوهانس فريدريش سييكت»(وهو من العسكريين الألمان - ولد في سيليزيا في ٢٢ أبريل ١٨٦٦. وانضم إلى الجيش الألماني حيث خدم في حرس رماة القنابل)

وقام إيبرت من الحزب الاجتماعي الديمقراطي وائتلاف كبير بتعيين الجنرال

سيكييت « Seeckt » ديكتاتورا ... وكان أول ما فعله تجريم الصحافة الشيوعية كلها ومنظماتها ، وثانيا قام باحتلال ساكسونيا البروليتارية... وثالثا قام بإقالة حكومة العمال المنتخبة ديمقراطيا.

كما قام « بورديجا Bordiga أيضا بتبنى النظرية الفاشية ، وذلك في المؤتمر الخامس للأممية الشيوعية في عام ١٩٢٤ حيث يقول:

إن الفاشية ، في الأساس ، مجرد تكرار لعبة قديمة من أحزاب اليسار البورجوازية ، أي أنها تناشد البروليتاريا من أجل السلام المدني. وأنها تسعى لتحقيق هذا الهدف عن طريق تشكيل النقابات العمالية للعمال فى المجالات الصناعية والزراعية ، والذي من شأنه أن يؤدي بعد ذلك إلى التعاون العملي مع منظمات أرباب الأعمال.

وكان واضحا للكثيرين أن النظرية الماركسية عن الفاشية كانت كمادة خام تتميز بالبساطة. إن تلك النظرية لا تفسر أو تضيف جديدا حول الفاشية ، ولكن تقوم بضم الفاشية جنبا إلى جنب مع كل القوى الأخرى والتي ينبغي على الشيوعيين معارضتها. والقليل فقط من الكتاب اليوم يدعمون هذه النظرية ، ولكن سيكون من الخطأ أن نستنتج أن الحجج التى ساقتها تلك النظرية كانت تافهة ، أو أنها أقيمت فقط من خلال شخصيات هامشية داخل الفكر الماركسي التقليدي.

وكان أحد الكتاب الذين جادلوا بشأن المتغيرات المعقدة للنظرية هو الشيوعي الألماني كارل كورتش Karl Korsch ، وذلك في عام ١٩٢٠ ، وهو عضو بارز في الحزب الشيوعي الألماني KPD. وكان حجة كرل كوش ببساطة ، تتمثل فى أن الرأسمالية قد دخلت في فترة الأزمة. وفي مثل هذه الحالة ، يمكن للطبقة العاملة إما أن تقوم بالهجوم ، أو تختار التراجع والهزيمة. وبحلول منتصف ١٩٢٠ ، كان

الاتجاه نحو الهزيمة. في عصر الثورة المضادة ، ولا يهم حقا ردة الفعل التى حققت الانتصار آنذاك ، فقد رأى الاشتراكيون من جانبهم تلك الهيمنة على أنها هزيمة. لذلك ،تحولت الديموقراطية البرجوازية تماما بكل سهولة إلى الفاشية ، لتصبح فاشية هى ذات نفسها. والنتيجة كما وصفها كارل كورتش ، كانت عالما أصبحت فيه الفاشية شكل طبيعي من حكم البرجوازية :

أن العجز الرئيسي داخل الفكر الماركسي فى فهمه للثورة المضادة يتمثل فى أن ماركس ومن وجهة نظر تجربته التاريخية لا يمكنه تصور الثورة المضادة كمرحلة طبيعية من مراحل النمو الاجتماعي. وهو مثل ليبراليين البرجوازية ، يفكر في الثورة المضادة على أنها اضطراب غير طبيعي مؤقت يعكر صفو مرحلة من التطور التدريجي الطبيعي...

ويمكن صياغة القانون المضاد للفاشية بالطريقة التالية : بعد الاستنفاد الكامل للقوات الثورية المناهضة للفاشية وهزيمتها ، استمرت المحاولات المضادة ولكن من خلال أساليب جديدة وثورية و بأشكال مختلفة على نطاق واسع ،وذلك من خلال بعض المهام الاجتماعية والسياسية التى التزم بها حزب يسمى «الإصلاحيين reformistic والذين كانوا قد وعدوا النقابات العمالية بتحقيق بعض الاصلاحات ولكنهم لم يكونوا قادرين على النجاح في ظل تلك الظروف التاريخية.

و يصف «دوغلاس كيلنر» وهو أحد المتتبعين للسيرة الذاتية لكارل كورتش ، يصف «كورتش» أنه يقتبس تحذير روزا لوكسمبورغ الشهيرة بأن العالم يمكن أن يسير في احد اتجاهين فقط ،إما نحو الاشتراكية أو نحو الهمجية. 'وبطريقة غريبة ، يقول كيلنر « إن كورتش يرفع شعار روزا لوكسمبورج بشكل راديكالي. ويبدو أنه يريدنا أن نستنتج أن أي مكان لا يوجد به اشتراكية حقيقية ، يوجد به همجية».

وهكذا ، يمكن أن نرى أن نظرية اليسار الماركسي الواردة عن الفاشية تحمل في طياتها بذور بداية الكارثة. وذلك يتبين في عدم قدرتها على التمييز بين شكل واحد من التسوية السياسية وأخرى ، فإنه أعمى مؤيديه عن احتمال أن الفاشية قد تمثل تهديدا جديدا أكثر خطورة. ونتيجة لذلك ، فإن الماركسيين اليساريين قد أصيبوا بصدمة عندما تواجهوا مع تهديد الفاشية الحقيقي.

وتصور « نظرية اليمين» الفاشية كحركة أكثر تعقيدا وانتشارا. في حين أن نظرية اليسار تركز على الملامح القسرية للفاشية ، وتأكد نظرية اليمين على أن الفاشية حركة اعتمدت بشكل أساسي على الإجماع. في حين أن نظرية اليسار تصور الفاشية كحركة النخبة ، بينما تنظر نظرية اليمين للفاشية باعتبارها حركة جماهيرية مستقلة عن السيطرة الرأسمالية.

ولقد كتب جيوفاني زيوباردى Zibordi وهو من الحزب الاشتراكي الإيطالي كتابا مهما ، عن الاشتراكية والفاشية وذلك فى عام 1922 ، والذي اتهم فيه اليساريين «بالتبسيط الخطير». وأكد أن الفاشية لم تكن لتحقق حيويتها وقوتها إذا لم تكن تتغذى من مصادر عديدة أخرى من الدعم المشترك لها.

لذلك فالفاشية ، ، حركة جماهيرية تعمل بشكل مستقل عن الدعم الرأسمالي. وشدد « زيوباردى» أنها أظهرت قوتها بشكل لا يمكن أن يكون مجرد حركة لرؤوس الأموال الكبيرة ، وأن الأمر يجب أن يكون أكبر من ذلك :

والتساؤل يطرح نفسه عن نوع السلطة التى كان لتلك الفاشية واحتمالات نجاحها ، فلو كانت حقا البرجوازية فقط 'هي الطبقة التي كانت تهيمن علي مجريات الأمور آنذاك ، أن تلك البرجوازية كانت تتمتع بمزايا وامتيازات تخشى عليها بحق من أن تدمر من قبل النظام الاشتراكي؟ فالسؤال الذى يطرح نفسه هو «ماذا لو

كانت تلك الطبقة البرجوازية وفي خضم هجومها ضد الاشتراكية ، لم تستفد ، بشكل مباشر وغير مباشر ، من التعاون ، والتأييد ، والتسامح من الفئات والطبقات المحيطة بها آنذاك، وهى الطبقات لم تكن لها علاقة مع «البرجوازية» بالمعنى الاجتماعي والاقتصادي للكلمة ، أو بمعنى آخر أن معارضه البرجوازية للاشتراكية جاء من تراكم لسوء الفهم ومشاعر الغضب تجاه الاشتراكيين ، وأن تلك البرجوازية لم تفعل أي شيء على الإطلاق لاسترضاء هؤلاء الاشتراكيين؟

ولقد وصف «جيوفاني زيوباردى »البرجوازية بأنها تنظر بعين الحسد والكراهية للعمال. ويعتبر زيوباردى أن المطالب العدوانية الشيوعية قد سببت الرعب لهذه الطبقة البرجوازية التي كانت تمثل الجزء الأكبر من عضوية الأحزاب الفاشية.

وكثيرا ما ترتبط « نظرية اليمين» بالقيام بتحليلات للرأسمالية ، لأن تلك الرأسمالية تؤكد بدورها على الاستقرار المتزايد و الأمن في قلب ذلك النظام الفاشي. فمن داخل المجتمع الرأسمالي المستقر ، كان ينظر للفاشية نظرة على أنها استثنائية أو أنها مثل المرض. وقد أدى ذلك إلى فكرة جديدة والتي بدت غريبة على المحتوى الثوري لاشتراكية كل من «ماركس» و «إنجلز» ، فالرأسمالية تعمل على إصلاح انتهاكاتها من الوجود ، والطبقة العاملة تحاول أن تقدم نفسها على أنها صديقة داعمة لجميع الطبقات الغير فاشية ، بما في ذلك الطبقة الرأسمالية. وبما أن كلا النظريات من اليسار واليمين يقللان من الخطر المحتمل من الفاشية ، فالتساؤل الذى يطرح نفسه كيف يمكن لهذه الحركة الفاشية الوصول إلى السلطة مع لغتها الراديكالية والمتطرفة ؟ فلا يوجد رأسمالي يدعم الفاشية ، فإذا كان صحيحا أن الإصلاحات الرأسمالية الجديدة كانت في مأمن من الأزمة ، فذلك كان يجعلها تبدو بعيدة عن أى تهديد حقيقي يمكن أن تسببه لها الفاشية.

ولقد تم اختبار نظريات كل من اليسار واليمين من خلال الممارسة الفاشية في إيطاليا في وقت استيلاء موسوليني على السلطة.و قاد « بورديجا Bordiga الحزب الشيوعي الإيطالي (PCI) مجسدا نهج اليسار. وألقى كامل طاقته في نقد لا يرحم لقادة الحزب الاشتراكي الإيطالي (PSI). وبناء على ذلك رفض أن يعمل مع الحزب الاشتراكي في أي تحالف دفاعي. كما يشير« ديفيد بيثام »، «أنه حتى بعد المسيرة في روما ، تحت قيادة غرامشي وتولياتي ، فإن نهج الحزب الشيوعي الإيطالي كان مصرا على موقف العداء المتواصل للأحزاب الاشتراكية». ولقد رفض غرامشي مرارا تشكيل تحالف مناهض للفاشية مع الحزب الإشتراكى ، لأن هذا من شأنه أن يكون بمثابة دعم لأولئك الذين قبلوا الانقلاب الذى قام به موسوليني.

وفي الوقت نفسه تأثر الحزب الاشتراكى بـ« زيوباردى» وتناول النظرية اليمينية للفاشية ، كما قام برفض أي تحالف.و أصر الحزب الاشتراكي على أن الفاشية كانت بسبب خطأ من الشيوعيين ، الذين حاولوا الإسراع بالخطى التاريخية بالقوة ' وبشكل يفوق الشروط الموضوعية التى تسمح بذلك. والفاشية كانت تمثل انتقاما من البرجوازية للتجاوزات التى قامت بها البلشفية ، و كل ما كان يمكن عمله الأمل فى أن الطبقة الرأسمالية سوف تعود إلى أساليب عادية أكثر من خلال حكمها.

وكانت النظرية الجدلية الثالثة للماركسية بشأن الفاشية قد نشأت خارج إيطاليا ، من خلال المناقشات للأممية الشيوعية (الكومنترن)Comintern . وقد وضعت هذه النظرية الثالثة بمثابة رد على الهزيمة الإيطالية. و لم تأخذ الكومنترن الفاشية على محمل الجد بما فيه الكفاية في الأصل ، وبالتالي وفي المؤتمر الثالث للأممية الشيوعية ، في حزيران / يونيو وتموز / يوليو عام ١٩٢١ ، اقتصر الأمر فى

المناقشات حول إيطاليا للدعوه الى تشكيل إتحاد للحزب الشيوعي الإيطالي. وقد فشلت ورقة الوفد الروسي التى كانت تحوى « تكتيكات» ، فى مناقشة الفاشية بشكل كامل. وفي المؤتمر الرابع ، ورغم أنه عقد بين نوفمبر وديسمبر ١٩٢٢ ، إلا أن المناقشة الآن أخذت تبدو أكثر إلحاحا. فقد كانت هناك أربع دورات تمت فى مناقشات حول الفاشية و بعد القيام بالتحليلات كان هناك إجماع من اليسار يؤكد على أن الفاشية هى رد فعل «معادي للبروليتاريا» ، ومن ناحية أخرى كانت هناك تأكيدات من اليمين على أن الفاشية تعتبر حركة جماهيرية لها منطق خاص بها.

وفي كلمات جاءت فى ما يسمى « برسالة تكتيكات الكومنترن» ، على سبيل المثال ، كانت السمات المميزة « للفاشية »الإيطالية الكلاسيكية... هو أن الفاشيين لا يشكلون فقط منظمات قتالية مضادة للثورة ، ومدججين بالسلاح ، ولكنها أصبحت أيضا تحاول استخدام الغوغائية الاجتماعية للحصول على قاعدة عريضة لها بين الجماهير .

وهناك مصدران من عام ١٩٢٣ يكشفان عن نهج مماثل لكن أكثر تطورا وجدلية تماما وهما : خطاب «كلارا زيتكين Klara Zetkin »في اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية ، والمصدر الثانى ل «غيولا ساس Gyula Sas » عن الفاشية الإيطالية. وأوضحت «كلارا زيتكين» ظهور الفاشية في سياق تحولات فى القوى الطبقية ، كما قامت باستخدام لغة مثل كلمة « الدينامية» و«التغيير» ، وهى كلمات مماثلة لتلك التي استخدمها ماركس في الثامن عشر من شهر برومير. كما وصفت الفاشية على أنها « نتاج للحالة السياسية» وقتها ، والتى شكلت نفسها بنفسها بسبب 'اضمحلال وتفكك الاقتصاد الرأسمالي ، الذي اقترن بحالة من الجمود في الثورة العالمية ، وذلك لتمكين حدوث هجوم رأسمالي. وفى رأيها فقد كان هذا هو

السياق الذي مكن الفاشية من النمو. وعلاوة على ذلك، تقول: إن الفاشية كانت فقط حليفا للبرجوازية، وليس أداه فى يدها.، وانتقدت «زيتكين» اليمين واليسار على حد سواء فى تحليلاته للفاشية، مؤكدة ان الفاشية كانت 'حركة جماهيرية ذات جذور اجتماعية عميقة، وأيضا انها كانت من نتاج المجتمع الرأسمالي، والتي لا يمكن تدميرها إلا من قبل ثورة عمالية.

أما ساس Sas، وهو شيوعي هنغاري ممن يعيشون في ايطاليا ،فقد جاء بعد زيتكين Zetkin والقى باللوم على التبسيط المتبادل الذى اتسم به اليساريين واليمينيين بخصوص عجز الماركسيين الإيطاليين عن النظر إلى ما بعد وضعهم الحالى فهو يقول: « إن العمال الإيطاليين كانوا على اتصال وثيق جدا» وقام مثل «زيتكين» بالربط بين «صعود الفاشية» بـ «فترة الهجوم الرأسمالي»، مع تشديده على أن هذا التفسير وحده غير كافي. و ساس يزاوج بين نظريات اليسار و اليمين الماركسي، واصفا تشكيل الفاشية الجديدة على حد سواء بأنها «ديكتاتورية رأسمالية»، والتي تهدف إلى سحق منظمات الطبقة العاملة، وأيضا على أنها «حركة سياسية تستخدم لغة الجمع بين الاشتراكية والقومية، والتي ظهرت بشكلها الثوري لضمان حصولها على الدعم الشامل.

ونخرج من هذه التحليلات بفكرة أن الفاشية كانت متناقضة. فقد كانت الفاشية قوة تاريخية معينة تشكلت من النزاع بين أهداف رجعية واتساع القاعدة الجماهيرية والدعم الذي تمتعت به كحركة.

وكان من مزايا هذه النظرية أنها تبدو متناسبة مع الحقائق. فقد أظهرت بشكل واضح، العلاقة بين الفاشية والرأسمالية، وأنها نشأت فقط في داخل المجتمعات الرأسمالية، وأنها انحازت بشكل صارخ مع الطبقة الرأسمالية ضد الطبقة العاملة

داخل هذه المجتمعات. وأن الفاشية مستقلة أيضا عن كل من النخبة الرأسمالية ونخبة ما قبل الرأسمالية، وبالتالي حتى في الوقت الذي كانت متحالفة فيه مع الرأسمالية، قامت بالهجوم على البرجوازية التى كانت تعتبرها «طفيلية»، وفى نفس الوقت صورت الفاشية نفسها باعتبارها القوة التي من شأنها حماية «الرجل الصغير» من بطش الشركات التجارية الكبرى. وثمة ميزة أخرى لهذه النظرية وهى الإشارة إلى أن الفاشية يمكن هزيمتها. فإذا كانت الفاشية كما اقترح «بورديجا Bordiga» مجرد تعبير مطلق للهمجية الرأسمالية»، فبذلك لا تكون هناك حاجة لمحاربتها، لأنه لا يمكن أبدا «ترويض الطبقة العاملة»، وبالتالي سيتم تلقائيا دفعها لخارج السلطة. ومع ذلك، فإذا كانت الفاشية حركة جماهيرية مستقلة ولها قوة خاصة بها، كما اقترح «زيوباردى» ،فمن ثم لا يمكن أن تتعرض للهزيمة، وكل ما يمكن القيام به هو أن يأمل الماركسيون في انقلاب الطبقة الحاكمة علي تلك الفاشية. وإذا كان ينظر للفاشية على أنها حركة جماهيرية صعدت و لكنها غير قادرة على تلبية رغبات الناس العاديين، فأنه يترتب على ذلك أن قوى أخرى يمكنها أن تدفع بها خارج مسارها، وبذلك تتمكن من وقف تلك الفاشية.

وحسب النظرية الجدلية الثالثة عن الفاشية. فإذا كان من الصحيح أن الفاشية قامت بتعبئة الناس العاديين في قضية أيديولوجية، فيستتبع ذلك أن العمل الجماعي للطبقة العاملة يمكنه أن يفوز بأنصار الفاشية، ويأخذهم بعيدا عن تلك الأيديولوجية نحو هدف مختلف للثورة الاشتراكية.

إن تحليلا بهذا المعنى يقدم، أملا حقيقيا فى أن الفاشية يمكن أن تتعرض للهزيمة. وقد أشار «غرامشي» بأن الفاشية يمكن أن تصبح قوة دولية، ولكن ذلك لن يحدث إلا إذا كانت الأحزاب الشيوعية قد فشلت في الضغط على الطبقة العاملة

كجبهة متحدة. واستخدم «بالبرمو توجلياتى» Palmiro Togliatti نظرية للإشارة إلى بعض التناقضات الكامنة في الفاشية كشكل من أشكال الحكم، بما في ذلك الفصل بين الحزب الفاشي والدولة، والصراع بين الميليشيات الفاشية والجيش، والتمييز بين النقابات الفاشية والدولة.

وفى عام ١٩٢٣، كانت نظرية الجدلية لتفسير الفاشية هى المهيمنة داخل الشيوعية الدولية، و يمكن أن يرى تأثيرها حتى في بريطانيا، حيث قام الحزب الشيوعي هناك بنشر كتيب هام، متأثرا ب «كلارا زيتكين»، محذرا من أن «المميزات الخاصة للفاشية تعطيها أهمية دولية حتى أكبر من تلك المستمدة من نجاحاتها المتوالية في إيطاليا». وتلك النظرية الثالثة أصبحت أيضا النهج السائد داخل الحزب الشيوعي الإيطالي، وذلك من عام ١٩٢٣ وحتى ١٩٢٨.

وبسرعة جدا، فقد تحولت الأممية الشيوعية ضد تحليلها الجدلي عن الفاشية. وكانت النظرية التي حلت محل ذلك تعتمد على إحياء لمتغير من التحليل اليسارى للفاشية، وهو أن الفاشية هى مجرد شكل من أشكال رد الفعل الرأسمالي، وكانت تلك النظرية الجديدة قد تم تبنيها بواسطة زينوفييفZinoviev ، زعيم الأممية الشيوعية.

فعلى سبيل المثال، فقد تم تمرير « القرار حول الفاشية» في المؤتمر الخامس للكومنترن في تموز / يوليو ١٩٢٤، وتم فيه وصف الفاشية على أنها : واحدة من الأشكال الكلاسيكية للثورة المضادة في عصر الاضمحلال الرأسمالي... وأن (أى الفاشية) هى صك البرجوازية الكبيرة الذى تستخدمه فى مكافحة البروليتاريا. وقد أنشئت هذه الحجة كتفسير رسمي من المؤتمر السادس للكومينترن في عام ١٩٢٨، في الإعلان عن «فترة جديدة ثالثة' من الأزمات الرأسمالية.وقد حافظت قيادة

الأممية الشيوعية على القول : إنه إذا لم تكن هناك ثورة ناجحة لدكتاتورية رأس المال ، فسوف تحل محلها « الديكتاتورية الفاشية». ولما كانت جميع الأطراف الرأسمالية في طريقها لأن تصبح فاشية أصلا ، لذلك فقد أصبحت الديمقراطية الاجتماعية هى الصك أو الأداة المحتملة فى يد «الديكتاتورية الفاشية» ، أو «الفاشية الاجتماعية». والتى تمثل العدو الحقيقي للشيوعية ، وقيل ، «ألم تكن الفاشية تمثل الديمقراطية الاجتماعية» ، وبهذه الطريقة أصبحت النظرية القديمة اليسارية المتطرفة مرة أخرى شعارا رسميا للحركة الشيوعية بأسرها.

وكانت النظرية الجدلية الثالثة كتفسير للفاشية قد أصبحت ذات شعبية كبيرة في أوائل منتصف عام ١٩٢٠ نتيجة لصفتها الداخلية ، وذلك بسبب أنها أوضحت التناقضات في قلب الفاشية. أما إحياء نظرية اليسار ، فلا يمكن أن يكون واضحا إلا من خلال العوامل الخارجية فقط ، وبذلك لا تعد تلك النظرية اليسارية وسيلة لتفسير الفاشية.فهى كنظرية لا توضح أى شيء ، والتحليل المتضمن بها لم يكن كافيا. وبالفعل ، كان التفسير الوحيد المقنع داخل الكومنترن هو التفسير الذى ربط بين الكومنترن وبين التغيرات في طبيعة الحزب الذي سيطر على الأممية الشيوعية آنذاك وهو الحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتى (CPSU). ففي السنوات مابين ١٩٢٤-١٩٢٧ ، والتي شهدت انتصرًا لنظرية اليسار ، وهى الفترة التى شهدت وفاة لينين ، و انتصار ستالينStalin على زينوفييفZinoviev وكامينيف Kamenev ، واستصدار أمر لطرد تروتسكيTrotsky من الحزب الشيوعي. وداخل روسيا ، كان هناك عصرٌ من البيروقراطية ، المتمثل فى انكسار المجالس العمالية السابقة ، وقل عدد المسؤولين في الدولة مضروبا في أربعة أو خمسة على الأكثر، في حين تم إنهاء القيود المفروضة على رواتب أعضاء حزب الشيوعي سرا.

وكانت تلك الفترة أيضا فترة من التراجع الفكرى أو الأيديولوجي. وكانت الفكرة المسيطرة التي شكلت السنوات الأولى من الثورة هى رسالة مضمونها بداية الثورة العالمية ، والإصرار على أن عام ١٩١٧ كان جزءا من الثورة العالمية ، ويمكن للاشتراكية أن تنجح إذا عملت على انتشار تلك الثورة فقط. وبعد عام ١٩٢٤ ، كان الفكر السائد مستمدا على نحو متزايد من أفكار « بوخارين Bukharin» وبعد ذلك نظرية ستالين بعنوان «الاشتراكية في بلد واحد» ، وسادت الفكرة القائلة بأن الثورة يمكنها البقاء على قيد الحياة فقط داخل روسيا ، وبالتالي فأن مفتاح بقاء الاشتراكية كان يكمن فى تحويل المجتمع الروسي إلى آلة عسكرية كبيرة واحدة.

أما بالنسبة للعام ١٩٢٨ ، فقد كان العام الذي أعلن عنه عن بداية الفترة الثالثة ، وكان هذا أيضا العام الذى قام فيه «اليسار الستالينى» بعزل بوخارين ،كما شهد هذا العام تعديل في الخطة الخمسية الأولى وبدايات « العمل الجماعى» collectivisation ، وهى العملية التي اضطر فيها الفلاحون الروس للعمل في المزارع الجماعية أو المدن ، والتي لعبت دورا حاسما فى تخفيف التأثيرات الاجتماعية والسياسية للطبقة العاملة الروسية.

ومن الواضح أنه داخل الحزب الشيوعي ، كانت السلطة السياسية على نحو متزايد في أيدي فصيل ستالين. ومن الواضح أيضا أنه قد رافق هذا الحدث تغيير في طبيعة الأممية الشيوعية بمعنى : أنه لم يعد يطلب من الأممية الشيوعية أن تكون بمثابة منتدى عالمى للماركسية أو كأداة للتغيير الثوري. وكان من المتوقع الآن من أعضاء الأحزاب الشيوعية الدولية التي تشكل تلك الأممية الشيوعية ، قبل كل شيء اتباع خط السير الذى يتناسب مع متطلبات سياسة ستالين الداخلية والخارجية. ولم يكن يهم إذا كان هذا الخط الجديد غير مناسب أو يسبب الضرر ، فالمهم فقط أن

يطاع. وهذا الانحطاط والتدهور للأممية الشيوعية كمصدر للنظرية الماركسية شيء يؤكده المؤرخون حتى الذين كانوا متواجدين من قبل إنشاء الكومنترن. ، فعلى سبيل المثال ، يكتب «جون كوميت John Cammett »: وبعد المؤتمر الدولي السادس للأممية الشيوعية وبها في ذلك فترة وجود الجبهة الشعبية ، [أصبح عمل الكومنترن في مجال النظريات الفاشية] أقل وأقل صلابة واعتمد أكثر على المقتضيات السياسية البحتة. ويصف المؤرخ « إي . إيه كار» E. A. Carr هذا التدهور، انه بدأ بعد انتهاء المؤتمر الرابع للكومنترن ، ويصف ما حدث بعد ذلك بقوله «مقدمة طويلة ومحرجة أحيانا».

وكان نفس الحال لماركسيي الأممية الشيوعية (الشيوعية الدولية) ، ينطبق على الماركسيين داخل الاشتراكية الدولية ، ففي أواخر عام ١٩٢٠ ، والذى شهد تراجعا في جودة نظريتهم. كان من بين من يطلقون على أنفسهم «ماركسيين» ، شخصيات مهيمنة من الماركسيين داخل الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني (SPD) ، بما في ذلك «كارل كاوتسكي Karl Kautsky »، و «رودولف هيلفردينغ Rudolf Hilferding ».

ولقد التزم كل من (كارل و رودولف) بفكرة أن نمو الثقة والاحتكارات هى التي تؤدي إلى هذا المستوى الرفيع من التخطيط والمركزية في الاقتصاد الرأسمالي ، وأنه أصبح من الأسهل للدولة من أي وقت مضى أن تتولي السيطرة على الإنتاج ، من خلال الإصلاحات الديمقراطية بدلا من الثورة.وقد أدت هذه الفكرة لتحقيق الاستقرار المتزايد للرأسمالية على حد سواء ، وبذلك تم النظر إلى الفاشية حينها باعتبارها «انحرافا». ولقد كتب كاوتسكي ، في عام ١٩٢٧ ، واصفا انتصار موسوليني أنه جاء نتيجة لظروف إيطالية محددة ، بما في ذلك المستوى المنخفض

للتنمية الصناعية ، ووجود العديد من «المثقفين العاطلين عن العمل »! وأعرب كاوتسكي عن قلقه بشأن عدم إمكانية التوفيق بين الفاشية والرأسمالية ، وأن تراكم الإنتاج الرأسمالي علي المدى الطويل يصبح ممكنا فقط في ظل ظروف من الأمن الكامل للملكيات والظروف المناسبة للازدهار.

وكانت النتيجة نمو لفكرة الفاشية التي كانت مشابهة لنظرية اليمين القديمة للفاشية وذلك داخل الحزب الديمقراطي الاشتراكي والحركة الاشتراكية الدولية ، ولكن تلك الفكرة كانت أقل تماسكا وأقل دقة وأقل استخداما. وتم وصف الفاشية ساعتها على أنها « ردة تاريخية» كما تميزت تلك الفترة بالعنف من صغار المنتجين في مواجهة الرأسمالية التى كانت تتميز بأنها عقلانية ومنظمة على نحو متزايد.

و هذا ما ساعد بعد ذلك على خلق حالة كان فيها كل من الحزبان الدوليان (الحزب الاشتراكي الألماني و الحزب الشيوعي الألماني) فى مواجهه لصعود الفاشية الإيطالية والألمانية بنظرية بها قصور لفهم تلك الفاشية. فداخل الحزب الاشتراكي الألماني ، كان التركيز منصبا على الجانب الجماهيري للحزب النازي (NSDAP) ، بما في ذلك الدعم المقدم له من البرجوازية الصغيرة ومناصبة العداء له من جانب النخب الرأسمالية. أما داخل الحزب الشيوعي الألماني ، فقد كان التأكيد على الطابع المتطرف للرأسمالية الفاشية ، و لم يكن هناك أدنى تصور من أن الفاشية يمكنها الاستيلاء على السلطة لحسابها الخاص. وتتقاسم هذه النظريات أمرين كان أولهما أن تلك الفترة تميزت بالعداء من كلا الحزبين الاشتراكى والشيوعى ، فالحزب الديمقراطي الاشتراكي (SPD) يعرب عن قلقه إزاء ارتفاع الحزب الشيوعي الألماني (KPD) ؛ لأنه كان على نفس مستوى صعود الحزب

النزي، والعدائية من الحزب الشيوعي الألماني تجاه ما يسمى «بالفاشية الاجتماعية»، التى كانت الأقرب للفاشية الحقيقية. وثانيا، ففي كلتا الحالتين، فإن الناحية النظرية كان بها قصور أدت إلى قصور فى الممارسة.

و جادل الحزب الديمقراطي الاشتراكي أن هتلر يمكن مقاومته عن طريق الجمع بين «هندنبرجHindenburg» و «بابينPapen»، و كما كتب هيلفردينغ Hilferding، بعدما رفض هندنبرج منصب المستشارية لهتلر قائلا: «إن هندنبرج من النبلاء وكبار ملاك الأراضى الألمانية، والذى طالما اعتاد على السلطة وامناصب العليا من البيروقراطية والعسكرية، تخلي عن الميدان طوعا إلى حركة جماهيرية عامية؟ وجادل الحزب الشيوعى بأنه يمكنه مقاومة هتلر لوحده، من خلال تكتيكهم المسمى 'الجبهة المتحدة الثورية من الأسفل»، مما كان يعني أن البديل الوحيد لهتلر هو ثورة العمال. ولكن الملايين الذين كانوا يدعمون الحركة العمالية الألمانية، من الذين ساروا تحت لافتاتهم المعارضة، والذين سبقهم إليها الماركسيون الإيطاليون، كانوا جميعا «غير قادرين على منع استيلاء هتلر على السلطة».



الفاشية
بين النظرية والتطبيق

6

ثالهيمر، سيلون،
غرامشي، تروتسكي
Thalheimer، Silone،
Gramsci، Trotsky

حتى قبل عام ١٩٣٣ ، كان هناك عدد من الماركسيين الذين طوروا النظريات التي رفضت السخافات الرسمية من اليسار والمواقف اليمينية. في بعض الحالات ، كانت هذه التحليلات قد تولدت من جانب أعضاء حزب معين من الذين وجدوا أن تفسيراتهم الرسمية غير كافية ، ولذلك تبنوا تلك التحليلات نتيجة فشلهم في دفع الأفكار إلى نهايتها المنطقية. وفي مثل هذه الحالات ، كان الحد الأدنى يتميز بأنه غير أرثذوكسي. وعادة ، ما كان هؤلاء الماركسيون يتبنون مجددا الجدلية الثالثة في تحليل الفاشية ، ولكن لم ينجحوا في استنتاجاتهم العملية بشأن أنه يمكن مقاومة الفاشية عن طريق عمل موحد لحركة الطبقة العاملة بأسرها. وكان جون ستراتشي John Strachey عضوا قياديا يساريا في البرلمان عن حزب العمال البريطاني. استقال فعلا من حزب العمال في عام ١٩٣١ للانضمام الى مجموعة متطرفة منشقة ، مكونا بذلك حزبا جديدا. وهذا الحزب الجديد تعرض للانقسام ، فتحول جزء منه متمثلا فى ستراتشي وأنصاره للحزب الشيوعي. و ذهب الجزء الأكبر من الحزب الجديد ، بما في ذلك زعيمهم «السير أوزوالد موزلي» ، لتشكيل اتحاد الفاشيين البريطاني (BUF) في عام ١٩٣٢. وشكك جون ستراتشي مع معرفته بـ« موزلي» جيدا، فى محاولة وصول اتحاد الفاشيين البريطاني في أي وقت للسلطة. ولكنه مع ذلك رفض تجاهل الفاشية ، أو التعامل معها باستخفاف.

وستراتشي في نضاله من أجل المجيء للسلطة (١٩٣٢) ، عرف الفاشية بأنها: «حركة جماهيرية شعبية لحماية الرأسمالية». وداخل هذا التعريف اليسارى للفاشية ، أكد ستراتشي على عناصر وصف بها الفاشية و التي كان أول من لاحظها عادة المراقبون لليمين الماركسي. وذلك لوصفه الفاشية «بالثورية »، وزعمه أن السمة الرئيسية للفاشية كانت... إنشاء «حزب جماهيري».

و كرس «ستراتشي» أيضا مساحة ليصف فيها بالتفصيل ما اعتبره «القاعدة الاجتماعية للفاشية» ، وهم « صغار الريعيين» (وهم الأشخاص الذين يعيشون على الدخل أو « ريع» الممتلكات أو الاستثمارات) ، وتمييزهم عن الفئة المميزة للبرجوازية الصغيرة التقليدية.

وخلافا لبعض من معاصريه ، كان ستراتشي يدرك تماما أنه ليست هناك طبيعة ثابتة للطبقة الوسطى ، ولكنها تتغير حسب التطورات فى طبيعة الإنتاج. ولم يكن الفاشيين من الحرفيين ولا من صغار الرأسماليين ، كما اعتادوا أن يكونوا من ١٠٠ سنة مضت ، ولكنهم كانوا من أصحاب المحلات وصغار التجار ، والذين يعتمدون فى ممتلكاتهم على قروض البنوك.

ووفقا لستراتشي ، فهذه الفئة الصغيرة الريعية مختلفة عن البرجوازية الصغيرة في أيام ماركس ، ومازال الكلام لستراتشى: «إنهم يعيشون من خلال الاستمتاع بإنتاجيتهم الصغيرة النطاق ، و يتمتعون أيضا بمشاركتهم الصغيرة في أرباح المشاريع الإمبريالية الاحتكارية الكبيرة» .و على الرغم من أن هذه الفئة كانوا غير تقليديين ، يضع ستراتشي استنتاجاته بأن تلك الفئة كانت من اليسار الشيوعي ويضيف قائلا:« يجب النضال ضد الفاشية ، والذى يجب أن يبدأ بالنضال ضد الديمقراطية الاجتماعية.

وهناك ماركسي آخر غير تقليدي ،وهو «والتر بنيامين Walter Benjamin » ، وهو الذى كتب مقالات بعنوان ، «نظريات الفاشية الألمانية (١٩٣٠) »، والذي واجه فيها تمجيد الفاشية للحرب. ويجادل «بنيامين» أن كُتَّاب أمثال « أرنست جونغر » Ernst Jünger وغيره كان لهم حسابات جوفاء غير عادية وغير صادقة عن تلك الحرب. وأن هؤلاء الكتاب كانوا مثل الفاشيين فى إعرابهم عن اعتقادهم

بأن الحرب كانت «أعلى حالة من النشاط البشري» ، ولحظة مجيدة للرجال لعرض مهاراتهم العسكرية. وكان «جونغر» وأمثاله لا يفهمون كيف وقعت تلك الحرب فى الأساس. و اقترح «بنيامين» ، أن الحرب لا تقررها « الدفاع عن النفس ببسالة» ، ولكن من تناقضات الرأسمالية فيقول : أن أقسى ، وأكثر الجوانب المأساوية للحرب الامبريالية تأتى كنتيجة لهذا التباين الهائل بين «القوة الضخمة للتكنولوجيا» وضآلة التنوير المعنوي الذي تتيحه. وأيضا ، فإن الفاشيين لا يستطيعون تفسير الحرب مابين الأعوام ١٩١٤-١٩١٨ كتجربة عاشوا من خلالها في الواقع. ربما بدأت تلك الحرب وكأنها «مسابقة »، لكنها انتهت بالموت والقتل والتمرد ضد الحرب. كما أشار بنيامين بأنه « في بداية الحرب كانت الدولة مثالية فى تلبية متطلبات الحرب، وكلما استمرت احرب أطول كلما زادت متطلبات تلك القوات .

إن «بنيامين لم يكن لديه أعمال وخلفية كاملة لوضع نظرية للفاشية ، لكنه شخص منهم ، لأنه رأى أنه يمكن تدمير 'الهراء الطنان والشرير' للفاشية بالحرب التى يمكن أن يشنها «فئة قتالية من العمال». وما يزيد من قيمة هذا المقال هو مضمونه الجدلي. فقد كان والتر بنيامين يدرك أنه إذا كان النقاد الماركسيون يستحقون هذا اللقب كنقاد ، فإنه يتعين عليهم التعامل مع الصراع الفكرى بشكل تكون به منافسة حقيقية ، وأن تكون هناك أهمية للنتائج التى يتوصلون إليها فى النهاية. مثل هذا الموقف الحاسم يقف في تناقض ملحوظ مع اقتراب العديد من الكتاب في وقت لاحق بإعلان تأييدهم لبنيامين.

في بعض الحالات ، كانت هناك شخصيات كبيرة وغير تقليدية سواءً من اليسار أو اليمين من الذين لم يستطيعوا تجاوز الحدود العملية للنظام الرسمي. إن ماركسيين من هذا القبيل لا يجادلون بشأن أي شيء يمكن أن يكون له قيمة أصلا ، ولكن استخدامهم لنموذج متطور من الفاشية أدى بهم فى النهاية للدفاع عن بعض

السياسات العملية بشكل « يخالف» البيانات الرسمية ، فعلى سبيل المثال ، جادل «ماكس سيدويتز Max Seydewitz الذى كتب فى إحدى المجلات وتدعى «دير كلاسينكامف Der Klassenkampf ، وهي مجلة «يسارية» داخل الحزب الديمقراطي الاشتراكي SPD ، ما يلي : إن الحركة الفاشية لا تعتبر كيانا مستقلا بين الفئات المتصارعة الأخرى من البرجوازية والبروليتاريا... » فقد فشل قادة الحزب على الاعتراف بشكل واضح على صلة الفاشية مع الأزمة الاقتصادية ، وكذلك محاولات الطبقة البرجوازية المهيمنة لحل الأزمة لمصلحتها الخاصة.

واعتمادًا إلى حد كبير على أساس هذا التحليل للفاشية ، غادر «سيدويتز» الحزب الديمقراطي الاشتراكي SPD وشكل حزب جديد ، هو حزب العمال الاشتراكي (SAP) ، الذي كانت سياسة الأساسية مرتكزة على توحيد الطبقة العاملة التى تهدف بدورها إلى وقف الفاشية. أما التحليلات الأكثر إثارة للاهتمام بشأن الفاشية جاءت من هؤلاء المفكرين الذين كانوا بالفعل خارج كل من الحزبان الدوليان ، والذين أوجدوا مفاهيم وتقاليد ماركسية جديدة ، وتلك المفاهيم كانت أبعد ما يكون عن التأثيرات الرسمية من اليسار أو اليمين. وثمة قائمة من تلك الشخصيات المعارضة و تشمل كل من «أوجست ثالهيمر August Thalheimer ، اجنازيو سيلون Ignazio Silone ، أنطونيو غرامشي Antonio Gramsci وليون تروتسكي Leon Trotsky .

وكان أوجست ثالهيمر عضوا يمينيًا للحزب الشيوعى KPD والذي عارض الخط اليسارى فى الفترة الثالثة. ولقد تم طرده من الحزب الشيوعي في عام ١٩٢٨ وشكل حزب شيوعي يميني آخر ، وهو« الحزب الشيوعي المعارض» (KPO) . وحذر الحزب الشيوعي المعارض من الخطورة التي يشكلها هتلر ، وطالب أوجست ثالهيمر بنفسه أن يكون هناك اتحاد معارض من الطبقة العاملة ضد النازيين ، قبل أن يضطر إلى الذهاب إلى المنفى في شباط / فبراير ١٩٣٣ . ولقد

استخدم ثالهيمر طوال حياته أفكار النظرية أو الجدلية الثالثة للفاشية. وقال: « إن الناشية ، كشكل من أشكال الحكم ، أدت إلى تدمير معظم المكاسب التي تحققت في عدة عقود من نضال الطبقة العاملة». وهو بذلك يعني أن الفاشية قد أعطت الطبقة الرأسمالية حرية التصرف المطلقة ، مما يعنى «القضاء التام... على الحقوق الديمقراطية لعمال. وفي الوقت نفسه ، فقد نما الحزب الفاشي كعامل مستقل بذاته».

وكانت النتيجة النهائية لتشجيع البرجوازية الإيطالية للحملات الإرهابية ضد اعمال من قبل العصابات الفاشية ، أن أدى ذلك إلى حكم موسوليني مع فاشيته... ولم تكن النتيجة النهائية الفعلية هو أساس مقصد البرجوازية الإيطالية ، ولكنه جاء كنتيجة حتمية لأعمالها وتصرفاتها.

وشدد ثالهيمر على «الطابع المتناقض للحركة الفاشية» وأكد على أن المقاومة المتحدة من الطبقة العاملة هى السبيل الوحيد لهزيمة تلك الفاشية. ومع ذلك ، فلم يكن عمل ثالهيمر الأصلي منصبا على الفاشية كحركة ، ولكنه كان يتعامل مع طبيعة الفاشية كنظام. وكان أفضل أعمال في ثالهيمر مقالاته المعروفة باسم عن الفاشية) 'Faschismus Über' » والتى كتبها في عام ١٩٢٨ ونشرت في عام ١٩٣٠.

وقد استعار ثالهيمر النهج الأساسي هنا من كتابات ماركس عن « بروميير الثامن عشر». ولقد رأى ثالهيمر أن حجر الزاوية في تحليل ماركس هى فكرة أن لبونابرتية كان نتاجا «لمجمل من العلاقات الطبقية». لذلك فقد تتبع خطا وطريقة ماركس فى حجج محددة استخدمها ماركس لشرح صعود البونابرتية ، فقام ثالهيمر بتعريف كل من الفاشية والبونابرتية على أنها :« الظواهر ذات الصلة. وان كل منها يمثل شكل من أشكال الديكتاتورية الرأسمالية المفتوحة».

وأن فى عصر كل من الفاشية والبونابرتية على حد سواء شهد نفوذا هائلا

لسلطة الدولة من خلال « التبعية السياسية للجماهير » ، بما في ذلك البرجوازية نفسها ، وصولا إلى سلطة الدولة الفاشية. وفي كلاهما. وفي كلتا الحالتين ، تم الاستيلاء على السلطة عن طريق الهجوم بعد فشل البروليتارية ، والتسبب فى حالة من الإحباط للروح المعنوية للطبقة العاملة ، والتى أدى هلع الطبقة الحاكمة فى محاولة البحث عن منقذ لهذا المأزق.

وبالنظر إلى أن العديد من الماركسيين في وقت لاحق والذين قاموا أيضا بعمل مقارنة بين الفاشية والبونابرتية ، فمن المفيد التعرف على التحليل الذى وضعه تالهيمر ، وذلك حسب الدراسة التى أعدها للفصل بين النظامين(الفاشي والبونابارتى) ، حيث قام بوضع ثلاثة مميزات. الميزة الأولى تتمثل فى أن فاشية موسوليني وقعت في إيطاليا ، وليس فرنسا ، مما يعني أنه اختارها كنموذج له ، وكذلك فإن نابليون لم يقم بهذا الاختيار و لكن الذى قام به هو قيصر.

ثانيا ، حدثت هذه الفاشية بعد أكثر من سبعين عاما من التطور الرأسمالي : بينما تواجدت البونابرتية فى سنوات من التنمية الرأسمالية الحرة ، ونشأت الفاشية في عصر الاحتكارات والأزمة الرأسمالية. ومن هنا نستدل بأن الفاشية كانت «إمبريالية» بالمفهوم الحديث للكلمة منذ بداياتها.

ثالثا ، أن الأحزاب الفاشية والنابليونية على حد سواء قد سعت لنسخ منافسيها وتقليدها، وذلك من أجل التغلب عليهم. فقد سعت جمعية نابليون فى ١٠ ديسمبر لنسخ «مجموعات اليعاقبة» ، ولكن حزب موسوليني كان « يعد كثورة مضادة للحزب الشيوعي السوفياتي فى روسيا».

ويتضح من هذه القائمة ، أن تالهيمر يرى أنه البونابرتية والفاشية في الواقع باعتبارهما متماثلتين. ووصف الفاشية فقط بأنها أدت إلى اختلافات قوية ، ولكنه لم يحدد التسلسل الزمني للرأسمالية التي ينظر إليها على أنها دعامة لتلك الفاشية أو

يصفها بأى شكل ، ونتيجة لذلك ، نجد أن نظرية ثالهيمير للفاشية هى الأضعف لتناوله الفاشية على أنها «رجعية». وربما يكون هناك بعض المفاهيم الجيدة في مقالته التى يوضح فيها العلاقة بين الفاشية والرأسمالية ، وتوضيحه لمصطلح رد الفعل. ولكن لا يوجد أي معنى ضمنى فى مقالاته يمكن أن يفسر كل ما قامت به الفاشية ، أو ما يمكن أن تقوم به. ويبدو ثالهيمير كما لو كان عالم أحياء ، يعمل على تشريح جثث لقتلى توفوا منذ فترة طويلة للتعرف على جنسهم وأصلهم. وقد تعاطف ثالهيمير لاحقا مع الأجيال اللاحقة من الماركسيين الذين كانوا يعملون في الجامعات ، ولكن هذا يبدو غريبا على شخص لديه بعد النظر هذا عن الفاشية ، وهو الذي عاش في ألمانيا في السنوات التي سبقت عام ١٩٣٣ مباشرة.

أما «اجنازيو سيلون» Ignazio Silone فكان عضوا بارزا في الحزب الشيوعي الإيطالي (PCI) ولعب دورا هاما في تشكيل الحزب في «ليفورنو Livorno في عام ١٩٢١. ومع ذلك ، غادر الحزب ، وبعد فترة وجيزة ، كان مقربا من «ليون تروتسكي Leon Trotsky ». وقدم اثنين من المساهمات أولهما ، رواية« فونتمارا Fontamara »، والتى كتبها في عام ١٩٣٠ ، وذلك بعد وقت قصير من ترك سيلون للحزب الشيوعي الإيطالي ، ثم قام بأحد الأعمال النظرية كاتبا عن الفاشية وذلك فى عام ١٩٣٤. ولقد قام سيلون فى روايته فونتمارا بوصف لتجربة الفاشية ، من خلال مشاعر بعض الفلاحين من قرية نائية فى جنوب إيطاليا. وفي هذا الكتاب ، كان سيلون يصور الفاشية كحركة فئة من الناس ، أو حركة طبقة داخل المجتمع ، متواجدة فى مكان معين ، وتشترك فى نفس المشاعر النفسية ويقول فى تلك الرواية:

لقد كان هؤلاء الفلاحين قوم فقراء أيضا ، ولكن فقراء من نوع خاص ؛ فقد كانوا من الذين لا يملكون أرضا ، ولا يستطيعون ممارسة أي تجارة ، أو معرفة

الكثير من المهن ، وهم فى نفس الوقت ... ضعفاء جدا وأذلاء لا يمكنهم التمرد على السلطات والأغنياء ، ويفضلون أن يتذللوا لهؤلاء الأغنياء في مقابل الحصول على الحماية عند قيامهم بنهب وقمع الفقراء الآخرين.

وكانت اللغة التى استخدمها سيلون لغة خام و بسيطة ، وكان سيلون يحاول أن يعطي انطباعا بأن الحركة لم تكن تعبر عن مظالم الطبقة «الشعبية الفقيرة» وفي الوقت نفسه ،كان يوحى بأن الحركة كانت في خدمة النخبة الرأسمالية من سكان الريف.

وفى كتابات سيلون النظرية عن الفاشية وفى كتابه المسمى «دير فاشيزماس Der Faschismus »والذي قام «سيلون» بنشره في سويسرا، والذى كان به جدلا أوسع ، وضم فيه تحليلا للفاشية لإيطالية من شأنه أن يكون دعما لمناهضى الفاشية الألمانية. فقد عرض تعريفات من ثلاثة نقاط. الأولى ، هو تعريف الفاشية حسب تسلسلها « الزمني» ، باعتبارها حركة نشأت في المجتمعات الرأسمالية ، في أوقات تميزت بوجود أزمة اقتصادية ، وهى الأزمة التى استمرت لفترة طويلة والتى فشل كل من الرأسماليين والأحزاب العمالية على حد سواء على التعامل معها وكذلك الفشل فى ملء هذا الفراغ.

ثانيا ، وصف سيلون الفاشية «مورفولوجيا» ، (أى من حيث شكلها وطبيعتها) ، ووصفها بأنها «حركة سياسية جماهيرية واسعة » ، والتى يصاحبها أيديولوجية وأفكار من القوميين ، ومدعومة من جهه البرجوازية الصغيرة.

ثالثا ، التعريف الثالث ل «سيلون» هو تعريف الفاشية «جدليا »، كحركة تطورت وتغيرت. وعلى وجه الخصوص ، فهو يجعل هناك فرقا بين الفاشية كحركة وبين الفاشية كنظام فيقول: «حتى الفاشية ، التى تتميز بأنها أقوى حركة تولدت من البرجوازية الصغيرة ، كانت نتيجتها متمثلة فى ان أصبحت ديكتاتورية ذات تمويل مفتوح ، والتى استخدمت القمع ضد الطبقة البرجوازية الصغيرة لاحقا

بشكل غير مسبوق .

ومن بين هذه النقاط ، كان التعريف الثالث ل « سيلون »هو الأهم. ففي روايته « مونتامارا» ، كان نموذج الفاشية بسيطا : فقد كان ينظر للفاشية على أنها تعبر عن أفكار خاطئة لطبقة فرعية من البروليتارية. أما فى كتابه عن الفاشية « دير فاشيزماس» ، فعلى النقيض من ذلك ، فقد تم تحديد الفاشية بأنها متناقضة ، لأنها تعبئة لطبقة داخل المجتمع لم تتمكن من أن تحل المظالم التي نشأت عن هذا الوضع الذي وجدت نفسها محاصرة داخله. و اقترب سيلون في هذه المسألة لصلب التعريف الماركسي الثالث للفاشية : إذا كانت أهداف الفاشية تتناقض مع تلك احالة التي كانت تشكل الجزء الأكبر من الفاشية باعتبارها حركة جماهيرية ، إذن كيف يمكن حل هذا التناقض ، وماهى نتيجة هذا التناقض؟

أما أنطونيو غرامشي ، فهو مثل« اجنازيو سيلون » ، عضو في الحزب الشيوعي الإيطالي ، وانتخب فى اللجنة المركزية في مدينة « ليفورنو». وقاد الحزب من عام ١٩٢٤. وسجن في عام ١٩٢٦ ، حتى أطلق سراحه ليموت في عام ١٩٣٧ .

وعلى الرغم من أن غرامشي كان واحدا من قلة من أعضاء الحزب الشيوعي الإيطالي الذي أخذ الفاشية على محمل الجد ، إلا أنه وحتى عام ١٩٢٠ ، كان من الصعب نسبيا بناء أى مفهوم لنظرية غرامشى عن الفاشية.

ومن إحدى المشاكل أن غرامشي كان يكتب طوال الفترتين الرئيسيتين للفاشية. وكما سبق القول ، فأعماله تبدو معيبة لرغبة غرامشى المتسرعة لوضع نظرية عن انفاشية حتى أثناء عملية ولادتها. وثمة مشكلة أخرى وهي طبيعة كتابات غرامشي ، فمن المسلم به عموما أن معظم كتابات غرامشى كتبها فى مذكرات وهو داخل سجن ، ولكن هذه المجموعة من الملاحظات تم تعديلها من قبل غرامشي نفسه، لصرف انتباه الرقيب. فهناك العديد من التعديلات التى أجراها غرامشي على هذه

المقالات ، فقد قام بإزالة كل ذكر لماركس ، وكان يستخدم شفرة الكلمات ، للإشارة إلى مواضيع مثل الثورة ، والحزب الشيوعي والفاشية. لذلك كان جزء كبير من هذا العمل يحتوى الكثير من الرموز ويبدو غامضا. وحتى الآن ، ليس هناك دراسة نهائية للنظرية الفاشية الموجودة في هذه النصوص الخاصة بغرامشى.

و لإعادة بناء نظرية غرامشي عن الفاشية ، فسيكون من الضروري تقسيم عمله إلى قسمين ، أولها الفترة التى سبقت القيام بسجنه في عام ١٩٢٦ ثم الفترة التى كان مسجونا بها. ففي الفترة الأولى ، كان تحليل غرامشي هجينا. فمن ناحية ، شدد على أن الفاشية كانت حركة جديدة وخطيرة بشكل خاص. ومن ناحية أخرى ، قال غرامشي أن الفاشية كانت بمثابة صك ، يتم التلاعب به من قبل الطبقة الرأسمالية لتدمير النظام الديمقراطي في إيطاليا أو تقليص دوره « كحد أدنى» حسب قوله.

وبعبارة أخرى ، فإن تحليلات غرامشي فى بداياتها كانت تكمن ما بين الأفكار اليسارية لأمثال « بورديجا Bordiga » وبين أفكارا جدلية ، دعونا نقول لأمثال «أنجيلو تاسكا» أو « بالميرو تولياتي» من حيث الأفكار الأصلية ، وأن أفكار غرامشى ربما لا تتعدى كلاهما.

وفي الفترة الثانية ، من خلال مذكرات غرامشى فى فترة سجنه ، كان نموذج غرامشي للفاشية أقرب إلى مفهوم الجدنية. وكان يصف أصول الفاشية بأنها ترقد فى قاعدة المجتمع. وأنها كانت تتألف من طبقتين ، الأولى من طبقة البرجوازية الصغيرة في المناطق الريفية الفقيرة بالإضافة إلى طبقة متفرعه من البروليتاريا ، مماثلة لتلك الطبقة التى وصفها في روايته « فونتامارا ». وكان كل طبقة منهم عرضة للتخريب بمعنى أن كل منها كان يتعرض للاضطهاد والتشريد وبالتالي عرضة للدعاية سواء من اليسار أو اليمين. وهكذا فالفاشية كانت 'نوع من الحزب... الذى تشكل من قبل الجماهير». و لذلك كان الحكم البرجوازي هو النتيجة العملية

لاستمرار الديكتاتورية الفاشية . وفي هذا المعنى ، فقد استخدمت الفاشية راديكالية الطبقات المضطهدة كأيديولوجية يحاربون بها بعضهم البعض .

وفي وصف غرامشي ، يفسر كون الفاشية حركة جماهيرية ولديها القدرة على حل الأزمة الاقتصادية ، وبالتالي كانت الطبيعة المتناقضة للفاشية هى التي مكنتها من لعب دور في تثبيت سيادة البرجوازية. وبالمثل ، كانت تلك الطبيعة المتناقضة هى التى مكنتها من الوصول إلى السلطة ، والتصرف في السلطة بشكل يشبه كثيرا «البونابرتية». ولقد قام غرامشي بوصف الفاشية باستخدام لفظ مثل «القيصرية» ، وهو التعبير الذي كان يستخدمه لوصف كل من الفاشية والبونابرتية على حد سواء.

ومثله مثل « أوجست تالهيمر »، رأى أنطونيو غرامشي أن الأسباب العملية لصعود نابليون الثالث وموسوليني بأنها متطابقة. ولقد سار على خطا كل من تالهيمر و ماركس ، فى وضع قائمة تمثل العوامل التى مثلت أزمة للطبقة الحاكمة ، ومنها عدم معاملة البروليتاريين بالمثل ، وإبادة الفلاحين بشكل كبير، ووجود طبقة مغامرة بما في ذلك كل من البرجوازية الصغيرة والغوغاء البروليتاريين الذين نظموا لأنفسهم حزبا.

غير أنه كانت هناك ، على الأقل ثلاثة مستويات من التفسيرات في نظرية غرامشي والتي اختلف فيها عن تفسيرات « أوجست تالهيمر». أولا ، كان مفهوم غرامشي للأزمة الرأسمالية التي سبقت ظهور الفاشية محددا ، و التي أسماها «أزمة الهيمنة». و كان يشير الى أن الحكم البرجوازي في المقام الأول جاء من خلال الإجماع وليس القسر، ولذلك فما يعنيه بأزمة الهيمنة أزمة « الهيمنة الفكرية » أو الهيمنة الأيديولوجية.

ثانيا ، كان لدي غرامشي شعور بوجود صلة قويه بين الفاشية والحالة النفسية أو السيكولوجية لطبقات معينة من المجتمع ، بما في ذلك البرجوازية الصغيرة في المدن ،

وهى الطبقة التي انحدر منها صغار الضباط الفاشيين.

ثالثا ، كان غرامشي يفهم الفاشية على أنها «فكر »: فهى الاجابة على أزمة الهيمنة ،. ومع ذلك ، فلماذا لم تحل الفاشية شكاوى الجماهير عندما كانت فى السلطة. و كما هو الحال مع البونابرتية ، انخفض الطابع الاستثنائي للفاشية ، لأنها فشلت في مواجهة المظالم التى يتقدم بها مؤيديها. وهذا التحليل يعني أن غرامشي كان قادرا على استنباط الاستنتاجات العملية التي ميزت النظرية الجدلية للفاشية. وتساءل غرامشي قائلا : هل يمكن أن معالجة الخلاف بين الجماهير الشعبية والأيديولوجيات الحاكمة... بممارسة القوة بكل بساطة؟ لقد كانت إجابته (حتى فى عام ١٩٣٠ هى «لا».

أما الكاتب «ليون تروتسكي» فهو من الكتاب المعروفين في الكتابة عن الفاشية في الفترة ١٩٣٠-١٩٣٥. . وكانت أعماله الأكثر أهمية الجدل الحاد الذى وجهه ضد الحزب الشيوعى الألماني KPD والحزب الديمقراطي الاشتراكي SPD . في حين كانت الشخصيات الأخرى المعارضة في السجن تكتب من دون جمهور (إشارة إلى غرامشي) ، وكان ثالهيمر و سيلون يكتبون قبل فترة من وصول هتلر إلى السلطة ، أما تروتسكي فقد كان يكتب في اللحظة ذاتها التى كان يمكن أن يتم إيقاف هتلر فيها. وكان تروتسكي حينها يكتب بشكل أكثر حدة أكثر من أي شخص ، يدفع تجاه تحركا فوريا من الطبقة العاملة لوقف صعود هتلر. على حد تعبير كاتب سيرة «تروتسكي» ، وهو الكاتب « إسحق دويتشر» Isaac Deutscher الذى يقول عنه : إنه ليس مثل أي شخص آخر ، وأنه بدأ قبل أن يبدأ أي شخص آخر ، أدرك تروتسكي حالة الهذيان المدمرة التى صاحبت الاشتراكية القومية والتي كانت على وشك الانفجار فى العالم... وهو صاحب العمل الوحيد الذى لا يزال تحليله متماسكا عن الاشتراكية القومية أوعن - الفاشية بشكل عام - كما تمتاز تحليلاته

بانها اكثر التحليلات واقعية في الأدب الماركسي على الإطلاق.

و استندت المقالات والنشرات التي أنتجها تروتسكي على انتقاد الممارسات المناهضة للفاشية والنظريات الفاشية من الأحزاب اليمينية واليسارية الرسمية على حد سواء. كما انتقد اللامبالاة المشتركة للاشتراكيين الألمان في مواجهة الفاشية، واتهمهم تروتسكي بندرة التنافس فى تحليلاتهم. وقام تروتسكي باستخدام لغة أكثر إقناعا لتحليل جذور النظرية الجدلية للفاشية. وأصر تروتسكي على أن انتصار الفاشية سيمثل هزيمة أفظع لحركة الطبقة العاملة الألمانية بقوله:

الفاشية هي نظام حكومي خاص يستند على اقتلاع جميع عناصر الديموقراطية البروليتارية الموجودة داخل المجتمع البرجوازي... وتخطط لسحق جميع المنظمات الطوعية والمستقلة، وهدم الحصون الدفاعية للبروليتاريا، واقتلاع كل ما تم إنجازه خلال ثلاثة أرباع قرن من الاشتراكية الديموقراطية والنقابات.

وانتقد تروتسكي أولئك الماركسيين الذين رأوا الفاشية على أنها مجرد شكل آخر من أشكال رد الفعل الرأسمالي. وان الفاشية كانت الشكل الاستثنائي من ردود الفعل، ويقول تروتسكي«[1]والمغرورون الذين يدعون أنهم لا يرون الفرق بين هتلر وبرونينج هم في الواقع كمن يقول أنه لا فرق بين أن تكون منظماتهم متواجدة أو أن يتم تدميرها بالفعل.

وقال تروتسكي : إن هناك علاقة بين الفاشية والرأسمالية. وقال إنه يشاطر تحليل التسلسل التاريخي لكل من غرامشي ،و«سيلون، والربط بين ظهور الفاشية الألمانية والأزمة الاقتصادية والسياسية، فهو يصف تلك الأزمة قائلا «موقف يائس للنظام البرجوازي ولدور المحافظين في الديمقراطية الاجتماعية في هذا النظام والعجز المتراكم للحزب الشيوعي ». وفي الوقت نفسه، اعترف تروتسكي بأن هناك عنصرا من الحقيقة فى فكرة « الحزب الشيوعى الألمانى KPD بأن تمويل رأس المال لا

يستطيع أن يكيف نفسه ويتواءم مع الديمقراطية البرلمانية.

ووصف تروتسكي هذه الفكرة بأنها 'صحيحة تماما ضمن حدود معينة». ومع ذلك، كانت الأزمة الرأسمالية هى السبب الرئيسي، ولا يجب أن تلقى باللائمة على أي تغيير عضوي في طبيعة رأس المال. كما ألقى تروتسكي باللوم على صعود الفاشية على ما قام بوصفه بأنه « الجو الملتهب بالحرب، والهزيمة، والتعويضات، والتضخمّ، واحتلال الرورRuhr (هي منطقة حضرية في وستفاليا شمال الراين، ألمانيا)، وأزمة العوز واليأس.

في حين رأى تروتسكي أن الفاشية والرأسمالية مرتبطتان بكل تأكيد، وكان جوهر هجومه الذى وجهه لجناح اليسار من الحزب الشيوعى الألمانى يرتكز على تأكيد تروتسكي بأن الفاشية تمثل حركة جماهيرية حقيقية. كما قال تروتسكي: 'إن الجيش الرئيسي للفاشية... يتكون من البرجوازية الصغيرة والطبقة الوسطى الجديدة، والحرفيين وأصحاب المحال التجارية الصغيرة في المدن، وصغار الموظفين، والموظفين، والكوادر الفنية، والتقنيين والمثقفين، والفلاحين الفقراء.»

وعلى النقيض من ذلك، فضل ممثلي الشركات التجارية الكبرى الهدوء واستقرارا أكثر لحل تلك الأزمة: فهم لا يريدون أي تشنجات، أو أي حرب أهلية طويلة وقاسية. وإذا كانوا قد اختاروا هتلر، فقد قاموا بذلك فقط لأن عمق الأزمة لم يمكنهم من تحمل رتابة الديمقراطية البرجوازية. وقام تروتسكي باستخدام استعارة حية لوصف 'الألم وهو تعبير قوى يستخدم على نطاق واسع خاصة في الأيام التي سبقت التخدير لعلاج الآم الأسنان والكلام لتروتسكى: 'إن البرجوازية الكبيرة مثل الفاشية يشبهان رجلًا يعانى من وجع الأضراس ويحب أن يقوم أى شخص على يخلع أسنانه.»

ووصف تروتسكي الفاشية باعتبارها حركة جماهيرية ذات أيديولوجية رجعية،

وأنه يربط هذا المزيج بهيمنة البرجوازية الصغيرة داخل تلك الحركة. وكان تروتسكي عندما يشير «للبرجوازية 'الصغيرة' ، يقصد بها اثنين من الفئات الاجتماعية على وجه الخصوص. واحدة كانت تتألف من طبقة أصحاب المتاجر والتجار وأصحاب رأس المال القليل جدا والمستمرون في الديون. وباقتباس عبارة «ستراتشي» ، الذي سبق أن أشرت إليها ،فهم كانوا من ذوي الأملاك الصغيرة ومن صغار المنتجين : يقترضون من البنوك لتستمر أعمالهم .

أما الطبقة الثانية التى يشير إليها تروتسكى كطبقة صغار البرجوازيين ، فكانت تضم عددامن المسؤولين والمديرين ، وتسمى «الطبقة المتوسطة الجديدة».

ومازال الحديث عن تلك الطبقة البرجوازية الصغيرة ، ومرة أخرى ، كان رأس المال لديها قليل ، ولكن أعضاءها يرون أن لديهم بعض السيطرة على عمالهم ، وأنهم يساهمون في تنظيم الدولة. فلا يمكن أن يقال عن هذه الطبقات أنها امتلكت أو تحكمت في رأس المال ، ولكنها كانت طبقات لديها تصور مشترك عن ذاتها: فهم كانوا أفضل تعليما من معظم العمال ، ويرون أنفسهم أعلى اجتماعيا ، وكانوا معاديين لأعضاء الطبقة العاملة.

ولقد رأى ليون تروتسكي الاشتراكية القومية بأنها تعبير عن الوضع الاجتماعي «للطبقة البرجوازية الصغيرة التى تعيث في الأرض فسادا». هذه العبارة يجمع تروتسكي فيها بين مفهوم المكانة الاجتماعية مع مفهوم علم النفس الطبقى. فإنه وتحت وطأة الأزمة الاقتصادية ، فإن طبقة صغار المنتجين كانوا يعانون من مشقة حقيقية. ولقد وصف تروتسكي ذلك بقوله 'لم تتوقف مظالم صغار الملاك من الشكوى الدائمة من الإفلاس. ومع ذلك ، لم يقوموا بتوجيه اللوم للرأسمالية ولكن قاموا بلوم الطبقات الأدنى منهم : فهم قد وقفوا عاجزين أمام رؤوس الأموال الكبيرة ، وكانت البرجوازية الصغيرة تأمل في استعادة كرامتها الاجتماعية فى

المستقبل أمام عيون عمالها . وفى وصف تروتسكى لهتلر أوضح أنه يرى الفاشية باعتبارها «الممثل الحقيقي لهذه الطبقة» ويصفها بأنها : طبقات منكوبة ، مثل من يعاني من مرض خطير ، وكانت خطب هتلر جميعها تنصب على تلك الطبقة...

ولم تكن البرجوازية الصغيرة مجرد طبقة وسطى بين الطبقة العاملة والطبقة الحاكمة ، ولكنها طبقة متقهقرة ، غير قادرة على حكم نفسها، وتدرك ضعفها وبؤسها. ولهذا السبب نعت تروتسكي الفاشية باسم «حزب اليأس المضاد للثورة».

وإذا كانت هناك جملة واحدة يمكن أن تلخص نظرية تروتسكي للفاشية ، فهى : أن الفاشية هي وسيلة محددة لتعبئة وتنظيم البرجوازية الصغيرة من اجل المصالح الاجتماعية للرأسمالية.

إن هذا التعريف يعني أن هناك تناقضا بين تطلعات البرجوازية الصغيرة وأهداف الحركة الفاشية فى مكافحة البروليتارية. وهذا التناقض يظهر جليا عند رؤية التناقض الواضح بين الخطاب الفاشي وبين الممارسات الفاشية. وعلى حد قول تروتسكي :«كل شيء في الاشتراكية القومية متناقض وفوضوى كما لو كان كابوسا. فحزب هتلر يطلق على نفسه اسم «اشتراكي» ، ويقوم بعدها بصراعات إرهابية ضد جميع المنظمات الاشتراكية... وهو يطلق النار على رؤساء الرأسماليين ، ومع ذلك يحظى بدعمهم.

إن هذا التناقض بين الفكر الرسمي والممارسة الفعلية ، يقول تروتسكي أيضا : إنه أصبح واضحا بشكل متزايد بعد أن استولت الفاشية على سلطة الدولة : قللت الفاشية من حكم البرجوازية الصغيرة عندما وصلت إلى السلطة... ونجحت الفاشية في وضع تلك البرجوازية في خدمة رأس المال.

و تشترك أفكار تروتسكي بشكل كبير مع أفكار « ثالهيمير» و«غرامشي» ، بأن الحكم الفاشي كان أقرب إلى البونابرتية. فعلى سبيل المثال ، فقد اتفق الثلاثة (تروتسكي - ثالهيمير - غرامشي) على أن تقدم الفاشية لم يكن ممكنا إلا في فترة

الأزمة الرأسمالية وهزيمة الطبقة العاملة. ومع ذلك ، رأى تروتسكي أن جوهر البونابرتية يكمن فى كونها توازن بين الطبقات : 'إذا غرست شوكتين بشكل متناظر في قطعه من « الفلين» فتلك القطعه من « الفلين» يمكنها أن تقف حتى على رأس دبوس. ويرى تروتسكي ان هذا ما يشكل نموذج البونابرتية تماما.

وانطلاقا من ذلك ، طور تروتسكى فكرة حيوية ومحددة عن البونابرتية. ورأى أن هناك نوعا من التوازن في إطار مستشارية برونينج Brüning : أن خطر الحرب الأهلية يخلق حاجة في الطبقة الحاكمة ليكون هناك حاكما وقائدا ، أي تحتاج «لقيصر». و يرى تروتسكي أن ذلك العصر تميز بها أسماه بـ «البونابرتية الوقائية». ثم وصف تروتسكي الفاشية بانها تنهي هذا التوازن مؤقتا. وقال: إن انتصار الفاشية يعني هزيمة للطبقة العاملة والتوصل إلى تسوية لمصلحة رأس المال. ولكنه رأى أن التوازن شيئا يمكن استعادته و استرجاعه مرة اخرى ، وتحديدا لأن الفاشية كانت شكلا من أشكال الحكم التى لم يكن يلبي مصالح البرجوازية الصغيرة ، لذلك فالنظام الفاشي سيفقد دعمه الشامل : «إن تجديد الفاشية لتتحول إلى البونابرتية يعني بداية نهايتها «و يصبح مصير تلك الفاشية الناضجة مثل البونابرتية مرة أخرى ، وهذا ما وصفه تروتسكي بقوله «البونابرتية من أصل الفاشية».

وكانت السمة الأبرز لنظرية تروتسكي عن الفاشية هى إصراره على الطبيعة الجدلية للفاشية. فالفاشية ، كما يقول : هى نتاج لظروف متناقضة ، فقد نتجت من حدة التوتر بين أزمة النخب وفشل الأحزاب الاشتراكية. كما ازدهرت الحركة الفاشية بناءا على وجود تباين بين القاعدة الجماهيرية الداعمه لها والطبيعة الرجعية لأهدافها. وأن القاعدة الاجتماعية للفاشية في حد ذاتها كانت فى حالة من العداء فيما بينها وأن البرجوازية الصغيرة قد صبت جام غضبها على الرأسماليين وذلك عن طريق سحق الطبقة الوحيدة التى كان يمكنها أن تهزم الرأسمالية. ولقد تم التعبير

عن هذه التناقضات جدليا ، بمعنى أنه تم وصفها بأنها «غير مستقرة».

وعلى مستوى السياسة لن يكون هناك حل وسط ، فإما أن تقوم الطبقة العاملة بسحق الفاشية وإما أن تقوم الفاشية بسحق الطبقة العاملة. حتى هذه الانتصارات سوف تكون مؤقتة بذاتها. فإذا فازت الطبقة العاملة ، فإنه سيتعين عليها الانتقال من الدفاع إلى الهجوم ،حيث لن تتمكن من هزيمة الفاشية إلا إذا سعت إلى هزيمة الرأسمالية. أما إذا فازت الفاشية ، فإنه لا يمكنها أن تسحق الطبقة العاملة ، لأنها لن تستطيع تغير طبيعة الإنتاج الرأسمالي. ومازال ذلك يستدعى الحاجة للعمالة. من هذه النظرية ، استمد تروتسكي «تكتيك» خاص به لهزيمة الفاشية ، وهو ما أسماه بـ «الجبهة المتحدة». وكانت فكرة الجبهة المتحدة تلك يشترك فيها مع تاسكا ، وسيدويتز، وسيلون وغرامشي ، وهى تمثل فكرة «العمل الموحد من قبل كل من الحزب الديمقراطي الاشتراكي و الحزب الشيوعى كمعاقل للدفاع عن الطبقة العاملة. ويكمن نموذج هذا التكتيك في دفاع بلشفية «كورنيلوف» ضد «كيرينسكي» في عام ١٩١٧ من خلال حماية الاشتراكية المعتدلة من خطر الثورة المضادة ، وقد نال البلاشفة تأييد أغلبية العمال الروس حينها. ولقد تبنى المؤتمر الثالث للكومنترن تلك «الجبهة المتحدة» من حيث المبدأ. وما يميز استخدام تروتسكي لهذا التكتيك كان تأكيده على أهمية العلاقة بين الهجوم والدفاع .

وقال: إن الأولوية العاجلة تتمثل فى الدفاع الجماعى عن النفس في مواجهة الخطر الفاشي ويوجه هذا السؤال: هل يجب على 'تكتيكات الحزب الشيوعي الألماني في الفترة التالية مباشرة أن تتخذ خط هجومي أم دفاعي؟ والإجابة هى دفاعي. وفي هذه العملية ، فينبغي على المتشددين الاشتراكيين السيطرة على أماكن العمل الخاصة بهم : يجب على كل مصنع ومجلس أن يصبح حصنا ضد الفاشية ، مع قادتهم وكتائبهم الخاصة بهم. إن عملية الدفاع ضد الفاشية ستصبح عملية هجوم

علي الفاشية : «والفاشيون يحاولون تطويق المعاقل الثورية». لذلك يجب أن تتم محاصرة هذا الطوق الفاشى. وستكون النتيجة احتلال مواقع من شأنها تمكين النضال ضد الرأسمالية : إن تحطيم الفاشية... يعني تولد مباشر للثورة الاجتماعية.

إن نظرية ليون تروتسكي عن الفاشية هى الأكثر شهرة من النظريات التي تم إنشاؤها بواسطة الشخصيات المعارضة ، ومع ذلك فغالبا ما يتم تجاهلها. إن جزء من التفسير الذى ساقه تروتسكي يرتبط مع التاريخ في وقت لاحق مع النظرية الشيوعية الدولية الثالثة ، والتى انتقلت إلى اليمين بعد عام ١٩٣٤ ، وأصبحت بذلك نظرية تروتسكي عن الفاشية مصدر إحراج مزدوج.

وكان الفكر الإصلاحي في فترة الجبهة الشعبية وما تلاها ، يتوافق مع فكرة النضال ضد الفاشية التي يمكن أن تصبح ثورة ، وهي الرسالة التي لم تعد مقبولة، للمفكرين الرسميين فى فترة ما بعد الحرب للأحزاب الشيوعية ، ويقول المفكرون: أن تروتسكي تميز بالازدواجية فى تحليل اليساريين الألمان في الفترة من ١٩٢٨-١٩٣٤ . والنتيجة كما يقول أحد المؤرخين الغير الماركسي : « عند التحليل النهائي لعمل [تروتسكي] لا يظهر اختلاف كبير عن نظريات الكومنترن ، والتي تعرف فيها الفاشية في نهاية المطاف على أنها الديكتاتورية المالية لرأس المال...

إن مثل هذا الادعاء خاطئ بشكل واضح. فقد كان جوهر الجدل لتروتسكي ضد قادة الحزب الشيوعى KPD هو إصراره على أن الفاشية كانت حركة مستقلة ذات قاعدة خارجية وتهدد الطبقات الرأسمالية الحاكمة. وكانت انتقادات تروتسكي لقيادة الحزب الشيوعي الألماني متطابقة مع موقف الشيوعيين الإيطاليين الذي اتخذوا نفس وجهه النظر، وهى ان الفاشية ليست سوى رد فعل الرأسمالي.

والسمة المميزة لكتابات تروتسكي هو تأكيده على الطبيعة الجدلية للفاشية ، والمؤرخين الذين لايفهمون هذا ، يسيئون فهم كل شيء.

وهناك طبقة أخرى من المؤرخين الماركسيين ، الذين لديهم بعض التعاطف مع مفاهيم تروتسكي ، ولكنهم يفضلون نظريات غرامشي أو «أوجست، ثالهيمر». والآراء هنا تجمع على تفوق « ثالهيمر» فى مفهومه عن الفاشية ، لأن كتاباته تتميز بإحساس أقوى للتفريق بين هوية كل من البونابرتية والفاشية.

ومن الواضح أن تروتسكي قد وضع عددًا كبيرًا من الفئات التفسيرية ، بما في ذلك ما أسماه ب «البونابرتية الوقائية» و«الفاشية» و«الفاشية من أصل بونابرتي» أو الفاشية البونابارتية المنشأ ، ويصح القول أيضا أن هذه الفئات التى وضعها تروتسكى ليست بالضرورة ذات قيمة كفئات عامة. فلا يوجد أي سبب يستوجب بالضرورة أن يسبق استيلاء الفاشية على السلطة فترة من البونابرتية. لأن هذا يهدد بالوقوع فى الفخ الذى وقع فيه الماركسيون الذين جادلوا بأن الفاشية يجب أن يسبقها فترة من الإعداد للفاشية 'fascisation' ، وبالتالي لم يكن الإجماع الجديد إلا مقدمة لفترة ضرورية من الحكم الفاشي في أميركا.

إن تروتسكي نفسه يميل إلى أن يكون رافضا لثالهيمر، ولا شك في أن ذلك يرجع إلى حد كبير العداء له نظرا لدعمه لـ «بوخارين » فى الحزب الشيوعى المعارض KPO .

و تروتسكي له انتقادات لـ « ثالهيمر » من الناحية النظرية للفاشية وكان يبنى هذا النقد بناءاً على حد قوله أنه «فهم جوهر الفاشية » ، حيث يقول « يجب على المرء أن يكون قادرا على فهم الفاشية «كظاهرة سياسية حية» ، وعدو واعي ومراوغ. ويتحجج تروتسكي بمعارضته لثالهيمر بقوله « إن مدرس الفصل لدينا لا يفهم الفاشية كظاهرة جدلية ومتغيرة».

وكانت فكرة أن الفاشية كانت تعادل البونابرتية قد وحدت الرؤى ، ولكن فكرة تروتسكي بأن الفاشية هى على عكس البونابرتية كان أكثر دقة ، وذلك

لسببين.

ويكمن السبب الأول لتفوق تروتسكي هو زيادة وعيه بخصوصية الفاشية. حيث أن ثالهيمير يصور البونابرتية في أعماله باعتبارها مفهوما أساسيا ، ويوضح البونابرتية بالإشارة إلى التسلسل الزمني للأزمة ، ولكن دون أي إشارة إلى طبيعة الفاشية نفسها.

أما في أعمال تروتسكي ، فأعماله تربط بين التناقضات في قلب البونابرتية (حكم البرجوازية بدون البرجوازية) وبين التناقضات في قلب الفاشية (حركة رجعية مع قاعدة جماهيرية واسعة). وفي نهاية المطاف ، يصور تروتسكي الفاشية ذاتها كعامل أساسي (وليس البونابرتية) ، وبالتالي فهو أقدر من غيره على وصف الفاشية باعتبارها «نظام» و كذلك «كحركة» على حد سواء.

والطريقة الثانية التي تفوق فيها شرح تروتسكي يتمثل فى إحساسه بالديناميكية التي تلت تلك التناقضات في قلب الفاشية. وهو بنفس الطريقة التي فسر بها سيلون Silone التحول الفاشية من كونها «حركة» إلى الفاشية «كنظام» قد تم عن طريق تغييرات نوعية و كمية ، وكذلك تروتسكي الذى رأى الفاشية والمجتمع الألماني في حالة تغير مستمر ، وان قوى جديدة كان يتم إنشاؤها دائما ، ولكنها تدمر بعد ذلك.

أما في البونابرتية حسب ثالهيمير والذى قال : إنه ليس هناك معنى للتغيير ، فقط تبرز فئة ، وتحقق انتصارًا ، وهذا هو الأمر . أما في نظرية تروتسكي ، فقد كان هناك شعور بالديناميكية التاريخية، وقام بربط الممارسات بشكل صحيح،و كان يضع هناك احتمالا دائما بإمكانية التغلب على الفاشية.

بيد أن هناك جانب واحد من نظرية تروتسكي يحتاج إلى تعديل. فتروتسكي يرى بوضوح أنه ليس هناك احتمالية لدوام الفاشية. وأنه عندما وصلت الفاشية إلى السلطة ، انقلبت بدورها على مؤيديها. وستكون النتيجة أن الفاشية ستخسر دعمها المستقل

وتصبح عرضة للخطر على نحو متزايد. وسوف تصبح الفاشية حينها مثل البونابرتية .

فالبونابرتية كما جادل ماركس ، كان فريسة للتوترات الداخلية على غرار أي مجتمع رأسمالي آخر. ولكن تروتسكي سريعا ما رأى أن انضمام السلطة الألمانية للفاشية يمثل هزيمة تاريخية للحركة الاشتراكية. واحتج تروتسكي نفسه على ذلك بما يلي : عندما تتحول دولة إلى الفاشية ، فهذا لا يعني فقط أن أشكال وأساليب الحكومة تتغير وفقا للأنماط التي وضعها موسوليني... لكنه يعني ، في المقام الأول وقبل كل شيء ، سحق منظمات العمال ، وهذا يعمل على تقليل بلورة وتشكيل البروليتاريا ، وبالتالى يتم إنشاء نظام للإدارة يخترق عمق الجماهير ، وهذا النظام بدوره يعمل على إحباط التبلور المستقل للبروليتاريا.

وهذا بدوره يعني أن هزيمة الطبقة العاملة لن يجعل لديها ثقة بنفسها أو أن تكون منظمة يمكن أن يعلو شأنها على نطاق واسع. فالتركيز الفعلى للحكومة الفاشية كان على الأقل ومؤقتا ، متوجها نحو إضفاء الاستقرار الرأسمالي ، وإزالة إمكانية التوازن الذي رآه تروتسكي باعتباره أساس البونابرتية. فقد كان حجم الهزيمة التي منيت بها الطبقة العاملة في عام ١٩٣٣ ، قد ضمنت أن الفاشية الألمانية يمكنها البقاء على قيد الحياة ، بدون أن تتعرض لمعارضة داخلية واسعة النطاق ، ودون أن تواجه الإضراب الشامل أو المقاومة من إحدى الفئات الكبيرة ،و لمدة أطول مما اعتقد تروتسكي فى بادىء الأمر.



الفاشية
بين النظرية والتطبيق

7

ما بعد ١٩٣٣
Beyond 1933

في خضم النقاش الدائر بين المسؤولين الماركسيين الذين يمثلون اليسار أو اليمين من النظريات الفاشية و المنشقين الماركسيين الذين تبنوا النظرية الجدلية للفاشية ، كان النتيجة اختلاف تحليلاتهم بشأن الخطر الذي يشكله ظهور الفاشية في ألمانيا. وبالنسبة للماركسيين المنشقين ، فقد حددوا المطلوب بدقة وهو عملية توحد للطبقة العاملة لوقف الفاشية. واختلفت الآراء الماركسية الرسمية مابين أن يتم التغلب على الفاشية ، أما عن طريق معاداة النخب التقليدية لها ، أو عدم قدرة الفاشية على هزيمة الطبقة العاملة ، وبالتالي كان شعار الحزب الشيوعى KPD ، «بعد هتلر ، نحن».

إن اللا مبالاة المشتركة من كل من الحزب الديمقراطي الاشتراكي ،والحزب الشيوعى الممثلة فى قولهم :« فقط اسمحوا للنازيين بالمحاولة». كانت نتيجتها هزيمة كارثية لكلاهما . فقد دعي هتلر إلى منصب المستشار في ٣٠ يناير ١٩٣٣ ، وفي غضون أسبوع ، تم حظر الحزب الشيوعي ، وفي غضون خمسة أشهر ، كان هناك أيضا حظرٌ على الحزب الاشتراكي الديمقراطي.

وتم سجن المعارضين البارزين في النظام ، أو قاموا بالهروب ، وأخذت النقابات تحت سيطرة الدولة. وكان تأثير هذه الكارثة تشويه سمعة كل من كان له نظرية رسمية معادية للفاشية . ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح خاصة في حالة نظرية اليسار.ففي نهاية كانون الأول عام ١٩٣٣ ، كان الشيوعيون الفرنسيّون لايزالون يرددون بأن الفاشية من شأنها أن تعجل بالساعة التى ستحدث فيها ثورة الطبقة العاملة ، كما يدعى الحزب الشيوعى البريطانى بأنه يمكن للبروليتاريا قهر السلطة فقط عن طريق المرور من خلال جحيم الديكتاتورية الفاشية.

و ومع ذلك ، وفي عام ١٩٣٤ ،تغير الخط الرسمي الكومنترن ، وتم قبول أن تبنى نهج أقصى اليسار للفاشية الاجتماعية كانت على خطأ تماما. وفي آذار / مارس

١٩٣٥ ،قام موريس توريز Maurice Thorez ، زعيم الحزب الشيوعي الفرنسي ، بصياغة مصطلح «الجبهة الشعبية» ، لتغطية الاتفاق المقترح بين الطرفين من «الطبقة العاملة في فرنسا» و «حزب البرجوازية الصغيرة الراديكالي» . وأدت هذه المبادرة إلى نظرية شيوعية جديدة عن الفاشية ، والذي صدر في المؤتمر السابع للأممية الشيوعية ، في آب / أغسطس ١٩٣٥ . فقد تم تعريف الفاشية الآن باسم : « دكتاتورية إرهابية أكثر رجعية »، وشوفينية و أكثر العناصر إمبريالية للرأسمالية. (الشوفينية هى المغالاه فى الوطنية العدوانية ، وأصل الكلمة مستمد من نيكولا شوفان ، وهو شخص قدم وطنيته وإخلاصه بإفراط لنابليون)

ومن ناحية الممارسة العملية ، كانت وظيفة هذا التعريف تضييق القاعدة الحقيقية للفاشية إلى أدنى حد ممكن ، وتشير إلى أن أي طبقة اجتماعية ، يمكن أن تكون معادية للفاشية إلا الإمبريالية الأكثر تطرفا. وهذا التعريف الجديد مجهز بشكل جيد مع النهج الجديد للتكتيكات المناهضة للفاشية. بينما قبل عام ١٩٣٣ ، أيد الكومنترن التكتيك المسمى «الجبهة المتحدة الثورية من أسفل» ، وهولا يمثل وحدة وطنية مع أي شخص ، وبعد عام ١٩٣٥ ، كان اسم « الجبهة الشعبية» يعني وحدة وطنية مع أي شخص. و لذلك كان تأثير نظرية الكومنترن الجديدة عن الفاشية ، إحياءًا لفكرة اليمين القديمة للفاشية ، لأنه إذا كانت فقط طبقة صغيرة من الرأسماليين المتطرفة فاشية حقا ، فبالتالى ليست هناك حاجة لمعرفة أي صلة حقيقية بين الرأسمالية والفاشية على الإطلاق لأنهما نفس الشيء.

والغريب ،أنه قد تمت مناقشة خط الجبهة الشعبية ثم فوزها داخل الأحزاب الشيوعية من قبل نفس الجيل الذى كان متواجدا في المناصب القيادية في عام ١٩٢٨ . في ما يقرب من جميع الأحزاب الشيوعية لبريطانيا العظمى CP ، كانت قيادات اليسار التى تم تثبيتها أثناء الفترة الثالثة هى التى عملت على تنفيذ

الاستراتيجية اليمينية للجبهة الشعبية. ويمكن رؤية آثار هذه الاستراتيجية الجديدة في اسبانيا. فالجبهة الشعبية هناك مؤلفة من اثنين من الأحزاب البرجوازية ومن الاشتراكيين، والشيوعيين، وهو حزب نقابية مستقلة وحزب « بوم »POUM الماركسي (وكان حزب شيوعي ثوري لمكافحة الستالينية(، واتحدوا معا من أجل الفوز في انتخابات شباط / فبراير ١٩٣٦. وبعد خمسة أشهر، وفي تموز / يوليو، بدأ الجنرال «فرانكو» الانتفاضة العسكرية ضد الحكومة المنتخبة. وعلى الفور، تم إجبار قوات فرانكو للتراجع بواسطة انتفاضات ناجحة للعمال 'في شمال إسبانيا، وأشهرها في برشلونة. ثم جاءت مسألة التكتيكات في المقدمة، وانقسمت الثورة الأسبانية إلى معسكرين. فمن ناحية، كان هناك أولئك الذين اتبعوا منطق للجبهة الشعبية في زعمها أن انتصار الحرب تطلب إنهاء الثورة من قبل اليسار، واستعادة الديموقراطية البرجوازية، ونزع سلاح ميليشيا العمال، والسعى لإيجاد تحالف مع بريطانيا و فرنسا.

من ناحية أخرى، كان معسكر مكون من أفراد من الماركسيين والفوضويين الذين أصروا على أن الثورة كانت في الواقع شريان الحياة للحكومة، وأن نزع سلاح ميليشيات العمال كان سببا لضياع الحرب. ففي إسبانيا، قام الحزب الشيوعي، بنزع سلاح الثورة، وفرضت الشرطة الإرهاب على حلفائها السابقين في معسكر الثورة. وشهدت الحكومة وحدة وطنية لمكافحة الفاشية وكان من بين أعداء تلك الحكومة المناهضة للفاشية مناهضين للفاشية أيضا، ولكنها قامت بذبحهم وبعد أن ذبحتهم، هي نفسها تم تدميرها بواسطة الجنرال فرانكو.

في حين أن الكومنترن انقلبت من نظرية اليسار مباشرة إلى نظرية اليمين للفاشية، كما أن العديد من الاشتراكيين الألمان أو النمساويين انتقلوا من نظرية اليمين إلى النظرية الجدلية للفاشية. في الواقع ،و بصرف النظر عن تروتسكي، نجد أن أهم

النظريات عن الفاشية جاءت من الجناح الأيسر للأحزاب الاشتراكية. وهناك عدد من الديمقراطيين الاجتماعيين، بما في ذلك «رودولف هيلفردينغ» Rudolf Hilferding و «الكسندر شيفرين» Alexander Schifrin اللذان رأيا ضرورة النضال ضد الفاشية والذي من شأنه أيضا أن يكون نضالا ثوريا ضد الرأسمالية. وتجسدت هذه الاستراتيجية في بيان براغ للحزب الاشتراكي الديمقراطي، والذي نشر في شباط / فبراير ١٩٣٤.

وفي الوقت نفسه، وافق العديد على أن الأساس يجب أن يكون النظرية 'ليمينية السابقة للفاشية، والحجة القائلة بأن 'الرأسمالية الجديدة المنظمة' كانت تتحرك في فترة تتمتع فيها بالاستقرار المطلق، لم يعد أساسا قابلا للاستمرار و الاستدامة. ونتيجة لذلك، كان هناك تنامى هائل فى الاهتمام بطبيعة العلاقة العضوية بين الفاشية ورأس المال. ففى تحليل «ريتشارد لووينثال Richard Löwenthal » للارتباط المتزايد بين رأس المال واحتكار الدولة، رأى توجهين لرأس المال، أحدهما من أجل السيطرة الديمقراطية أو الاشتراكية، والتوجه الآخر يتعامل مع «الركود، الاكتفاء الذاتي، الدول القومية البيروقراطية، بما في ذلك الفاشية. ووضع أوتو باور Otto Bauer تحليلا مماثلا، والذي ربط فيه الفاشية بظهور ما أسماه بـ «إدارة الاقتصاد». و توقع «أوتو باور» من هذه النظرية، مثله مثل« ليون تروتسكي »، أن الفاشية من شأنها أن تؤدي إلى الحرب. و أفضل التعريفات من هذه المدرسة جاءت في كتابات رودولف هيلفردينغ، الذي وصف الفاشية بأنها شكل من أشكال الرأسمالية، أو «الاقتصاد الشمولي ».

وقال كارل كورتش Karl Korsch وهو عضو بارز سابق في الحزب الشيوعى KPD، انه يؤيد كثيرا النظرية الفاشية الاجتماعية، وتأثر بأفكار المجلس الشيوعي، وبدا أنه يتقارب مع النظرية الجدلية. و أصر كورتش على أن الفاشية كان

لها دعم شعبي فيقول: تغذت الفاشية على الفشل والأخطاء التي ارتكبها ما يسمى بـ«نظام السياسيين»، وقامت الفاشية بوضع الحلول الملموسة لعدد من المشاكل، سواء في المجالات الاقتصادية والسياسية التي أهملت من جراء المواقف الغير اشتراكية للاشتراكيين والسلوك غير الديمقراطي للديمقراطيين.

وأصر أيضا على أن الحركة الفاشية تعادى الأساليب المفضلة للطبقة الرأسمالية فيقول: إن التحول إلى شكل جديد من المجتمع الرأسمالي، لم يعد يمكن تحقيقه بالديمقراطية والوسائل السلمية الاشتراكية التقليدية والعمل النقابي، بل يمكن تحقيق ذلك عن طريق الأهداف المعادية للثورة والمعادية للبروليتارية.

جنبا إلى جنب مع منظري المدرسة الجدلية، أصر كارل كورتش أيضا على التناقض بين الوعود الفاشية ونتائج الحكومة الفاشية فيقول: 'تستعرض النازية مشهدا يجعلها تبدو كعمل ثوري وهي في الوقت نفسه تبذل محاولات للسيطرة لأدنى حد ممكن على النتائج التخريبية المحتمة الخاصة بها.

وتقاسم عدد من الماركسيين المعارضين الاهتمام المتزايد لوضع تفسيرات أكثر تطورا لوصف العلاقة بين الفاشية من جهة والرأسمالية من جهه أخرى. وفي عام ١٩٣٤، استخدم «أجنازيو سيلون» تحليلًا مماثلًا لتحليل «هيلفردينغ» لتصنيف الاقتصاد الفاشي قائلا: نوع جديد من الدولة المؤسسية، التي شيدت على العلاقات الاقتصادية لرأسمالية الدولة.

وأعقب سيلون دانيال جيران Daniel Guérin. وهو صاحب كتاب مسمى بـ«الطاعون البنى»، الذي كتبه في عام ١٩٣٤ وسجل فيه تجربة ضحايا الفاشية. وفي كتاب آخر باسم «الفاشية ورجال الأعمال الكبار (١٩٣٦)»، لم يربط بين صعود الفاشية و تفكك الرأسمالية خلال فترة الأزمة وحسب، بل قام أيضا بتوضيح هذا الأمر من خلال التفريق بين الصناعات الثقيلة والخفيفة.

وقال جيران: إن الصناعة الثقيلة كانت مبنية على أعلى استثمار في رأس المال الثابت و لذلك اضطرت للعمل ضمن حدود أضيق للربح. و نشر جيران العديد من الأدلة التى تشير بأن الفاشية في كل من إيطاليا وألمانيا كانت 'مدعومة من قبل أقطاب الصناعة الثقيلة (الحديد والصلب والتعدين) وكبار المصرفيين الذين لديهم حصص في الصناعات الثقيلة. و في كلا البلدين ، سعت الصناعات الثقيلة لمواصلة النضال الطبقي حتى يتم سحق البروليتاريا. ومن تحليل جيران ، يمكن أن نرى كيف أن تلك الفاشية أدت إلى الحرب وقد صاغ جيران ذلك كما يلى:

(الفاشية والحرب) وأسبابها التى تكمن فى نقطتين : **أولا** : عدم التوافق بين التطور الهائل للقوى المنتجة ، والملكية الخاصة لوسائل الإنتاج ، **وثانيا** : أن تقسيم العالم إلى دول قومية. كل منها يطمح ، من خلال طرق مختلفة ، لكسر الحلقة الحديدية للتناقضات التي فرضها عليهم هذا النظام. وكل منها يهدف لاستعادة الأرباح الرأسمالية المهددة بالزوال.

وفي الوقت نفسه ، كان هناك إحياء للاهتمام بالنصف الآخر الذى جاء فى النظرية الجدلية ، والذى يتعلق بإنشاء الحركة الجماهيرية للفاشية. فهناك عدد من الماركسيين سعوا إلى استخدام وجهات نظر علم النفس لتحليل سمات الشخصية الفاشية. وكان أول هؤلاء هو "ولـيام رايش "، في كتابه المسمى " علم النفس الجماعى للفاشية (١٩٣٣). وبالنسبة للرايخ ، كانت لأزمة من ١٩٣٠ هى «أزمة جنسية» . فقد كانت الرأسمالية في أزمة ، وتعطلت الهياكل التقليدية والحياة الجنسية للأسرة. وكانت الثورة الروسية قد أفسحت المجال للمساواه فى الجنس و الإباحية . أما الفاشية فكانت عكس ذلك فيما يتعلق بالحرية الجنسية ، وكان سلوكها يمثل فشلا للإبداع الإنساني ، وكانت استجابتها" سادية» بشأن تلك الأزمة ،حيث تتمثل استجاباتها بالقول التالى قمع المشاعر العاطفية لرجال حضارتنا وإحياء نظرة

الرجال الأسطورية للحياة.

وكان أهم الماركسيين الفرويديين (نسبة إلى فرويد) أعضاء فى مدرسة فرانكفورت ، بما في ذلك« إريك فروم» و«ثيودور أدورنو». ووفقا ل«فروم» في كتابه المسمى «الخوف من الحرية (١٩٤٢) » ، يذكر فيه أن الفاشية هى نتاج الرأسمالية ، إن تلك الفاشية كانت نمط صناعي ومصطنع للإنتاج الذي كان أبعد ما يكون من أن يكون اقتصادا طبيعيا. و تناول «فروم» فكرة ماركس بأن العمل في ظل الرأسمالية يسبب النفور من العمل ، وحيث لا يمكن السيطرة على العامل ، وأنه نتيجة لهذا النفور الجماعي ، أن يتميز كامل هذا المجتمع بالقهر والبؤس والعوز. وعلى عكس ماركس ، يرى «فروم» عمليات النفور تلك باعتبارها رفضا للطبيعة البشرية. وقال : إن التصرفات الطبيعية للبشر تتمثل في الحرية الاجتماعية والجنسية. وفي ظل الرأسمالية يمكن للفرد فقط أن يعارض أو يؤكد على هذا النفور والشعور بالاغتراب ، وكان الحل لتلك الأزمة الرأسمالية يتمثل إما فى الاشتراكية أو الفاشية : الرجل يجب أن يتوحد مع العالم عن طريق الحب بعفوية والعمل المنتج ، والسعي لتحقيق نوع من الأمن ، ولكن مثل هذه العلاقات مع العالم قد تدمر حريته.

أقرب إلى أفكار «سيجموند فرويد» أكثر منها تقليد لماركس. كان الماركسيون الفرويديون أحرص على التأكيد على أنهم ليس لديهم أية أفكار ثابتة عن الطبيعة الجنسية البشرية. وأصر «فروم» أن بعض « الظروف الاجتماعية» قد تعمل على تحويل مطالب الإنسان البيولوجية الأصلية «وأنه يمكن استخدام علم النفس كوسيلة لفهم الأيديولوجيات ودور تلك الأيديولوجيات في صنع التاريخ.

ولكنه لم يقصد من مثل هذه النظريات أن تفسر الأمور وحدها. ففي حالة «مدرسة فرانكفورت» ، على سبيل المثال ، عمل علماء النفس الاجتماعيون جنبا إلى

جنب مع الماركسيين الأكثر تقليدية ، الدين شرحوا صعود الفاشية ، بأنه جاء بناءً على ظهور رأسمالية الدولة ، أو لظهور لاستراتيجيات الرأسمالية من أجل البقاء. وعند الجمع بين وجهتى النظر السابقتين ، وضمهما فى نظرية واحدة ، يرى واضعوا تعريف الفاشية بأنها وثيقة الصلة بالجدلية.

لكن العديد من أعضاء مدرسة فرانكفورت ، وحتى هؤلاء الذين كانوا في الأصل ليست لهم علاقة بعلم النفس الاجتماعي ، سرعان ما وجدوا نفسهم يبتعدون عن أي تعريف متعارف عليه للماركسية. فقد احتج «ماكس هوركهايمر Max Horkheimer ، على سبيل المثال ، قائلا :« من لا يريد أن يتحدث عن الرأسمالية ينبغي أن يصمت عن الحديث على الفاشية. و بعد عام ١٩٤٠ ، انتقل «ماكس هوركهايمر» نحو فكرة أن الفاشية كانت قادرة على فصل نفسها عن القوانين الاقتصادية للرأسمالية. و قام بتعريف ألمانيا الفاشية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية بأنها : « دول استبدادية تديرها طبقة حاكمة إدارية» ، وأصر «هوركهايمر »على أن الاشتراكية ، بالمعنى الذى أورده كل من ماركس وإنجلز قد لا يتعدى حدود الكلمة ، وأصبحت الآن أحلام يقظة مستحيلة.

ويمكن تفسير هذ الجدل بطرق كثيرة ، ولكن من الصعب أن ينظر اليه على انه تفسير ماركسي.



8

الحرب وما بعدها

The war and beyond

ومع واقع الحرب ، بدأ العديد من المنظرين ضد الفاشية عام ١٩٣٠ بالاعتقاد بالفكرة القائلة بأن الفاشية بدأت في بلدهم هم أنفسهم، و[ذلك لا بد من وجود مقاومة داخل بلدانهم أولا ،كما رأوا أن أفضل طريقة لمحاربة الفاشيين من الاشتراكيين الذين لم يكونوا أنفسهم إيطاليين أو ألمانيين ،سيكون من خلال دعم احرب ضد الفاشية الأجنبية. ومع استمرار الحرب سلم غالبية الاشتراكيين بوجود فروقات جذرية وشاملة بين الديمقراطية والرأسمالية ، وبين عدم الديمقراطية ، والوحشية ، والفاشية الاستبدادية. بين الاشتراكيين الديموقراطيين ، وهذا عمل على إحياء التعريف اليمينى للفاشية الذى يمكن رؤيته كدعم غير مشروط قدمه الاشتراكيين البريطانيين والفرنسيين والأمريكيين لحرب الطبقة الحاكمة ولأهداف خاصة بهم.

ووفقا للاشتراكي النمساوي ، جوليوس برونثال Julius Braunthal: فالاشتراكيين الذين شاركوا في حكومات وحدة وطنية تبنوا خطوة بخطوة الإيديولوجية القومية والامبريالية لشركاءهم من الحكومات الأخرى الذين كانوا يتشاركون معهم في مسؤولية «محاكم الحرب» ، بل وشاركوا معهم في التدافع الإمبريالي من أجل السلطة والإقطاعيات والأراضي.

كما أقبل الحزب الديمقراطي الاشتراكي الأوروبي أيضا بشكل متزايد على الأسطورة التي تقول : إن جميع الألمان قاموا بتأييد النظام النازي ، مما يعني أن جميع الألمان ، بما فيهم المعارضين لهتلر ، كانوا أيضا مسؤولين عن الجرائم النازية. وكان من إحدى ردود الفعل حول هذا الانحراف اليمينى للاشتراكية الأوروبية حالة من الغموض حول مسألة ما إذا كان سيكون من المناسب إعادة إنشاءهم حزبهم الدولي الثاني بعد الحرب. وفى عام ١٩٤٣ أو عام ١٩٤٤ ، كان أغلبية الديمقراطيين

الاجتماعيين الأوروبيين يعارضون هذه الخطوة ، لخوفهم من إعادة قبول الحزب الديمقراطي الاشتراكي الألماني SPD .

وعموما ، سجلت الحرب العالمية الثانية تراجعًا واضحًا وعامًا من الماركسية. وهذا قد يبدو متناقضا. فبحلول عام ١٩٤٥ كان المزيد من الناس من الذين يسمون أنفسهم ماركسيين أكثر من أي وقت مضى. وأفضل مؤشر على هذا النمو يكمن في أرقام العضوية للعديد من الأحزاب الشيوعية. فعند نهاية الحرب ، كان هناك ٥٠٠٠٠٠ في الحزب الشيوعي الفرنسي ، في حين أن ما يصل إلى مليوني شخص شاركوا في الحزب الشيوعي الإيطالي. وكان الحزب الشيوعي اليوناني يتألف من ٧٠٠٠٠ عضوا ، وكانت هناك ٤٥٠٠٠ في بريطانيا وأكثر من ١٠٠،٠٠٠ في الحزب الشيوعي الفلبيني.

ومع ذلك ، فإن التمييز هنا هو من الناحية الكمية والنوعية. فبالرغم من كون العديد من الناس على استعداد لتسميه أنفسهم ماركسيين ، إلا نفس هؤلاء الناس كانوا أعضاء في الأحزاب السياسية التي كانت تنأى بنفسها وتبتعد عن الأفكار الرئيسية للماركسية الكلاسيكية ، مثل فكرة أن العمال لا وطن لهم ، أو أنه يجب الإطاحة بالرأسمالية. و كانت هناك حجج جديدة لاستبدال هذه الأفكار ، وهى حجج قريبة من النظريات التي احتفظت بها الديمقراطية الاجتماعية قبل عام ١٩٣٣ .

وقد تم الكشف عن سياسة جديدة للحركة الشيوعية في جميع أنحاء العالم في المجالات السياسية والتى نجمت عن التشوهات التى خلفتها الجبهة الشعبية في زمن الحرب ، فقد كانت فكرة وجود طبقات اجتماعية تمثل جبهة شعبوية عالمية أو حتى دول بعينها مناهضة للفاشية فكرة جديدة ، وبعد غزو هتلر لروسيا ، الذي كان يمثل الحلفاء فيه «الديمقراطيات التقدمية» ، يتحركون بلا هوادة نحو الاشتراكية

الديمقراطية تحت قيادة ملهمة للشيوعيين مثل تشرشل والجنرال ديغول .

وعلى مستوى المنظمة ، كانت العقبة الرئيسية أمام هذا التراجع الماركسى يقع على عاتق الأحزاب «التروتسكية» (نسبة الى تروتسكى). ومع ذلك فإن تلك الأحزاب التروتسكية كانت صغيرة الى حد يثير الشفقة ، ففي عام ١٩٣٩ ، كان هناك ربما ١٥٠ من التروتسكيون في بريطانيا و ٢٠٠ في فرنسا ، ١٠٠٠ في أميركا. كما أن هذه المنظمات قد ضعفت بسبب وفاة تروتسكي نفسه. فعندما مات تروتسكي ، لم يكن هناك أحد من المواقع اليسارية قادرا على القيام بتحركات للمضي قدما بهذا الحزب. ونتيجة لذلك ، كان هناك اتجاهان رئيسيان لتحليل احركة التروتسكية فى العالم. وكان الاتجاه الأول يميل إلى شكل من أشكال المحافظة نظرية بمعنى: أنه لن يكون هناك نظريات جديدة للفاشية ؛ وذلك لأن نظرية تروتسكي صحيحة وكاملة.

وارتبط الاتجاه الثاني بالتراجع العام لصالح الماركسية ، لأن غالبية المفكرين الذين رفضوا حتى أقل القليل من تحليل تروتسكي ، وجدوا أنفسهم خارج الحركة ودون أي ضغط نتيجة لعدم إحتفاظهم بأفكار تروتسكي أو حتى أفكار ماركس. وكان هذا الاتجاه واضحا في الولايات المتحدة حتى قبل انضمام الولايات المتحدة الى الحرب ، مع انشقاق عدد من أبرز المؤيدين لأفكار تروتسكي ، وهم شخصيات مثل سيدني هوك Sidney Hook وماكس ايستمانMax Eastman .

ومن الذين أوجدوا نظريات جديدة للفاشية من هذه الشخصيات ، ماكس هوركهايمرMax Horkheimer ، في محاولته التعرف على الفاشية والشيوعية الستالينية ومحاولة الربط بين الاثنين بما أسماه بصعود 'المجتمع الإداري». ومن أبرز تلك الشخصيات النمطية ، في هذا السياق « برونو رزيBruno Rizzi وجيمس

بورنهامJames Burnham . وكتب «رزي» كتابا أسماه البيروقراطية عام (١٩٣٩)، وكان يتميز بأنه شخص نزيه ، يبذل محاولة لفهم صعود الستالينية ولو جزئيا ، تلك الستالينية التى لازمت صعود البيروقراطية كطبقة جديدة حائزة.

ومع ذلك ، كان «رزي» غير قادر على توفير أي بديل حقيقي لانتصار البيروقراطيين ، وقام في نهاية المطاف بدعم النازية فى معاداتها للسامية قائلا: 'يجب علينا أن... نصبح معاديين لليهود ، لأننا مناهضون للرأسمالية. 'وفي الوقت نفسه ، وفى «كتاب جيمس بورنهام» المسمى «الثورة الإدارية» ، قام بإضافة تحليل جديد للفاشية على أنها شكل من أشكال الثورة الإدارية. مع تفضيله العملي لألمانيا النازية على جميع منافسيها ، فإن ألمانيا النازية فى نظره كانت من أقوى الدول - وبالتالي كما قال «كانت الأفضل على الإطلاق».

كان هذا تحليلا جديدا ، ولكنه كان تحليلا مشوها ورجعيا ، و لا يمكن وصفه بأنه تحليل ذو مغزى ماركسي بأي حال من الأحوال. وفي الوقت نفسه ، ومن النتائج الأخرى للحرب تمكين روسيا لإنشاء الدول المستقلة في جميع أنحاء أوروبا الشرقية ، التي تديرها البيروقراطية ، تحت ظروف من عدم التكافؤ والقمعية. و في الاتحاد السوفياتي ، أصبح هذا الشكل من الأشكال الماركسية هو أيديولوجية الدولة.

هذا الفكر في روسيا ، كان بمثابة العقيدة ،وتبنت روسيا مجموعة من الأفكار التي إدعت قدرتها على تفسير الواقع ، ولكنها كانت بمثابة الحقيقة التي وقفت على رأسها أى أنها كانت حقيقة مقلوبة. ووصف أندرياس دوربلين Dorpalen التأريخ الرسمي لدولة واحدة متمثلة فى ألمانيا الشرقية . حيث يصور الفاشية الألمانية في هذا التاريخ من ناحية رأسمالية بحته، والتى مكنت الفاشية في النهاية من

حيزة السلطة الكاملة.

ووصف مؤرخ ألماني شرقى ويدعى ديتريش إيكولتز Dietrich Eicholtz ، طبيعة الفاشية بقوله : إن الفاشية لا تمثل تشكيل منفصل اجتماعيا واقتصاديا ، كما أنها ليست مرحلة جديدة في النظام الاجتماعي الرأسمالي ، بل هى مؤسسات اقتصادية لها توجهات للاحتكار الرأسمالي ؛ والإمبريالية.

ولأول وهلة يبدو هذا الوصف صحيحًا رسميا. وهو ان الفاشية هى شكل من أشكال الحكم السياسي في ظل الرأسمالية - وكان الغرض منها توسيع السلطة الاجتماعية للرأسمالية و الإمبريالية على حساب العمال والبرجوازية الصغيرة وا لفقراء. ولكن من ناحية آخرى ، كان هذا الوصف معيبا بشكل واضح لوضع نظرية من هذا القبيل. وما يشير اليه المؤرخ الألمانى الشرقي هو هراء ،فإنه إن لم يكن هناك شيء غير عادي فى المجتمع تحت حكم الفاشية.و إذا لم يكن هناك شيء مختلف فى هتلر ذاته ، إذن فما هو الغرض من مقاومة هتلر؟ وهل كان العمال العاديون مخطئين في قتاله؟ وهل استمرت ألمانيا الغربية على الفاشية بعد عام ١٩٤٥؟ وإذا كان هناك أي تغيير على الإطلاق في النظام الاجتماعي الرأسمالي بعد عم ١٩٤٥ ، فما بال المخيمات التى كانت فى ألمانيا الغربية ذلك الوقت؟



الفاشية
بين النظرية والتطبيق

9

ميليباند، ميسون، بولانتزاس

Poulantzas، Mason، Miliband



بعد عام ١٩٤٥ ، كان من الصعب تمييز أي اتجاه في التحليلات الماركسية للفاشية. فمن حيث الديمقراطية الاجتماعية ، كان هناك تحول واضح جدا وسريع بعيدا عن استخدام فئات التحليلات الماركسية تماما.

أما بالنسبة للشيوعية خارج الدول الشيوعية ، فكانت عملية أكثر تناقضا. فقبل عام ١٩٨٩ ، فإنه من المحتمل أن يكون من الصحيح القول بحدوث تحول عام ومستمر لليمين ، وتخللتها فترات قصيرة اتسمت بالتحولات السريعة إلى اليسار. ومنذ عام ١٩٨٩ ، كان هناك بعد كامل عن أي من الأفكار الماركسية ، بنفس الشكل الذى نأت به الأحزاب الديمقراطية الاجتماعية بنفسها عن الأفكار الماركسية قبل بضع سنوات.

وبشكل عام ، كان الاتجاه بين المفكرين يتحدد من خلال أحزاب شيوعية عدة ، وكانوا يرون من الأحزاب الشيوعية الفرنسية والإسبانية من أواخر ١٩٣٠ كدليل نموذجي للعمل. وبالتالي فقد سعى كتاب مثل جون كوميت John Cammett ، و مارتن كيتشين Martin Kitchen مرة أخرى للدفاع عن الأساليب المرتبطة بعصر الجبهه الشعبية ، في معارضتها لإستراتيجية الجبهة المتحدة.

وقد قيل إن التيار الماركسي على مدى واسع كان أكثر ليونة داخل النظريات الفاشية تجاه التركيز على العلاقة بين العوامل السياسية والاقتصادية. ويدعي روبرت فليتشر أنه كان هناك انحراف تدريجي في 'التحليل الماركسي بعيدا عن الفئات التي تأسست بناء على «حتمية اقتصادية أكثر صعوبة».

ومن المؤكد أن هناك أدلة تدعم هذا الرأي. ومن بين الكتاب الذين دافعوا عن مرحلة ما بعد الحرب للشيوعية الدولية عنها فى فترة ما قبل الحرب ، ربما كان التفسير السائد من الكاتب ميهالي فيجدا Mihaly Vajda ، الذي ربط جزءً

محدودًا من الناحية النظرية الجدلية الفاشية بالنماذج التكتيكية نفسها لكل من كوميت Cammett أو « كيتشين». والنتيجة هي التأكيد على الأصول الشاملة للفاشية، وعلى العوامل الموضوعية ها، بما في ذلك دور الوعى و الثقافة السياسية، وبالتالي كان «الانطباع النهائي عن 'لدكتاتورية الفاشية هو أنها تنبع من حركة جماهيرية».

و كان هناك اتجاه مماثل بين الماركسيين الأكثر استقلالا وأيضا بين المؤرخين الماركسيين،. ومن أكثرها وضوحا كتابات «تيم ماسون»، في مقالته الشهيرة، أولوية السياسة (١٩٦٨). وكانت حجة ميسون التي تتحدث عن العديد من الممارسات التي ارتكبها النظام النازي في زمن الحرب، مثل مقتل عمال المعادن المهرة من اليهود خلال المحرقة، وهو كمن يريد أن يبرر الحاجة الدافعة لتنفيذ النازية لأيديولوجيتها.

في هذا المعنى، كانت أيديولوجية الحركة الفاشية أكثر أهمية للنظام من أي اعتبارات حتى من بقاء الاقتصاد الخاص بالرأسمالية على قيد الحياة: كل من السياسة الداخلية والخارجية في الحكومة الاشتراكية الوطنية أصبح، من عام ١٩٣٦ فصاعدا، مستقلا على نحو متزايد من تأثير الطبقات الحاكمة والاقتصادية حتى أنه في بعض الجوانب الأساسية يتعارض مع مصالحهم. وهناك تركيز مماثل يمكن ملاحظته في أعمال بعض المؤرخين الماركسيين نتيجة لتأثرهم بالكاتب « إيان كيرشو Ian Kershaw ».

مع الأخذ في الاعتبار السنوات الخمسين الماضية ككل، فمن الواضح أن هذا الاتجاه لم يكن هو الاتجاه الأوحد وحسب بل كان هناك تحول و تنوع ومنافسة فى عدد كبير من التحليلات الماركسية. فبعض الكتاب، بما فيهم «ديفيد لويس»، يقول

عن إعادة تشكيله لمفهوم الفاشية إنها « اشتراكية البرجوازية الصغيرة» ، وأنها تمثل مجموعة الأفكار الواقعة بين رأس المال والعمال. وحسب هذا المعنى ، ووفقا لـ« لويس» ، فإن «الفاشية تمثل المركز السلطوي». وقد سعى مؤرخون آخرون ، مثل كريستوفر داندكر Christopher Dandeker و«رالف ميليباند Ralph Miliband ، لإعادة بناء التصور الماركسي على أساس وجود صلة بين كل من الدولة ورأس المال والفاشية : «كان استيلاء الفاشية على السلطة ينطوي على زيادة فورية وكبيرة في قوة رأس المال على حساب العمالة. ويمكن أن تتم مقارنه مثل هذا النوع من التحليل الاقتصادي للفاشية للوصول إلى المزيد من الفهم للماركسية ، والتى تأثرت في عام ١٩٧٠ عن طريق تحرير المرأة ، والذي أوضح أن الفاشية رجعية و أنها تناهض الحركة النسوية وكذلك موقفها تجاه الحياة الجنسية البشرية.

و كانت النساء الماركسيات يقلن بأن الفاشية كانت دائما ما تعارض الحركة النسائية. و ان الفاشية أيديولوجية رجعية ، وبالفعل فقد استمرت الفاشية على قول بأن المرأة ينبغي لها أن تبقى في المنزل. وفي إيطاليا ، قاد موسوليني حملة لعودة المرأة للأسرة ، وأصر على أن معدلات المواليد الإيطالية منخفضة للغاية، وقام بفرض حظر على وسائل منع الحمل للنساء ووصفها بأنها اختراع يهودي وغريب.

وفي الحزب النازي لهتلر ، لم تكن النساء يشكلن سوى من ٦ إلى ٨ في المائة من الأعضاء. وواصلت القيم الجنسية الفاشية الكلاسيكية كشكل يعبر عن موقف الأحزاب الفاشية المعاصرة نحو الحركة النسائية. ويتجلى دور المرأة في وضعها التبعي و الثانوى في الجبهة الوطنية في بريطانيا في عام ١٩٧٠ من قبل المعاملة التي تلقوها في المجلة الفاشية المسماه «البولدوج Bulldog وجاء فيها :

يظهر بالمجلة صور لفتيات ، وعادة ما كن يسرن في مسيرات « الجبهة الوطنية NF ». وكن مجهولات في بعض الأحيان ، وأحيانا يتم وضع أسماءهن كأعضاء. ويتم وصفهن بتعبيرات مثل («القنبلة الشقراء من ساوثوورك ») وتظهر مرتدية الأبيض و تي شيرت أمام مبنى الاتحاد. ثم دعوة الفتيات اللاتي يحببن أن يكن «طيور البولدوج» بإرسال صورة لهن مع تفاصيل شخصية. وكلما كانت الصورة أكثر جاذبية كلما كان ذلك أفضل...».

في إيطاليا وفرنسا وألمانيا اليوم ، تدعو الأحزاب الفاشية النساء للعودة إلى المنزل من أجل إنتاج الأطفال من أجل الوطن.

واهتم الكتاب المتعاطفون مع الماركسية في المقام الأول بتأثير الإمبراطورية حيث قاموا بتفسير الفاشية على أنها إمبريالية. ووفقا للكاتب« في لال V. Lal الذي تأثر بتقاليدهم ، فأصر على القول بأن الإمبراطورية البريطانية بالفعل «فاشية» فقال : لا يوجد شك أن البريطانيين هم ألطف النازيين» . وكذلك المقالة التى كتبها قبل الحرب الكاتب «جورج أورويل George Orwell بعنوان «بصرف النظر عن الزنوج » عام (١٩٣٩) ، الذي جادل أورويل فيها بأن الديمقراطية البريطانية كانت سيئة بنفس القدر الذى كانت عليه الفاشية الألمانية :

وما ننساه دوما هو أن الأغلبية العظمى من البروليتاريا البريطانية لا تعيش في بريطانيا ، ولكن في أفريقيا وآسيا. فلم يكن في السلطة أثناء عهد هتلر ، على سبيل المثال ، أن يتقاضى العمال الصناعيون لأجور توازى بنسا واحدًا فى الساعة ، كان هذا طبيعيا في بلاد مثل الهند ، ونحن نشعر بألم شديد لاستمرار ذلك. ولكى نقوم بتخيل العلاقة الحقيقية بين الأجور فى إنجلترا والهند يكفى أن نعرف أن دخل الفرد في إنكلترا هو أكثر من ٨٠ جنيها ، وفى الهند حوالي ٧ جنيهات . لذلك فمن الشائع

جدا أن تكون أرجل الحمال الهندي أرق من ذراع الرجل الإنكليزي العادي.

وسيكون من الصحيح بالتأكيد أن نقول : إن الفاشية قد أتاحت تجربة الاستعمار ، وبأن العنصرية والنخبوية للإمبراطورية قد تركت بصماتها على أوروبا. ويمكن ملاحظة ذلك في عضوية الأحزاب الفاشية المختلفة. ففي بريطانيا ، كما كان قد اقترح جيفري جارات Geoffrey Garratt ، بأن المتقاعدين ، مع المستعمرين ، هم الذين أمضوا حياتهم المهنية النشطة فى ممارسة دكتاتورية صغيرة خاصة على الموظفين الآسيويين أو الأفارقة ، وهؤلاء المتقاعدين كانوا غاية فى الأهمية للحركة الفاشية البريطانية : ومن السهل بالنسبة لأولئك الذين يسيطرون على الأجناس الأخرى ، أن يعتبرونهم لا يستحقون أن يتمتعوا بأي حرية ، وكذلك مواطنيهم الذين وضعوا أنفسهم خارج هامش سياستهم التخريبية أو كانت لهم مطالب غير مريحة. ولقد جاء العشرات من الفاشيين البريطانيين من نفس هذا النوع من الخلفيات العنصرية ، بما في ذلك الفاشيون البارزون أمثال «جيفري هامJeffrey Hamm » و «أرنولد ليس» Arnold Leese ، والجنرال « فولر Fuller» ، و «هنري هاملتون بيميش» Henry Hamilton Beamish و«آرثر كينيث تشيسترتون Arthur Kenneth Chesterton».

ومع ذلك هل كان قول « لال » بان بريطانيا كانت فاشية صحيحا تماما؟ فقد كانت الإمبراطورية البريطانية تعامل رعاياها بالطريقة نفسها التي قامت بها الفاشية. وكان بمثابة دكتاتورية القمع والقتل . ومع ذلك ، لم تتساوى الإمبريالية البريطانية بالإيطالية الفاشية مثلا . وحول الغزو الإمبريالي من أجل تحقيق الأرباح ، وزيادة الإنتاج. والذى ازدهر من خلال تحالف «الدكتاتورية في الهند» مع «الديمقراطية السياسية في بريطانيا». على النقيض من ذلك ، وفي ظل الفاشية ، فقد

كان الغرض من الحروب الخارجية في المقام الأول سياسيًّا وليس اقتصاديًّا : فهي ورقة عمل للقضاء على المعارضة داخليا أولا. وفي الواقع ، كان للفاشية الكلاسيكية دينامية مختلفة عن الإمبريالية - ففي إيطاليا وألمانيا كانت الدكتاتورية في الخارج عليا اتصال وثيق وأكثر إتحادا مع الديكتاتورية في الداخل.

وفي غضون ذلك ، كان تشكيل النظريات الماركسية المختلفة للفاشية مستمرا . وفي ١٩٦٠ و ١٩٧٠ ، شدد كل من جورج لاكاكس Georg Lukács و«إرنست لاكلو Ernest Laclau » على أهمية الأفكار اللاعقلانية للفاشية كفكر. وإتبع نيكولوس Mark Neocleous خطى ستيرنهيل وغريفين ، في التشديد على أهمية الفلسفة الفاشية. وفي سياق مختلف ، حافظ بعض الكتاب ، بما في ذلك «تيد غرانت» و« ارنست ماندل» ، أن النظرية الماركسية ل«تروتسكي» فقط هى النظرية القاهرة للفاشية .

كما تم تطوير النظرية الماركسية حسب الحاجة في أماكن وأوقات مختلفة ، وذلك لربط النظريات الفاشية التاريخية والمعاصرة بالتطبيق في يومنا هذا. وقد أدت الحاجة للتوحيد بين النظرية و التطبيق إلى نتائج مختلفة جدا. ففي بريطانيا في ١٩٧٠ ، أدى تهديد الجبهة الوطنية كما سبق الذكر ، إلى ظهور المعارضة المناهضة للفاشية ،و رابطة مكافحة النازية (ANL) في جميع الأنحاء. و داخل رابطة مكافحة النازية ، كانت السياسة السائدة هي تلك السياسة الخاصة بحزب العمال الاشتراكي (SWP). وحاول حزب العمال الاشتراكي من خلال مجلته التى يصدرها والمسماه بـ«الاشتراكية الدولية» ، إلى استخلاص الدروس المستفادة من أمور عدة . فلقد قام أعضاء من حزب العمال الاشتراكي ، بما في ذلك «كولن سباركس» ، «أليكس كالينيكوس» و « كريس بامبرى» بإنتاج تحليلات عن الفاشية الألمانية والبرجوازية

الصغيرة ، وعن الجبهة الوطنية وقاعدتها الطبقية ، و التكتيكات الخاصة بالجبهة المتحدة ، وكذلك عن كتابات تروتسكي ، وأسباب المحرقة ، وطبيعة الفاشية نفسها.

وكانت الميزة فى كتاباتهم هي الطريقة التي شدد بها هؤلاء المؤلفون بالإجماع فى نفس الوقت أن ما أنتجه تروتسكي يعد أقوى النظريات الماركسية عن الفاشية ، وأنه ينبغي قراءة تروتسكي بجدية. و بسبب ارتباطهم ومعايشتهم للنضال ضد الفاشية ، قام هؤلاء الكتاب بإنتاج بعض المفاهيم القوية عن الفاشية وكيفية تولدها من داخل الفكر الماركسي التقليدي منذ الحرب العالمية الثانية.

وفي ألمانيا ، في عام ١٩٧٠ ،كان هناك خطرٌ مماثلٌ أدى إلى نشوء شبكة من مناهضى الفاشية مختلفة عن مثيلاتها بشكل كبير ، وتسمى «جمعية ضحايا النظام النازي (VVN)». وكان أعضاء هذه الحركة أشد حرصا من « رابطة مناهضى النازية ANL »على البقاء ضمن حدود سياسة الضغط للمجموعة ككل ، وبالتالي رفضت تحليل الفاشية ، خوفا من القيام بتحليل من شأنه أن يؤدي إلى رؤية الفاشية بأن لها أصولاً في الرأسمالية.

وإذا اعترفت جمعية ضحايا النظام النازي بهذا الأمر ، فإنها قد تفقد حلفاءها المحترمين الذين يدعمونها ودستوريتها على حد سواء. وكان الحل الوحيد يكمن فى الجمع بين الممارسة المعتدلة مع غياب كامل للنظرية. على حد تعبير «توماس دورى» Thomas Doerry ، وهو عضوٌ في الحزب الشيوعي الألماني ، وأحد المؤرخين للحركة : لا تأسس مناهضة الفاشية بناءا على النظريات الفاشية... وبالتالي فإن لديها القليل لتقوله حول نشأة الفاشية... وذلك لأن الحديث عن طبيعة الفاشية سيفوق الإمكانات الأساسية للتوافق في الآراء بين الجماعات السياسية المختلفة.

ويمكن لعدد قليل من هذه النظريات أن يقال عنه إنه دفع بالتحليل الماركسي في اتجاه جديد. فلقد تم تطوير معظم النظريات التي كانت بالفعل موجودة في عام ١٩٣٠. وهى النظريات التى كانت مرتبطة بكتاب أمثال نيكوس بولانتزاس Nicos Poulantzas، . ، رالف ميلياباندRalph Miliband ، ، و تيم ميسون Tim Mason ، و ميهالي فاجدا Mihaly Vajda .

وكانت حجة ميسون أنه كان من المستحيل القول أن الرأسمالية كانت لها السيطرة على النظام الفاشي. وادعى أن الفاشية هى التي كانت تسيطر على الرأسمالية.

وبعد عام ١٩٣٦ ، « كانت القرارات السياسية هى التى تحدد الاحتياجات الاقتصادية ، وبشكل أساسي من قراراتها في مجال السياسة الخارجية. وهذا لا يعني أن ميسون رأى نفسه يقطع الصلة التفسيرية بين الفاشية والرأسمالية. وبدلا من ذلك رأى نفسه فى موقف يتوسط الطريق ، في مكان ما بين النظريات المتنافسة بين كل من « الماركسيين من الألمان الشرقيين» ، الذين قالوا : بأن الفاشية كانت مجرد شكل من أشكال الرأسمالية ، وبين «الليبراليين الغربيين» ، الذين لا يرون أي صلة بين الفاشية والرأسمالية على الإطلاق.

و في هذا الجدل يمكن مقارنة ميسون بـ «ميهالي فاجدا» . فقد جادل «فاجدا»بأن في بعض الحالات... تناقضت الفاشية صراحة مع مصالح الطبقة الحاكمة.

و في الواقع فقد كان كلاهما يسعى إلى إيجاد حل وسط ، وذلك بين كل من «نظرية اليمين عن الفاشية» وبين «النظرية الجدلية». ورأى كلاهما بوجود صلة بين الفاشية والرأسمالية ، ولكنهما كانا يريدان الحد من قوة الارتباط مع ما أسموه بالنظريات السخيفة والمختزلة للكومنترن التي تألفت في الفترة من ١٩٢٠ و١٩٣٠ ،

وهى النظريات التي كانت لا تزال تحتفظ بوضع رسمي آنذاك.

وتلك النماذج التي أوجدها « تيم ماسون» و «ميهالي فاجدا» كانت أفضل بكثير من النظريات التي قاما بمعارضتها. ومع ذلك ، فأي من هذين المؤرخَيْن ، لم يتمكن من إدراج أي من تلك الأفكار التي تدل على وجود صلة بين الفاشية والعمليات داخل القاعدة الاقتصادية للدولة. ومن الواضح أن هناك صلة ما ، على سبيل المثال الصلة بين طبيعة الاقتصاد الفاشي ، وبين حقيقة أنه كانت هناك فترة فى كل بلد في أوروبا عام ١٩٣٠ شهدت تدخلا متزايدا من قبل الدولة في الاقتصاد.

وكانت هذه الرؤية نقطة البداية لفكرة « أجنازيو سيلون» بأن نمو الفاشية لم يكن إلا جزءا من عملية أوسع نطاقا من قبل الرأسمالية التي حولت فيها نفسها إلى رأسمالية الدولة. و في كتابات وأعمال« تيم ميسون » ، يقوم ميسون بالتأكيد على الطابع الفاشي المعادي للرأسمالية ، ولذلك كان هناك انعدام للتوازن فى حديث ماسون. حيث أن ميسون يقول : إن استيلاء النازيين على السلطة قد ارتبط بالعملية التي قام فيها القادة السياسيين للطبقة الرأسمالية ، بإعطاء السلطة مؤقتا لحزب هتلر وذلك لخوفهم من الحزب الشيوعى KPD . وفي هذا المعنى ، يتسم عام ١٩٣٣ «بالهزيمة التاريخية العظيمة» للممثلين السياسيين من الطبقات المالكة....

والمشكلة هنا هي في التمييز بين «الممثلين السياسيين لطبقة معينة» وبين «الطبقة ذاتها». إذ ثمة من يقول (ممن جاؤوا بعد ميليباند) ، أن الحكم الفاشي أحرز تقدما ملحوظا من جهة استغلال رأس المال ،ومن ثم فإنه لا يمكن أن ينظر إلى الأحداث التي وقعت عام ١٩٣٣ باعتبارها هزيمة للطبقة الرأسمالية ، وبالتأكيد فهى لن تعنى هزيمة لحركة الطبقة العاملة. ولهذا السبب ، فهناك مشاكل في تفسير ميسون عندما يتحدث عن شخصيات أمثال «بابين Papen » و«شاخت Schacht » كممثلين

للطبقة الحاكمة ، وقوله بأن هذه الشخصيات قد هزمت.

وهناك تحليل أكثر إلحاحا يأكد على التناقضات التي واجهتها الطبقة الرأسمالية في ظل الفاشية. فقد كان استيلاء النازيين عن السلطة يعني أن استحواذ أيدى جديدة على السلطة السياسية ، في حين تم ترك القوة الاقتصادية في حوزة هؤلاء الذين أمسكوا بزمام أمورها اقتصاديا من قبل.

ومن بين هؤلاء الماركسيين من يرى بوجود علاقة بين الدولة أو الرأسمالية من جهة والفاشية من جهة أخرى ، ويشبهون الفرق بين نظرية ميليباند و نظرية بولانتزاس على انه الفرق بين نظرية مقنعة وبسيطة ونظرية أخرى غير متماسكة بشكل جذري.

فنجد أن حجة ميليباند تعمل في الاتجاه المعاكس تماما ل «ميسون»: فالفاشية حسب ميليباند ترتبط بالرأسمالية ، بمعنى أن الدولة الفاشية تمكنت من تحقيق نمو هائل في الأرباح الرأسمالية ، ويبدو ذلك جليا من خلال ملاحظة النخب الرأسمالية التي كانت لا تزال تسيطر على أعلى المستويات بالدولة ، وهى «الطبقات التي احتلت أعلى الهرم الاقتصادي والاجتماعي والتى ظلت فى مكانها دون مساس» .

وكذلك أنه في لحظة انهيار الأنظمة الفاشية بقى النظام الرأسمالي لهذه الفئات متواجدا. ويرى ميليباند كل هذا دليلا على جدلية مفهوم الفاشية. وحاول إثبات وجهه نظره على مراحل عديدة ، واستدعاء « نموذج البونابارتية» مؤكدا على الدعم الجماهيرى وكذلك المناهضة للأيديولوجية الرأسمالية للفاشية.

وفي الواقع فإن ميليباند يتناول النظرية الجدلية على أنها أمرا مفروغا منه ، وينصب اهتمامه علي الملكية الخاصة والدولة. أما ما يجادل به «بولانتزاس» فهو على النقيض من ذلك ، فهو يقوم بتحقيقات موسعة حول التناقضات بين الفاشية

والدولة. ويكاد يكون من المستحيل أن يتم وصف نظريته في جمل قليلة. فهو كما يقول «ارنستو لاكلوErnesto Laclau » عنه: إن الشيء الأكثر إثارة للدهشة حول كتاب نيكوس بولانتزاس المعنون «الفاشية والدكتاتورية» ، هو أنه كتاب غني بشكل استثنائي بالمحددات النظرية التي تدخل في تحليل الفاشية.

و يصف بولانتزاس الطبقة الحاكمة الفشية نفسها بأنها «تتكون من عدد كبير من الطبقات» ، كل منها يتنافس من أجل الهيمنة. وضمن هذا الإطار ، يشدد على عجز البرجوازية الصغيرة عن تشكيل طبقة حاكمة. وينتقد بولانتزاس تروتسكي لفشله في إدراك مستوى هزيمة الطبقة العاملة ، حتى قبل عام ١٩٣٣ ، في حين أنه يتفق مع «غرامشي» في التأكيد على دور الدولة بوصفها جهازًا أيديولوجيًّا قمعيًّا.

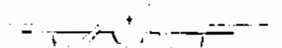
وأخيرا ، يقول «نيكوس بولانتزاس»بوجود نموذج من الحكم الذاتي النسبي والذى كان يعمل على ربط الفاشية بالحركة الجماهيرية ، وبالبرجوازية الصغيرة ، مع توجهات رأسمالية وكذلك ما أسماه (بالتوجهات السائدة في الدولة) ، وهى توجهات تختلف أيضا عن جميع العمليات والتوجهات الأخرى المذكورة أعلاه.

و نجد أن حجج بولانتزاس غالبا ما تكون غير قابلة للتصديق أو مضللة. ويجادل ، على سبيل المثال ، أن الفاشية الإيطالية والألمانية قد نمت في المجتمعات المتخلفة. وقد تم بالفعل القول بأن هذا ليس صحيحا. وبالمثل ، يفسر بولانتزاس نجاح الفاشية على أنه نجاح جاء نتيجة لهزيمة الطبقة العاملة. وحتى كانون الثاني ١٩٣٣ ،لا يمكن اعتبار هذا القول صحيحا أيضا.

و إذا كان هناك تعريف واحد ل «بولانتزاس» عن الفاشية فهو يتمثل فى إصراره على أن «ما يميز الدولة الفاشية هو التعبئة الجماهيرية المستمرة. و لذلك فإن أي قارئ لهذه الملاحظة التى وضعها بولانتزاس ، سيشعر بالارتباك بسبب هذا التفسير

المتناقض وعلى مستويات عديدة ، فهذا التفسير لا يوضح ما هو مفهوم بولانتزاس للمعنى الاجتماعي لكلمة «تعبئة».

وفى النهاية ينبغي أن يكون قولى واضحا، أن التفسير الجدلي للفاشية ، هو الذى يقدم أفضل طريق للخروج من مستنقع تلك النظرية التي وضعها بولانتزاس .



الفاشية
بين النظرية والتطبيق

10

الماركسيون و«الهولوكوست (المحرقة)»

Marxists and the Holocaust

وإذا كانت هناك مساحة واحدة تم وضع نظريات جديدة للماركسيين فيها، فهى الفترة من بعد عام ١٩٣٣ ، ومن خلال دراسة المحرقة. وكان النهج فى تلك الدراسات يحاول التوصل إلى الفهم المادي وراء الأفكار العنصرية للفاشية.

وعلى سبيل المثال ، فقد رأى «دانيال جيران» معاداة السامية باعتبارها واحدة من الطرق التي يمكن أن يخفي بها الفاشيون عدم ملاءمة الراديكالية الخاصة بهم. ومن ثم كانت خدعة الاشتراكية القومية ، وهى التى سعت إلى تحويل الأتباع المناهضين للرأسمالية إلى معادين للسامية». وقيل للعمال وأفراد البرجوازية الصغيرة أن السبب فى متاعبهم هم اليهود من الطبقات المتوسطة والذين كانوا يشغلون المهن الحرة ، والمهن الأخرى مثل المحامين والتجار والأطباء والصحفيين. وشجع الفاشيين الألمان العاديين لتجاهل أزمة رأس المال وإلقاء اللوم فى تلك الأزمة على اليهود.

ويقارن «جيران» آثار الدعاية الأسطورية التى قام بها « غوبلز » و والتى يصفها بأنها (هذيان من خياله الخاص) قائلا : حالة من الجنون أصبح الجلاد هو الذى تتم محاكمته ، وتم ذبح شعب بأكمله... وكانت المذبحة أثقل في أوروبا الشرقية لأن سكانها من اليهود كانوا أكثر ؛ الغزو الألماني جعل من هذه المنطقة سورا شرقيا للرايخ الثالث. وبالتالي بدأت معاداة السامية ، على شكل «تحيز عنصري» وباستغلال خدعة الغوغائية ، وانتهت بأبشع إبادة جماعية على الإطلاق.

وكان هناك ماركسي آخر والذي حاول أن يشرح تنامى العداء للسامية في عام ١٩٣٠ ، وهو البلجيكي من أتباع تروتسكي ويدعى « أبرام ليونAbram Leon ، والذي كان يكتب في الفترة من منتصف الحرب العالمية الثانية. وقام باستعراض فكرة ماركس بأن معظم اليهود عاشوا «داخل المسام والثغرات الإقطاعية

للمجتمع» ، ولاحظ أبرام ليون ان اليهود كانوا يميلون للعب دور على هامش المجتمع. بمعنى أنهم وفي إطار الإقطاع ، كان العديد منهم من المرابين ، في حين وفى ظل الرأسمالية ، كان اليهود يعملون كمصرفيين ومحامين وخياطين وعمال للغزل والنسيج ، وكانت أقلية فقط منهم يعملون فى المجال الصناعي. وقال : إن الدور الهامشي الذي كان يميل للعبه العديد من اليهود في تشكيلاتهم المجتمعية كمرابين تحت النظام الاقطاعى أو ممارسة المهن الأخرى تحت النظام الرأسمالي ، ولم تكن الأدوار التى يلعبونها بأي شكل من الأشكال تمثل أدوارا «تلقائية».

واستبعد« أبرام ليون » فكرة أن تكون هناك أى «خصائص موروثة سابقة لليهود» ، وبرهن على طبيعة المحاولات المثيرة للسخرية تماما من النازية فى نظرتها وتعاملها مع اليهود. ولن يكون صحيحا أن نقول : إن معاداة اليهود للمجتمع هى التى أجبرت لليهود لإتخاذ هذه المراكز الهامشية. فلا تزال هناك حقيقة أن اليهود كانوا كالغرباء والعيون مركزة عليهم ، وأنهم كانوا في الواقع يحتلون «مواقع لليهود» في المجتمع. ووفقا ليون ، لعب اليهود دورا محددا ، فهم كانوا «طبقة شعبية». وأوضح هذا التحليل لماذا كانت هناك جماعات مثل اليهود عرضة لتلك الأكاذيب العنصرية :« فقد كان ذلك بسبب أنهم قد احتلوا مراكز مختلفة في المجتمع ، وأن هذا ما جعل اليهود أكثر عرضة للهجوم».

إذن لماذا تنامت معاداة السامية في عام ١٩٣٠؟ يفسر ليون ذلك بأنه كان بديلا لتدهور الاقطاع و بدأ الرأسمالية . وفي شرق أوروبا من القرن التاسع عشر ، كان ما زال ينظر إلى اليهود كمرابين ، وأنهم المسئولون عن انهيار المجتمع الروسي و البولندي. فقد سافر عدد كبير من اليهود الفارين من معاداة السامية الإقطاعية إلى الغرب ، ليستقر في فرنسا أو ألمانيا. ومن ثم و في عام ١٩٣٠ تم الإمساك بهم فى

الأزمة التى حدثت للمجتمع الرأسمالي.

وأعقب معاداة السامية الاقطاعية ، معاداة السامية الرأسمالية ، و كانت تلك المعاداة العنصرية ذات طبيعة وعواقب مختلفة. وقال ليون : إنه تم استخدام «معاداة السامية» خلال الأزمة الاقتصادية التي أعقبت عام ١٩٢٩ ، كسلاح لحشد القوى الرجعية و تقسيم الطبقة العاملة. ولما كان هناك ماركسيون آخرون يكتبون حينها ضد الفاشية ، كان «أبرام ليون» معنيا بالحديث عن معاداة القومية اليهودية والصهيونية. وكانت رؤيته البديلة تمثل « الاشتراكية اللاطبقية ». كما قال ليون أيضا أن الاضطهاد النازي لليهود قد سلب بعيدا طابع اليهود الهامشي ، وخلق أسباب لاضمحلال معاداة السامية. وكان ليون وقتها يقوم بالكتابة من فرنسا المحتلة ، وذلك قبل وقت قصير من ترحيله إلى «أوشفيتز» ، ومع ذلك فقد أثار بكتاباته صورة غير عادية من الأمل فكتب يقول :إن محنة اليهود لم تكن مأساوية جدا ، ولكنها لن تتوقف عند هذا الحد. وفي القرون الماضية ، كانت الكراهية لليهود على أساس حقيقي من الخصومة الاجتماعية التي تبناها اليهود ضد فئات أخرى من السكان. واليوم ، فإن مصالح الطبقات اليهودية مرتبطة ارتباطا وثيقا بمصالح جماهير الشعوب في العالم بأسره. وأن اضطهاد اليهود كرأسماليين يجعلهم منبوذين تماما. ويضيف ليون أن الاضطهاد الشرس لليهودية يمثل عارا على معاداة السامية نفسها ، ويعمل على تدمير ما تبقى من الأحكام المسبقة التي أصدرتها الطبقات العاملة ضد اليهود. فالأحياء اليهودية والشارات الصفراء تعطى العمال شعورا متزايدا بالتضامن مع أولئك الذين يعانون أكثر من غيرهم ، وأن آلامهم تفوق الآلام البشرية جمعاء

وقد كرر الماركسيون مرة أخرى كتابتهم عن العلاقة بين الرأسمالية والمحرقة ،

وذلك في أعقاب عام ١٩٤٥ مباشرة، وهذه هي الطريقة التى أوضح بها « أرنست ماندل » عمليات القتل التى تمت : إن المعاملة الوحشية لليهود من قبل الإمبريالية الهتلرية دفعت فقط باتجاه ذروة الهمجية والأساليب المعتادة للإمبريالية في عصرنا.

وفي غضون ذلك ، وفى كتابات «أرنو مايرArno Mayer ، وهو الذي كان متأثرا بالفئات الماركسية ،و قام بربط المحرقة بما أسماه «السمات المطلقة للحرب العالمية الثانية »ويضيف قائلا :' إن التطرف فى الحرب ضد اليهود كان يرتبط مع التطرف فى الحرب ضد الاتحاد السوفياتي. ولما بدأت الجيوش الألمانية تخسر في روسيا ، دعا ذلك النخب الألمانية للتطلع إلى قتل اليهود كأحد الحلول لتغطيه هزيمتهم حيث اعتبر النازيون اليهود والسوفييت «عدوا واحد » وهو ما تم الإشارة إليه بالمصطلح 'Judeobolshevism'. ونظرا لطبيعة المنطق النازي ، يقول ماير ، فالمحرقة هى عمل عقلاني ، ومحاولة صادقة لكسب الحرب. وكان «معسكر أوشفيتز »، باختصار ، هو نتاج كل من الأيديولوجية النازية والأزمة الألمانية في الشرق ويستدرك قائلا:

إن تطرف هتلر والنازية فى معاداة السامية ، كان شرطا مسبقا و ضروريا للقيام بالمحرقة. ولكن هذا التطرف فى حد ذاته لم يكن كافيا لتحقيق ذلك. ولولا تلك الحرب المطلقة المتصاعدة والغير ناجحة ، والتي كانت في جوهرها « حملة صليبية» ، لما أصبح مالا يمكن تصوره متصورا الآن ، ناهيك عن كونه ممكنًا أو عمليًا.

إن أهم شخصية منذ قام ليون بكتاباته ربما يكون « تيم ميسون» ، الذي نوقشت أعماله في الفصل السابع ، و الذي جادل بأن المحرقة تمثل نقيض من المصالح الرأسمالية. والذى قال أيضا أن ألمانيا النازية قامت بإهدار الأموال ، والأشخاص ، والموارد والمهارات فى تلك المحرقة ، والتي كانت موارد يمكن إنفاقها على المجهود

الحربي. و أضاف بأنه لا يمكنه أن يفهم المحرقة ، وقال فى تفسيره لها أنها تمثل « الأيديولوجية النازية» ، وأنها بهذه الطريقة تفرض «سيادتها السياسية». و كما قلت سابقا ، فإن هذا التفسير يفصل بين العلاقة بين رأس المال والفاشية ، وهى الجزئية التى تمثل أحدى الموضوعات الرئيسية في النظرية الماركسية للفاشية. ومع ذلك ، فقد ذهب عدد من الماركسيين إلى أبعد من ذلك مثل «مندل» أو الحجج المادية ل «ماير» ، في وصف المحرقة بأنها لغزا غير مفهوم حيث يقول إنها شيء فظيع حتى أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتم تفسيرها. وهم بذلك لا يقطعون الصلة بين الفاشية ورأس المال وحسب ، بل يقطعون الصلة بين المحرقة والتاريخ. والكاتب « إسحق دويتشر Isaac Deutscher » يمثل نموذجا لهذا الجيل ومن كتاباته:

إن أكبر عقبة تواجه المؤرخ الذى يحاول فهم المحرقة اليهودية هى « التفرد امطلق لتلك الكارثة». ولن يكون الأمر مجرد مسألة وقت أو وجهة نظر تاريخية. فأنا أتشك في أن يتمكن الناس بعد ألف سنة من الآن من فهم «هتلر» ،أو «أوشفيتز Auschwitz » ، و«مايدانيك Majdanek » و تريبلينكا Treblinka » أفضل مما نفهمهم نحن الآن. لقد كانت الغضبة النازية مصممة على الإبادة الغير مشروطة لكل رجل يهودي وامرأة وطفل في متناول اليد ، ولا يسع المؤرخ ، إلا أن يحاول الكشف عن دوافع السلوك البشري ، وعن المصالح الكامنة وراء تلك الدوافع النازية .

والسؤال هو من الذى يستطيع أن يحلل الدوافع والمصالح وراء ما ارتكبه أوشفيتز؟ ... إننا نواجه هنا لغزا كبيرا لتدهور الطابع البشري والذي سوف يربك ويروع الناس إلى الأبد .

إن معظم الماركسيين ومنهم على الأرجح «تيم ميسون» ، قد حاولوا العثور على

منتصف الطريق بين «دويتشر» من جهة و«مندل» أو «ماير» من جهة أخرى. ومؤخرا ، قام المؤرخ « نورمان جيراس Norman Geras »بالفصل بين ما أسماه بالمجالات الثلاثة للجدل. ويعرض ثلاثة أزواج من التصنيفات للجرائم الخاصة بتدمير يهود أوروبا :

- فهى إما أن تصنف على أنها جرائم يمكن مقارنتها بالجرائم الأخرى / أو أنها تمثل جرائم فريدة من نوعها .
- وإما أن تكون جرائم لها تفسير عقلاني / أو جرائم تستعصي على الفهم .
- إما أن تكون جرائم جاءت نتاجا للرأسمالية والإمبريالية / أو جرائم تسببت بها مجموعة من العوامل الأخرى.

ويتابع« نورمان جيراس» حديثه قائلا : لا أعتقد أننا سنتمكن من إجراء أي تقييم مناسب من خلال تبني قطب واحد فقط من كل زوج من هذه المتناقضات الثلاثة. فهناك دائما « نقطة معينه وسيطة» ذات علاقة بكل من قطبى التناقض فى كل نقطة من النقاط الثلاثة المذكورة أعلاه.

ومن المهم أن نلاحظ أن جيراس يرى بجدوى إيجاد هذا المركز الوسيط لتوصيف تلك المحرقة ، ولكن حسب تقليد الماركسية الكلاسيكية الأخرى تم رفض أى غموض أو حل وسط عند احديث عن الوحدة وطنية والسلطة. وهم يقولون : إنه من المؤكد والطبيعى إن المحرقة مماثلة لغيرها من الجرائم الفرديه أو الفريدة من نوعها ، ولها تفسير عقلاني وتفوق الاستيعاب على حد سواء ، وهى نتاج الرأسمالية والإمبريالية ، كما أنها نتاج لمزيج من العوامل الأخرى. فالمحرقة قابلة للمقارنة وفريدة من نوعها فى نفس الوقت أيضا. فهى قابلة للمقارنة ؛لأن المحرقة جزءمن القصة الرأسمالية. وعلى حد تعبير «سيجمونت بومان Zygmunt

Bauman ، فيقول : « تولدت المحرقة النازية وتم تنفيذها في مجتمعنا الرشيد الحديث ، ونحن فى أعلى مراحل حضارتنا ونحن نتربع على قمة إنجازاتنا البشرية. إذ تاريخ الرأسمالية هو تاريخ مفعم بالدم والقتل. فبمجرد أن تتولد الرأسمالية ، فإنها كنظام جديد تتطلب الحاجة إلى الثروات بشكل استثنائي». ولتحقيق هذا التراكم الأولى المطلوب لرأس المال كان يجب تحقيق ذلك من خلال توسيع نطاق الإمبراطورية ، وعن طريق وضع حد السيف على رقبة أمريكا الجنوبية ، والنقل اجماعي للعبيد الأفارقة. وعلى حد تعبير كارل ماركس :

إن رأس المال يأتي إلى العالم كنزيف من الرأس إلى القدم ، متخللا كل مسام اجسم بالدماء الممتزجة بالأوساخ... فاكتشاف الذهب والفضة في أمريكا ، و لاستعباد وتسخير السكان الأصليين للعمل في المناجم ، وبداية الغزو والنهب لجزر الهند الشرقية ، وتحول أفريقيا لفريسة للصيد التجاري للجلود السوداء ، كل ذلك جاء مؤذنا ببزوغ «الفجر الوردي للإنتاج الرأسمالي».

وقام ممثلو البرجوازية المتحضرون بهذه الجرائم الغير عادية ، و لم تتوقف جرائمهم عند هذا الحد ، بل استمرت لإخضاع الهند في القرن الماضي ، وكذلك من خلال الحروب فى فيتنام وكوريا وكمبوديا وحرب الخليج فى أيامنا هذه.

إن المحرقة مماثلة لجرائم القتل الأخرى ، ولكنها وفى نفس الوقت مختلفة أيضا. فقد استخدمت ألمانيا النازية ، أساليب الإنتاج الصناعي ، والآلات والتقنيات الإنتاجية والبيروقراطية ، والرأسمالية فى صنع « آلة لقتل اليهود». ومن الجدير بالذكر انه كان هناك شيء فريد بخصوص الطريقة المنهجية المحددة التي اتبعتها الدولة الفاشية لقتل اليهود.

كما أشار المؤرخ «لوسي داويدوويتش Lucy Dawidowicz »إلى أن

الديكتاتورية النازية المعنية كانت تعمل من خلال جهاز بيروقراطي وفني متكامل و التابع للدولة الألمانية والحركة الاشتراكية الوطنية ، وأن النازية عملت على توظيف أفضل الوسائل التكنولوجية المتاحة لتحقيق قتل اليهود. كما يقترح راؤول هيلبيرج Raul Hilberg ، أن نجاح النازية فى هذا القتل الجماعى كان غير عاديا : فالإبادة الألمانية ليهود أوروبا كان يمثل أول عملية تدمير مكتملة في العالم. و ما هي إلا علامة فى إنجازات هتلر بوصفها أفظع جريمة حتى الآن ارتكبت بأيدى البشر.



الفاشية
بين النظرية والتطبيق

11

جدلية «جولدهاجن»

The Goldhagen debate

(دانيال جولدهاجن ولد في ١٩٥٩ – وهو مؤلف أميركي سابق وأستاذ مساعد للعلوم السياسية والدراسات الاجتماعية في جامعة هارفارد...)

لقد تولد بسبب المحرقة أعداد هائلة من الموضوعات البحثية والتى كانت تناقش مدى تورط المواطنين الألمان العاديين في القتل. وقال« كريستوفر براونبج Christopher Browning أن الغالبية من القتلة كانوا من « الرجال العاديين» وأضاف بأنه يتعين على المؤرخين أن يوضحوا كيف أمكن لهؤلاء الرجال أن يقبلوا بهذه المهمة. وقد رد «ايان كيرشو Ian Kershaw» أنه ليس القتلة هم الذين ينبغي دراستهم ، بل الأغلبية الصامتة ، والتي سمحت بحدوث القتل بتعاملها سلبا مع الأمر وخمولها. وقد وضع« نورمان جيراس» فكرة مفادها أن الوقوف بموقف امتفرج قد تكون ظاهرة أساسية للبشر. وأصر دانيال جولدهاجن فى نظريته الأكثر إثارة للجدل ، على أن جميع الألمان مشتركون فى عملية « التغييب العقلي» ، وذلك في كتابه ، «جلادون إرادة هتلر» ، والذى يلقى اللوم فيه على جميع الألمان ومسئوليتهم عن المحرقة.

ولقد كان هناك اهتمام غير عادي بكتاب «دانيال جولدهاجن» ، والذي كتبت عنه العديد من المجلات بدءا بمجلة «دير شبيجل» ، و في صحيفة «صنداي تيمز» ، و« الجارديان» و «ريفيو أوف بوكس» فى نيويورك. وبيعت أكثر من نصف مليون نسخة من كتاب «جلادون إرادة هتلر». وقد أجرى جولدهاجن عدة مقابلات على التلفزيون الاميركي في برنامج أذيع فى وقت الذروة ، في حين جاء تصنيف كتابه كأفضل ثاني عمل «غير خيالى» في عام ١٩٩٦ ، وذكرت صحيفة نيويورك تايمز ، عدة ملاحظات عن الكتاب ، وصفته بأنه «واحد من تلك الأعمال الجديدة و النادرة التي تستحق تمييزها كعلامة تاريخية ».

ويقول جولدهاجن : إن ما لا يقل عن مليون شخص، وربما عدة ملايين من الناس كانوا مسؤولين عن المحرقة : ويستنتج من ذلك أن الألمان العاديين لم يقوموا بدور نشط في عملية القتل. ويدعي أن أفكار هتلر كانت مقبولة لأنه أعرب عنها مع تواجد أرضية خصبة حينها لمعاداة السامية. ويصر جولدهاجن على أن هتلر كان قارئ ممتاز لأفكار الشعب الألماني ، حيث أن غالبية الألمان رأوا أن اليهود يمثلون «قوة الشر» ، و أن الغالبية من الشعب الألمانى قد شاركوا في القضاء على اليهود.

وكانت العبارة الرئيسية التى ترددت كثيرا في كتاب جولدهاجن هى « القضاء على السامية». وهو في حجته يؤكد أن معظم الالمان كانوا من المؤيدين للقضاء على اليهود. ويقول ، جولدهاجن عن هتلر أنه حرر في الشعب الألماني معاداتهم للسامية ، وقال: إن تلك الكراهية كانت متواجدة لديهم بالفعل. ويجادل جولدهاجن بجاهزية واستعداد كل المجتمع الألماني لقتل اليهود فيقول : « كانت فكرة الإبادة الجماعية أساسية في المحادثات داخل المجتمع الألماني. وكانت أساسية أيضا في لغتهم وأحاسيسهم. وكانت أساسية في بنيتهم الإدراكية».

وفى مقدمة كتاب جولدهاجن ، فإنه يؤكد بصحة الحجة القائلة بأن «الهولوكوست كانت قبل كل شيء «مشروعا ألمانيا خالصا» ، وذلك من حيث القرارات والخطط والموارد التنظيمية و كون غالبية منفذيها كانوا من الألمان. ثم ، ومن خلال بعض التحليلات المنطقيه التى قام بها ، توجه فى الختام لتفسير المحرقة من حيث توجه الألمان لقتل اليهود.

والمنطق الذى استخدمه جولدهاجن هنا ، كما هو الحال فى جميع كتاباته ، هو « منطق مخادع». فيقول «جولدهاجن» أنه إذا كان معظم الناس الذين شاركوا في المحرقة النازية هم من الألمان ، فإنه يترتب على ذلك أن غالبية الألمان يجب أن

يكونوا قد شاركوا في المحرقة. وبنفس المنطق يمكن للمرء أن يجادل بأن إذا كان معظم الأطفال يرغبون في النوم ، فالأطفال فقط ينامون ، أو أن « الطابية» هي من قطع الشطرنج ، وبالتالي أن جميع قطع الشطرنج هى «طابية» ، أو أنه بما أن جميع القتلة كانوا من الألمان ، لذلك فمن الحتمى أن كل الألمان قد شاركوا فى القتل.

وقدم « نورمان فنكلشتين Norman Finkelstein » تفسيرا ماديا متعارف عليه عالميا للمحرقة. وهو يعارض به ماجاء فى كتابات جولدهاجن . وهو يعد تفسيرا ماركسيا لما حدث فعلا. وسوف نحاول تلخيص القيم التى جاء بها وإن كان بشىء من التفصيل. والميزة الأولى الأكثر وضوحا فى نقد «فنكلشتين» هى العقلانية. فهو عكس «جولدهاجن» يرفض قبول أن الدافع الجنونى لدى غالبية الشعب الألماني.وقال انه يأخذ هذه المسألة من تشبيه جولدهاجن للألمان كمن يشبههم بشخصية «النقيب أهاب» ، من رواية ميلفيل « موبي ديك».

وكان «النقيب أهاب» هذا في حالة من الجنون المحموم لأنه يصطاد الحوت ، والذى كان يكرهه لأن هذا الحوت قد سبب له تشوها ، ولكن اليهود لم يسببوا ضررًا للألمان . ووفقا لفنكلشتين ،فإن جولدهاجن قد أوجد حلا لهذه المشكلة، عن طريق القيام بالحجج الدائرية. قائلا إن الألمان يكرهون اليهود ، لأن الألمان يكرهون اليهود. واستجاب «فنكلشتين» بشكل لاذع لهذا الوصف قائلا : إذا كانت أطروحة جولدهاجن تمثل حجة يتذرع بها الألمان . فمن هذا الذى يستطيع إدانة « أناس مجنونين» ؟

إن مفاهيم « نورمان فنكلشتين» هى مفاهيم تاريخية ، ورفض المعالجة التى قام بها جولدهاجن للتاريخ الألماني فيما قبل عام ١٩٤٥ ، كما وصفه بأنه « وصف غير تاريخي »للمظاهر القومية الألمانية». ويربط فنكلشتين بين تاريخ المحرقة وتاريخ

الفاشية. وعلى وجه الخصوص، يقول فنكلشتين إن تاريخ ألمانيا هو شكل من الانفصال الكبير منذ عام ١٩٣٣. فقبل عام ١٩٣٣، كان الحزب الأكبر في ألمانيا هو الحزب الديمقراطي الاشتراكي، الذي كان معارضا بشدة لمعاداة السامية. وبعد عام ١٩٣٣ وانضمام هتلر إلى السلطة، اتخذ الألمان العاديين «معاداة السامية» كأيديولوجية رسمية للدولة. أو على حد قول «فنكلشتين» :«الحكم الشمولي الفاسد للألمان».

وفى وصف آخر ل«فنكلشتين» فهو أيضا يبدى رأيا معارضا عندما يصر على تورط الألمان العاديين في أعمال المقاومة للنظام النازي. ويعطي فنكلشتين أمثلة من المعارضة الشعبية لقرار سبتمبر ١٩٤١ لإجبار اليهود على ارتداء النجمة الصفراء. وعلاوة على ذلك يقول أنه يمكن تفسير اللامبالاة التى صاحبت المحرقة بظروف الحرب الألمانية فى ذلك الحين : « فالدعاية لعبت دورا، وكذلك تصاعد القمع والعزلة المادية لليهود. ثم القسوة تجاه حياة البشر الذين يحضرون الحرب عادة -- وتفاقم صورة التفجيرات الإرهابية، وتفاقم الحرمان على الجبهة الداخلية». وهكذا، فإن فنكلشتين يفصل بشكل جذري بين الشعب الألماني والدولة النازية.

إن نموذج فنكلشتين يقبل تحدي جولدهاجن للدخول في سيكولوجية هؤلاء الناس الذين نفذوا المحرقة. وبما أن الهم الأول لـ «جولدهاجن» هو التعامل مع عقلية القتلة، لذلك قام« فنكلشتين » بعكس ذلك والنظر في الحالة النفسية لهؤلاء الألمان الذين لم يشاركوا في عمليات القتل. ويقول فنكلشتين أن غالبيتهم لم يتميزوا بالمزاج السادي للقتل. ويذكر دليلا حسب الناجين من المحرقة الذين أشاروا إلى أن القتلة كانوا من أنواع متعددة.فبعضهم كان ساديا حقا، وأكثرهم كان يعانى من حالة من الألم نتيجة للمرض النفسي.

ويعطـي فنكلشـتين أمثلـة مـن الارتبـاك ، و« البارانويـا» أوجنـون العظمـة ، والانهيارات العصبية بين هؤلاء الذين قاموا بترتيب وتنفيذ عمليات القتل. وهـو يصر على أنه لا ينبغي أن يلام الجنود الألمان على عمليات القتل ولكن تلقى اللائمة عـلى البيروقراطيـة النازيـة. وقـال انـه يقتـبس مـن كـلام «دوستويفسـكي Dostoevsky » قوله : «إن معظم من أراقوا الدماء كانوا من السـادة المتحضرين للغاية». وهذا يعيد للأذهان نقطة فنكلشتين الأصلية : يجب أن ينظر إلى المحرقة النازية بوصفها سياسة متعمدة وعقلانية للدولة ، وليس تصرفات غير عقلانيـة من الجمهور للقتل الجماعي.

وأخيرا ، يرفض فنكلشتين ان تكون المحرقة فريدة من نوعهـا، فهـو يصر عـلى أن العنصرية والإمبريالية والقتل كلها جزء لصيق بتـاريخ الرأسـمالية. ولإيضـاح هـذه النقطة ، يأخذ فنكلشتين عدة أمثلة منهـا: اسـتخدام معسـكرات الاعتقـال مـن قبـل البريطانيين خلال حرب «البويرBoer »، والإعدامات خارج نطاق القانون للسود في الولايات المتحدة في الأعوام ١٩٢٠ و ١٩٣٠ ، وحـرب فيتنـام ، وإلقـاء القنابـل الذرية على اليابان. ويقول فنكلشتين أنه من المضحك أن يتم إصدار حكـم أخلاقـي ضد شـعب بأكملـه : كيـف اختلـف الأميركيـين العـاديين عنـدما تـم ذبـح ٤ مليـون شخص فى الهند الصينية ، وهل يصبح من العادى أن يذبح الفرنسيين مليـون إنسـان من الجزائريين ، أو أن يقوم من هم من غير الألمان بذبح اليهود؟

ومع ذلك فهناك أجزاء من هذا التفسير والتي تبدو مشكوكا فيها. فيمكن القـول أن فنكلشتين اهتم اهتماما قليلا جدا بالأعمال المعارضة لمناهضة للنازيـة. مـن خـلال التركيز على المقاومة المضادة لمناهضة السامية بقيادة هتلر ، وهذا من شأنه أن ينطـوي على استخفاف أو إغفال لأشكال أخرى من المقاومة ، حيث كان هنـاك مـن يـرفض

العداء للسامية ، ولكن تم اعتبار هذه الفئة أنها تمثل دورا ثانويا. ورغم أن معظم الألمان لم يرضخوا لنظام هتلر ، إلا أنه كانت هناك مقاومة كبيرة ، وكثير منها كان ذى طابع طبقي. وكما قال «ألان مارسون Allan Merson »:« ان مقاومة الألمان للطغيان النازي لم يبدأ في عام ١٩٣٦ بواسطة زعماء الكنيسة أو في عام ١٩٣٨ بقيادة الجنرالات. ولكنه بدأ في عام ١٩٣٣ ، وكانت الغالبية العظمى من الذين شاركوا فيه من العمال اليدويين والشيوعيين».

فقد كان هناك ٣٠٠،٠٠٠ من أعضاء الحزب الشيوعي في عام ١٩٣٢. تعرض نصفهم إما لإلقاء القبض عليهم أو للاضطهاد. وتم قتل وإعدام ما بين ٢٥،٠٠٠ و ٣٠،٠٠٠، أو لقوا حتفهم في المخيمات. وقدر «الجستابو» أن هناك أكثر من ألف من الجماعات الاشتراكية والشيوعية العاملة في ألمانيا في الأعوام بين ١٩٣٥-١٩٣٦ وعدد يربو عن ٢٠٠ من جماعات المحافظين تم التخلص منهم. وفي عام ١٩٣٦ وحده ، استولت الجستابو ١٦٠٠٠٠٠ من المنشورات التى كانت توزع بصورة غير مشروعة. ولقد ساعدت تلك الصور من المقاومة السياسية على تغذية مثل هذا المناخ الأوسع للمعارضة. و كما أثبت «ايان كيرشو » أنه كانت هناك معارضة كبيرة للنظام النازى في ولاية بافاريا .

ومن الواضح أن ملايين الألمان العاديين شاركوا في أعمال صغيرة من المعارضة للدولة النازية ، ورفضوا إعطاء التحية النازية ، وامتنعوا عن التبرع للمجموعات النازية ، وقاموا بالتعبير عن عدم الرضا و تذمرهم من النظام. وعلى وجه الخصوص كان هناك بالفعل تيار واسع من المعارضة يأمل فى التوحد مع معاداة السامية لتشكيل مقاومة اكبر ، وأنه في أعقاب ليلة الكريستال(ليلة تمت فيها أعمال شغب ضد اليهود وسميت بذلك الاسم لتطاير الزجاج واشتعال الحرائق) ، على

سبيل المثال ، كانت هناك تصريحات علنية على نطاق واسع من العداء تندد بالهجمات النازية على اليهود.

وأيضا وكما سبق أن قلت ، كان من المناسب بالنسبة للماركسيين النظر للمحرقة على أنها فريدة من نوعها وغير فريدة من نوعها فى نفس الوقت. فلم تبدأ عمليات القتل الصناعية في عام ١٩٣٣ ، ولكن فقط بعد عام ١٩٣٩ ،و كانت الإبادة الجماعية منظمة وناجحة جدا. وأن المحرقة هى نتاج الرأسمالية ، وأنها كانت أيضا أبشع جريمة في تاريخ البشرية. وتلى المقالة التى كتبها « فنكلشتين» فى مجلة المراجعة الجديدة لليسار مقالة أخرى لاستعراض الاشتراكية. ووجه انتقادات شديدة فيها بشأن التقليل من الطابع الفريد للمحرقة.

ولا يتفق برنارد هرزبرغ Bernhard Herzberg وهو أحد الاشتراكيين النشطين والذى عاش في فايمار بألمانيا ، مع فنكلشتين على هذه النقطة بالذات. فهو يعارض إصرار فنكلشتين فى رسالته للمراجعة الاشتراكية بأنه لم يكن هناك شيء جديد حول المحرقة ويقول فى هذا الشأن:

كانت معاداة السامية أقدم بكثير من النازية، وهى السلاح الفتاك المضاد للسامية والذى بطبيعة الحال لم يكن اختراعا ألمانيا. لكن النازيين فقط هم الذين سعوا لإبادة اليهود في جميع البلدان التي احتلتها القوات الألمانية خلال الحرب العالمية الثانية. ولقد نجحوا تقريبا ، وذلك باستخدام وسائل صناعية مثل الاستنشاق القسري لغاز السيانيد والتجارب العلمية القاتلة ، و السخرة أو المجاعة. وهنا تأتى ملاحظة فنكلشتين الغريبة للفت الانتباه عندما قام بذكر الإعدامات التى تمت خارج نطاق القانون للسود في الولايات المتحدة في هذا السياق. حيث لا يمكن محاولة مقارنة قضية إعدام السود بالنازية لتحقيق 'الحل النهائي' للمسألة اليهودية

عن طريق الإبادة الكاملة.

وأيا كانت تحفظات الماركسيين مع حسابات ومفاهيم « نورمان فنكلشتين » ، إلا أنه فعل شيئا واحدا واضحا وهو خدمة هائلة للتقاليد الماركسية. وذلك بتأكيده مرارا على العلاقة بين الفاشية والمحرقة. وذكره أن الفاشية نظام حكم تأسس على على القمع بشكل أساسي ، وهو نظام عاش وازدهر من خلال عمليات القتل لمعارضيه. وقال :إنه فقط فى مثل هذا المجتمع ، الذى كان مرهونا بفساد الحكم الفاشي ، أمكن القيام بعمليات القتل والمحرقة التى تمت وعلى نطاق واسع. فالفاشية والمحرقة ليستا منفصلتين فتاريخهما مرتبط بكلاهما سويا . ولا يمكن للمحرقة أن تقع إلا في ظل الفاشية فقط ، ولا يمكن أن يفهم أحدهما من دون الآخر.



الاستنتاج
Conclusion

وبعد هذه الاعتبارات التى عبرنا بها عن مدى اختلاف الماركسيين فى فهمهم للفاشية ، ينبغي أن يكون من الممكن لنا بناء النظرية الماركسية المركبة عن الفاشية ، وهذه النظرية يفترض أنها تمثل النموذج الذي يقول أكثر من المعتاد من مجرد ملاحظات كتبها الماركسيين من النظريات الماركسية عن الفاشية . ولا يمكن إنشاء هذا النموذج إلا عند النظرية الثالثة أو كما أسميناها بـ« النظرية الجدلية للفاشية». والسبب ببساطة هو أنه لا يمكن للنظريات من اليسار ولا من اليمين أن تقف بمفردها. لأن كل منها منفردا ، يقدم رؤية جزئية ؛ ولكنهما معا ينجحان فى تشكيل نموذجا للفاشية بحيث يقدم شرحا عن ماهية الفاشية بشكل افضل بكثير.

إن «النظرية الماركسية اليسارية» ، الواردة في الفصل ٣ ، تميل إلى تعريف الفاشية باسم «القاعدة الرأسمالية الاحتكارية في أنقى صورها»، والتى لاتعانى من القيود ، والتى ليست معرضة للخطر.

ومن المؤكد أن هناك بعض الصحة في هذه الحجة. فقد أدت الفاشية ، كنظام ، إلى التوسع الرأسمالي، وكذلك أدت إلى السيطرة الكبيرة للطبقة الرأسمالية الاجتماعية على حساب الطبقة العاملة. ومع ذلك ، فإن ضعف هذه النظرية يكمن فى أنها تربط بين السمة الرجعية للفاشية فقط وحاجتها لرأس المال باستغلال الطبقة العاملة. وبالتالي فإنها تفشل فى شرح كيفية أن العديد من الحركات الفاشية كانت قادرة على بناء دعم مادى كبير لنفسها. لذلك فإن نظرية اليسار تلقي ظلالها على الفاشية باعتبارها مجرد أداة «للحكم الرأسمالي». و يتضح من وجهة نظر «جوني هارتفيلد»والصورة الشهيرة التى قام بعمل مونتاج لها واقفا هو وهتلر ، وهو يمد ذراعه لإعطاء هتلر رشوة مع عبارة نصها : «ورائى .... هناك الملايين».

وعلى النقيض من ذلك ، فإن نظرية اليمين الماركسي تنفى الارتباط بين الرأسمالية

والفاشية. وكما هو الحال بالنسبة لمفهوم الجبهة الشعبية عن الفاشية ، حيث إن الجبهة الشعبية تربط بين الفاشية بمجموعة صغيرة ، والذين يعتبرون أسوأ إمبرياليين من الطبقة الرأسمالية ، إلا أن ربط النظرية اليمينية بين الفاشية وبين البرجوازية الصغيرة لوحدهما فقط ، يعمل بالتالي على تضخيم احتمالية قيام البرجوازية الصغيرة بالعمل المستقل وهو ما لم يحدث. وفي هذا النموذج ، ينظر إلى البرجوازية الصغيرة على أنها إما قوة مستقلة ثورية ثالثة ، وبذلك تضع البرجوازيين فى صورة خطيرة جدا قريبة من الصورة الذاتية للفاشيين أنفسهم ، أو في شكل طبقات جديدة مؤيدة للطبقة الرأسمالية الحاكمة.

وفي كل الأحوال فان نظرية اليمين لا يمكنها أن تفسر لماذا سجن وقتل الفاشيون أعدادا غفيرة من الطبقة العاملة عندما كانوا في السلطة ، بينما تركوا الطبقة الحاكمة والنظام الرأسمالي للملكية الخاصة سليما ودون مساس. وكذلك ترك الفاشيين أيضا لفئات معينة من الحركات الجماهيرية دون التعرض لها.

ولطالما وصفت الفاشية بالبربرية ، ولكنها كانت أيضا لها توجهات تاريخية لمساعدة أعضاء الطبقات الوسطى ، وكان لديها القدرة على التعبير عن مظالمهم. وفي هذا السياق كانت الاشتراكية تلعب دور «اشتراكية البرجوازية الصغيرة».

والفاشية في أبسط صورها ، مثلما تجسدها النظرية الجدلية على أنها« شكل محدد من الحركة الجماهيرية الرجعية» . ولكن حتى هذا التعريف البسيط له ثلاثة جوانب على الأقل.

رجعية الفاشية

إن الفاشية هي أيديولوجية رجعية. وكلمة 'رجعية' هنا لا تستخدم لتعني أن الفاشية سعت إلى العودة إلى الوراء في مسار التاريخ كله . فرجعية الفاشية تكمن في

تحديد طموحها لسحق الطبقة العاملة المنظمة ، وللقضاء على الإصلاحات التي فازت بها تلك الطبقة العاملة طوال عقود من النضال السلمي. فالفاشية لم تسع لأن تكون الراعى الأسطوري في المناطق الريفية ، ومن هنا كانت مشكلة عداء الطبقة العاملة للرأسمالية. ولذلك ، فبالنسبة ل «أوتو باورOtto Bauer» كانت الفاشية «دكتاتورية العصابات المسلحة».أما بالنسبة ل « لماكس هوركهايمر» «فكانت: النظام الشمولي الذى كان يختلف عن البرجوازية فقط لأنه فقد كل الموانع. « أما وجست ثالهيمر» فيقول :« كان الهدف الفاشي هو »«القضاء التام... على الحقوق الديمقراطية للعمال». ووصف «دانيال غيران» وظيفة «الفاشية في السلطة» على أنه «ترويض البروليتاريا». ثم «ليون تروتسكي قائلا:« 'عندما تتحول الدولة للفاشية... وهو ما يعني في المقام الأول وقبل كل شيء أن يتم إنشاء نظام للإدارة يخترق الجماهير فى العمق ، وهو نظام يعمل على إحباط التبلور المستقل للبروليتاريا.

وعلى الرغم من أنه سيكون من الصحيح القول بأن الفاشية كانت تستند على برنامج و تقاليد رجعية على حد سواء ، إلا أنه من الخطأ أن نرى الفاشية باعتبارها مجرد إيديولوجية (فكر)، وأنه لا جدوى من إضاعة الوقت في تحديد أى من تلك الأفكار كان فاشيا ، وأى منها لم يكن فاشيا. ولقد قامت الحركات الفاشية المختلفة بتبنى أفكار مختلفة جذريا فيما بينها. ففي ألمانيا ، تم تأييد الحزب النازي في أوقات مختلفة من قبل كل من البروتستانت والكاثوليك. بالرغم من أن الكتاب النازيين يختلفون عن مدى تأييدهم كفاشيين لأى من هذه الأديان ، أو تأييدهم لأي دين على الإطلاق. ونجد فى ايامنا هذه أن حركة لوبان في فرنسا اليوم مرتبطة ارتباطا وثيقا بـ«الكاثوليكية الرومانية». وعلى الرغم من هذا التناقض ، فالجبهة الوطنية FN لا تزال حزبا فاشيا ، لأنها تستخدم الأفكار المختلفة ولها مصالح الهدف منها

يمثل نفس الأهداف التى كانت لكل من موسوليني أو هتلر. وكلاهما (الجبهة الوطنية والفاشية) يعمل على تدمير حركة الطبقة العاملة المنظمة .

ولطالما اختلف العديد من الماركسيين حول تساؤل مفاده لماذا تحتاج الرأسمالية للقيام بمعالجة أمورها بطرق وحشية من هذا القبيل ؟ وسواء كان تفسير ذلك بأن صعود الفاشية سيجعل هناك ترابطا بين الدولة ورأس المال ، كما هو الحال في حجج سيلون Silone ، و«هيلفردينغ» و «بولوك» ، أو لسبب آخر مفاده مخاوف الرأسمالية من الثورة الاجتماعية ، أو من أزمة تسببها فئة حاكمة من جراء ممارستها للهيمنة.

وما يبدو مقبولا على الصعيد العالمي ، أنه وبالرغم من الأزمة السياسية والاقتصادية التى كان يمر بها النظام الرأسمالي ، إلا أن الفاشية تمكنت أن تنمو بسرعة في تلك الفترات . ، ففى فترة الأزمة في كل من إيطاليا وألمانيا ، و تعاقب الانتصارات والهزائم مع الطبقة العاملة ، كانت هى الفترة التى مكنت الفاشيين من النمو بهذه السرعة المذهلة .

ويمكن ملاحظة ذلك التأكيد على الارتباط بين الأزمة الرأسمالية وظهور الفاشية في تعريف «بيت الكسندرPete Alexander »:

تم بناء الفاشية تحت وطأة الأزمة الاجتماعية المدقعة. وهى توفر نظام سياسي قائم على القمع المنهجي وإبادة الطبقة العاملة ، حتى عندما كانت الظروف التى تمر بها المنظمات الأساسية للنقابات ، غير متناسبة مع الأرباح التى يحققها رأس المال.

الفاشية كحركة جماهيرية

عندما قامت الفاشية ببناء نفسها كقوة مستقلة ، كانت قادرة على صنع الوعود «الأكثر ثورية». وهذه هي الطريقة التى وصفت بها « كلارا زيتكين Klara Zetkin صعود الفاشية الإيطالية بقولها : « كانت الفاشيه ملجأ للمشردين من الناحية

السياسية ، والمعدمين اجتماعيا والواهمين. كما تحدثت غيولا ساسGyula Sas » عن ما أسمته ب «العبارات الثورية الفاشية» ، بينما شدد كل من « ماكس أدلر Max Adler» و« كارل رينر Karl Renner » على الدور الذى لعبه العاطلين عن العمل من الذين انضموا إلى الأحزاب الفاشية وبأعداد كبيرة.

وكانت الفاشية قادرة على سن معظم أهدافها الرجعية تحديدا بسبب هذا الدعم الشعبي. ففي الظروف العادية ،نجد أن «سلطة الطبقة الحاكمة » تكون كافية للحفاظ على السلام الاجتماعي. وتكون الأفكار السائدة في أي عصر هي أفكار الطبقة الحاكمة ، فهي مفاهيم مشتركة ، بمعنى أنه من الأفضل لك « احترام الأغنياء» ، كما أنه من الأفضل لك « ألا تقوم بالاحتجاج». هذا هو ما كان يعنيه غرامشي من مصطلح «الهيمنة» ، في إشارة إلى العمليات التي تحافظ الرأسمالية بها على نفسها ، وهى عادة ليست عمليات عن طريق الإكراه ، ولكن عن طريق الموافقة والإجماع .و في أوقات الأزمات الاقتصادية أو السياسية ، فإن الهيمنة وحدها لا تكفي. فعندما يبدأ غالبية الناس في التساؤل عن الطبقة الحاكمة ، فمن الأفضل إلا تكون الإجابة أن الطبقة الحاكمة هى «السلطة فقط». وهذا ما يفسر مدى أهمية الطبقة الرأسمالية والحركات المماثلة التابعة للفاشية. وبما أن الحزب الفاشي ، وأعضاء الطبقة الرأسمالية يتشاركون فى مشاعر الكراهية لحركة الطبقة العاملة ، فحتى في أوقات الأزمات ، تضع الفاشية فى اعتبارها أن أفضل وسيلة للخروج من الأزمة ، هو إيجاد أفضل الحلول التى ترضى الطبقة الرأسمالية. في حين أن « اليمين المتطرف» فيما قبل الفاشية ، كان يمكنه أن يهدد الطبقة العاملة المنظمة «فقط» عن طريق « السلطة الاجتماعية للطبقة الرأسمالية» ، أما الفاشية فكانت مدعومة بالقوة البدنية والمادية للأحزاب الجماهيرية التى كانت تساندها.

و خلافا لغيرها من القوى اليمينية ، كان للفاشية لغة ثورية ودعم جماهيري ، والتي أمدتها بالقوة الاجتماعية لتنفيذ أهدافها من خلال تطرفها الراديكالى.

وقد أوضح الكثير من الماركسيين الطابع الجماعي والجماهيرى للفاشية كحركة ، وذلك من حيث وجود صلة عضوية بين الفاشية والبرجوازية الصغيرة. وهكذا يربط «زيبوردى Zibordi »الفاشية بصغار التجار وأصحاب المحال التجارية على وجه التحديد ، في حين أن «كارل راديك Karl Radek »،مع بعض التحفظ ، يصف الفاشية على أنها « اشتراكية البرجوازية الصغيرة».

وكان اتجاه الدراسات الماركسية الأخيرة ، يعمل على تقييم هذه العلاقة تجريبيا (أي الصلة بين الفاشية وبين البرجوازية الصغيرة). وكانت هناك دراسات حديثة وهامة أظهرت ارتفاع نسبة صغار المنتجين ، والمديرين وأصحاب المتاجر ومثل هذه الطبقات داخل حزب النازيNSDAP ، ولكن من المستغرب أكثر ،أنهم أنفسهم كانوا متواجدين داخل الجبهة الوطنية في بريطانيا عام ١٩٧٠ .

والبرجوازية الصغيرة هى التى شكلت الفاشية ، بمعنى أن هذه الفئة قد تم تمثيلها بشكل كبير و لافت للنظر كأعضاء داخل الحزب الفاشي. وكانت الفاشية تعبر عن أفكار ومظالم أرباب العمل الصغار ، وأرباب العمل هؤلاء بدورهم وبانضمامهم إلى الحركات الفاشية ، ساهموا فى إعادة تشكيل الأحزاب الفاشية حسب خيالهم وتصورهم الخاص بهم. وهذه العلاقة تمثل مجموعة اقتصادية واحدة تمثل الجزء الأكبر من الشعب ، وإن لم تكن تمثل الشعب في مجملها . لذلك فلا يمكن القول أن كل فاشي هو برجوازي صغير ، أو العكس بأن كل أعضاء البرجوازية الصغيرة كانوا من الفاشيين ، أو بالأحرى أنه كانت هناك علاقة مزدوجة بين الإثنين.

ومن ناحية أخرى ، قامت الفاشية بتشكيل مزاج هذه المجموعة من صغار

البرجوازيين عن طريق طرح الأفكار والحجج التي تتواكب مع تجارب هذه الفئة من البرجوازية. ففي أوقات الأزمات، تصبح البرجوازية الصغيرة مهددة، وتصبح بدورها شرسة. ويمكن لصغار الملاك أن يصبحوا أكثر نشاطا وتنظيما، وعندما نشطوا فعلا قرروا الانضمام للأحزاب الفاشية في إيطاليا وألمانيا .

ووفقا ل« ليون تروتسكي» ، فقد كانت الفاشية تعبر عن «مظالم صغار الملاك» ، وعن من هم ليسوا ببعيد عن حالات الإفلاس ، وتقوم الفاشية بالتحدث لهذه الطبقة عن أبناءهم من الجامعيين الذين لا يجدون الوظائف، والحديث عن بناتهم وعدم تواجد المهور والخاطبين ، وترسخ فى عقيدتهم أن هذا [يتطلب المزيد النظام والضرب بيد من حديد].

ومن ناحية أخرى ، تشكلت الفاشية بسبب عدم قدرة هذه الفئة (البرجوازية) على تشكيل نفسها داخل تلك الفئة الحاكمة الجديدة. وقد كانت البرجوازية الصغيرة تأمل في استخدام الفاشية لتتقدم بنفسها إلى السلطة ، ولكنها كانت مصابة بالهلع خوفا من أن الإجراءات الطبقية الخاصة بها يمكن أن تشكل خطرا على السيادة الآمنة لرأس المال. وفي أوقات الأزمات ،أراد أرباب العمل الصغار التعبير عن غضبهم ضد الشركات الكبيرة ، ولكنهم لم يسعوا إلى مصادرة هذه الشركات ، بل كانوا يسعون للانضمام إليهم. ووفقا ل«دانيال غيران» وقوله: «إن الطبقات الوسطى لا يرغبون في القضاء على البرجوازية الكبيرة كطبقة. بل على العكس من ذلك ، فإنهم يودون أن يصبحوا أنفسهم من كبار البرجوازيين». 'ولهذا السبب ، أصر «تروتسكي » على أن البرجوازية الصغيرة لا يمكنها أن تقوم بدور الحاكم بنفسها.

والفاشية الألمانية ، مثلها مثل الفاشية الإيطالية ، صعدت إلى السلطة بامتطاء ظهور صغار البرجوازيين... لكن السلطة الفاشية كانت من أشدد الدكتاتوريات

قسوة المحتكرة لرأس المال. ولقد كان موسوليني على صواب، فالطبقات المتوسطة غير قادرة على رسم سياسة بشكل مستقل بها.

الفاشية كأيديولوجية وكحركة

إذا كانت الفاشية هي حركة لها شكل واحد وفي نفس الوقت مدعومة من خلال الجماهير والأهداف الرجعية ، فمن ثم يكون هناك تعارض في قلب الحركة. فعلى حد تعبير «كارل راديكKarl Radek » ،الذى قال : بأن قوة الفاشية بالتحديد هى التى تشكل الأساس لسقوطها«. فكون الفاشية هى حزب صغار البرجوازيين ، يعنى أنه كان لها جبهة هجوم واسعة ، ولكن كونها حزبا لصغار البرجوازيين ، فإن ذلك لم يكن ليمكنها من تنفيذ السياسة الرأسمالية الإيطالية دون أن يحدث تمرد في المعسكر الخاص بها.

«إن هذا التوتر كان ليحدث بشكل طبيعى حتى قبل أن تأتي الفاشية إلى السلطة ، من حيث حالة العداء بين هؤلاء الفاشيين من أنصار الرجعية الاجتماعية وأولئك الذين يدعمون الخطاب الاشتراكي للحركة الفاشية. ولذلك كانت هناك حاجة لوجود فكر ، والذي يساعد بدوره على اللحمة بين الجماهير مع الجوانب الرجعية للحركة ليصبحا جسدا واحدا.

وبعد أن وصلت الفاشية إلى السلطة ، كان التفاوت بين الفكر والحركة لا يزال عميقا وواضحا بشكل كبير. وكما قال «دانيال غيران» :« إن السلطة الفاشية لم تقم بهذا الغزو للوصول للسلطة من أجل مستشاريهم الماليين فقط ، بل أيضا لذاتهم أنفسهم. وبالتالي نشأت هناك توترات ، والتي يشير إليها « تولياتيTogliatti ، بين الحزب الفاشي والدولة الفاشية ، وبين الميليشيات الفاشية والجيش ، وبين الفاشية وكل من النقابات ، والمنظمات الصناعية والدولة.

وهذا التناقض بين الفكر والحركة يفسر جانبا من المبادىء النابليونية للفاشية بمعنى:

بقدر ما كانت الفاشية حركة جماهيرية، وتعطى وعودا بالحكم ضد المصالح الرأسمالية، بقدر ما أنها كانت حركة رجعية، فقد كانت تحكم ضد مصالح الطبقة التي يمثل أعضاءها الجزء الأكبر من حزبها «الحزب الفاشي». والنتيجة هي أن الفاشية قوضت قاعدة الطبقة الخاصة بها، ولكنها من ناحية أخرى كانت تلبى متطلبات رأس المال، وبالتالي وفرت نظام أكثر استقرارا من الحكم بشكل فاق توقعات بعض الماركسيين.

إن هذا التناقض بين الأهداف والحركة الفاشية هو ما يفسر لماذا أقدمت الفاشية كنظام على التوسع الإقليمي والحرب. وقال «ليون تروتسكي»: إن الفاشية كانت تحتاج «الأعداء الخارجيين» لأنه لم تتمكن من إرضاء آمال مؤيديها العاديين.

وفي الواقع، إذا كانت هناك بصيرة لرؤية أمر هام بالنسبة إلى النظرية الماركسية للفاشية، والذي يحوز على اهتمام من هم من غير الماركسيين أيضا، فإن ذلك يتمثل فى النقطة التالية: «أن الارتباط بين الأهداف الرجعية للفاشية والحركة الجماهيرية الشعبية كان ينطوي على توتر دائم أيضا».

البحث فى التعريف الماركسي

إن الثلاثة نقاط فى التعريف السابق هى مؤقتة وتحت الاختبار. وللقيام باختبار أي تفسير نظري لتقليد سياسي، فإن هذا يكمن في قدرة هذا التفسير على ربط «نموذج عام» بالتاريخ الفعلي لهذه الحركة لكى تصعد إلى السلطة، واقترح «ماركس» أن ينتقل التفسير من الشكل «المجرد» إلى الشكل «الملموس». هذا يدعم الناحية النظرية لتفسير «ليون تروتسكي» للفاشية من حيث «النوعية». فقد أكد

تروتسكي دائما على الطبيعة الخاصة والتاريخية للفاشية حيث يقول : « إن أهم قانون في النظرية الجدلية هو أن تكون الحقيقة ملموسة دائما.

إن جزءا من مستقبل النظرية الماركسية عن الفاشية يكمن في المصطلحات التحليلية المتعلقة بحركات سياسية معينة.ولقد كان هناك قدرٌ كبيرٌ من البحوث التجريبية من الماركسيين في دراستهم للفاشية الألمانية، ولكننا نحتاج الآن إلى مجموعة واسعة من التحقيق في الوقائع الخاصة بالحركات الفاشية وكذلك الأنظمة الفاشية، سواءًا عندما كانت تلك الحركات في أوج نجاحها أو عند فشلها . ولا يمكننا التحدث بعد عن مدى تأثير التاريخ الاقتصادي لهذه الفترة في صياغة وتشكيل الفاشية في ١٩٢٠ و ١٩٣٠ ، ولا أن نتحدث أيضا عن مدى تأثرها وتشكيلها عندما ظهرت رأسمالية الدولة. كما لا يمكننا الجزم ما إذا كانت الفاشية المعاصرة قد تأثرت أكثر بحاجتها على الإبقاء على التقاليد الفاشية القديمة، أو أنها ترى أنها بحاجه أكثر إلى التكيف، كما لا يمكن التكهن بتطلعات الطبقة المتوسطة الحالية والمختلفة حتما عن سابقتها، أو التعرف على المشاكل القديمة للرأسمالية.

وبعد أن يتم الانتهاء من أعمال الدراسة التي توصف بأنها أكثر تجريبية، فمن المرجح أن الماركسيين سوف يكونون قادرين على فهم نظري أكبر لهذه الأسئلة المهمة، والتي ستؤدي بدورها لتحسين فهمنا للمشاكل وبشكل أوسع أيضا. و لا يزال أمام الماركسيين الكثير ليتعلموه في دراستهم للفاشية، بخصوص دور الفكر، وطبيعة البرجوازية الصغيرة، وطبيعة الحركات الرجعية التي يعارضها الماركسيين.

إن القيمة الحقيقية للنموذج الذي أشرت إليه يكمن في أنه يقدم إجابة واضحة على الأسئلة التي فشلت الدراسة التقليدية للفاشية حتى الآن في الرد عليها .

والسؤال الذي يطرح نفسه هو «هل كانت الفاشية مجرد مظهر من مظاهر

الاضطراب النفسي السياسي؟ لا أعتقد ذلك.

وقد فشل العديد من « الشخصيات» السياسية على مر التاريخ ، كما أن الفاشية قد تشكلت في موطنها فى فترة متأخرة من الرأسمالية. فالفاشية ليست مجرد « تفكير مناسب من إحدى الشخصيات الاستبدادية» ، بل هى أكثر من ذلك كتقليد سياسي متميز. ونجد أن الفاشين متمسكون بهذا التقليد ، حتى عندما يكون تمسكهم هذا ضد مصالحهم. وهذا ما يفسر انشغال الفاشيين بإنكار الهولوكوست. ومن الناحية التكتيكية ، فإن تصرفهم هذا لا يؤدي إلا إلى العودة لمناقشة المحرقة التاريخية ، ولكن يجب أن يكون لدى الفاشيين حجة تفسر ما ارتكبوه من جرائم. وهم لا يستطيعون قبول الحقيقة بأن نظام هتلر كان القتلة ، لأن ذلك سيكون بمثابة إنكار لأنفسهم وإدانة لهم.

هل ينبغي البحث عن جوهر الفاشية في عالم الأفكار ، أو في الظروف التاريخية التي أدت لظهور تلك الفاشية؟ ومن وجهه نظرى أقول : إن أى منهما لن يكون كافيا لوحده. فالفاشية هي في المقام الأول شكل من أشكال التعبئة السياسية ، وشكل من العلاقة المميزة بين أيديولوجية معينة وشكل معين من الحركات الجماهيرية. وهذه العلاقة بين الفكر والحركة هي التي تمثل المفتاح لفهم الفاشية. وهذا لا يعني أن الحركات يجب أن تكون مدعومة جماهيريا من أجل أن تصنف على أنها فاشية - فليس هناك ما يدعو إلى القول بأن الأحزاب الفاشية الفاشلة هي أقل « فاشية» من تلك الأحزاب الفاشية الناجحة.

إن الحزب النازي الألماني لم يصبح فجأة «فاشيا» عندما حقق نجاحا في استطلاعات الرأي ، بل كان فاشيا بالفعل من قبل عام ١٩٣٠. و الذي ساعد على جعله فاشيا هكذا هو طموحه فى أن يصبح حزبا جماهيريا رجعيا. وقدم هتلر نفسه بأنه يطمح في أن يكون «مدمر الماركسية» ، وكان هذا الهدف هو الذي جعل منه

ومن حركته «فاشيين» ، وحتى قبل أن يصل الحزب إلى حجم كبير.

هل الفاشية هي أداة للرأسمالية والإمبريالية؟ نعم و لا. وقد وصف معظم الفاشيين أنفسهم دائما على أنهم «جزءا من طريق ثالث» ، يعارضون كل من الرأسمالية والاشتراكية بشكل متساو. ولقد رأوا أنفسهم ثوريين ، ولكن الفكر الفاشي قد تصرف لتحقيق مصالح واضحة لرأس المال ، وبالتالي فإن «موسوليني إيطاليا»

و«هتلر ألمانيا» ، كلاهما وصل إلى السلطة وذلك بدعم من المؤسسة السياسية.

و شهد كلا النظامين في السلطة ، زيادة في أرباح الرأسماليين ، والتي حققها الرأسماليون بدورهم من خلال الاستغلال المتزايد للعمال العاديين.

لقد اكتسبت الفاشية شعبية من خلال وعودها الثورية ، ولكن الفاشية تصرفت بطريقة رجعية في السلطة. في الواقع ، لم تكن النتائج الفاشية ذات أى مدلول ثورى له مغزى. وكانت الفاشية وما تزال أيديولوجية تهدف للقضاء على المظاهر الديمقراطية للديمقراطية البرجوازية. ولطالما عملت على انتزاع المكاسب الديمقراطية التي فازت بها أجيال من الديمقراطين والاشتراكيين و النقابات التجارية والحركات النسائية. هذا هو بالضبط الطابع الشامل للفاشية الذي مكنها من أن تلعب هذا الدور المدمر. ويصف «أدريان ليتلتون Adrian Lyttleton ، وهو مؤرخ للفاشية الإيطالية ، تلك التناقصات قائلا :

للوهلة الأولى ، ومن خلال البرنامج المتقدم للقادة السابقين للحركة الثورية الفاشية ، كان هؤلاء القادة على ما يبدو غير قادرين على اجتذاب المساندة الرأسمالية لجانبهم ، بل وبشكل أكثر صراحة ، كان يتم تثبيطهم. ولكن هذه العوامل ذاتها تعني أيضا الكثير، من حيث أنها كانت الوسيلة الوحيدة التي يمكن أن تؤدي إلى « حفر قناة القوى الرجعية إلى داخل المخيم الوطني»... ويمكن رؤيه الفاشية على أنها نتاج

المرحلة الانتقالية من «رأسمالية السوق» للمنتجين المستقلين، إلى الرأسمالية المنظمة الخاضعة لاحتكار القلة. ومما يدعو للسخرية وبشكل ملحوظ ، أنه في حين جاءت الفاشية كحركة سياسية أصلاً للتعبير عن التمرد ضد نشأة أى « قوى رأسمالية منظمة» إلا أن الفاشية كانت تقدم التبريرات النظرية لدعمها كنظام لتلك القوى.

قد تكون هذه العملية أقل من السخرية التى كان «ليتلتون» يحاول أن يوحي بها. فلم تكن الفاشية تعبر عن موقف غير شريف أو معارض للمنتجين المستقلين ، كما أنها كانت وفية لقاعدتها الطبقية. ولكن فشل الفاشية كان يكمن فى محاولاتها لتغيير المجتمع لصالح فئة رأسمالية صغيرة ، وهذا لا يعد فشلا للفكر ، وإنما هو انعكاس صادق لضعف اجتماعي حقيقي لتلك الطبقة البرجوازية الصغيرة في ظل الرأسمالية.

هل الأنظمة التي ينطبق عليها التعريف أعلاه ، إلى حد ما يمكن أن تسمى بالفاشية؟ ، وأنا أزعم أنها الأنظمة التى كانت فى إيطاليا وألمانيا فقط.

وجاء نظام الجنرال فرانكو في أسبانيا فى وقت قريب ، ولكن يبدو أنه قد فقد طابعه الجماهيرى ، بسبب انتصار الملكيون في الحرب الأهلية. و بالتأكيد أنه نظام حدد لنفسه مهمة معينة متمثلة فى سحق الاشتراكيين والحركة النقابية ، ولكنه كان قادرا على استخدام الطبقة الحاكمة الحالية وهياكل الدولة القائمة عند قيامه بذلك. واستندت حكومة الجنرال فرانكو على قوة الجيش ، وليس على الدعم الجماهيري لحزب شعبي.

وخارج أوروبا وأمريكا الشمالية ، فإنه من الصعب الحكم على الأحزاب التي كانت فاشية من التي لم تكن كذلك. وكانت هناك أنظمة ذات قومية متطرفة والتي كانت تحظى بتأييد جماهيرى شامل ، و «بيرون Peron » فى الأرجنتين مجرد مثال واحد من بين كثيرين.

إن مثل تلك القومية لمثل هذه الأنظمة في العالم الثالث ، حيث كان جمال عبد

الناصر فى مصر ، أو نهرو فى الهند ، كانت قوميات ذات طابع مختلف عن قومية الدول الإمبريالية. وأيا كانت ذرائع عبد الناصر ، إلا أن الدولة المصرية لم تكن أبدا قوة عالمية فى مكانة بريطانيا الإمبريالية ، أو فى مكانة الولايات المتحدة اليوم. وكما قال لينين ، في عام ١٩١٦ ، بأن الحركات الوطنية القائمة في تلك البلدان التي هي ضحايا للإمبريالية أو الاستعمار لها طابع معادي للإمبريالية يوصف أنه « موضوعى» . وأنهم «بموضوعية أيضا ... يهاجمون رأس المال».

و تاريخيا ،فقد نمت الفاشية أسرع في تلك الجماعات داخل المجتمعات الأوروبية التي تتمتع بنتائج إيجابية للحكام من تجربة الاستعمار. فالفاشية تناسب حكام الإمبراطورية ، وليس المحكومين.

ويمكن النظر إلى الاختلافات بين الدولة الفاشية وأي شكل من الأشكال المحافظة من الحكم الاستبدادي من خلال النظر إلى أمثلة محددة لهذه الأخيرة ، وهو الشكل الأكثر شيوعا من الأنظمة الحالية. فعلى سبيل المثال ، فتركيا اليوم تخضع إلى حد كبير للطبقة العسكرية. حيث أن أعضاء الطبقة الحاكمة الاقتصادية فى تركيا يتعاونون مع الشرطة السرية والأحزاب الفاشية ، أمثال «حزب الحركة القومية MHP» وBBP . والواقع وبين خريف وشتاء عام ١٩٩٦ ، فإن العديد من الاتصالات بين هذه الجماعات قد تكشفت ، في أعقاب فضيحة سوسورلوك Susurluk ، والتى عثر فيها على وزير في الحكومة التركية ميتا في سيارة أحد الفاشيين المعروفين ، والذي كان هاربا من الشرطة لدوره في سلسلة من الاغتيالات السياسية. وتشرف الشرطة السرية التركية عن كثب على اجتماعات الاشتراكيين والنقابيين ، وتوقف في كثير من الأحيان تلك الاجتماعات أو تحظرها. وفي ربيع عام ١٩٩٧ ، كان الجيش قويا بما يكفي لحل حزب الرفاة الإسلامي ، على الرغم من أنه

كان آنذاك يعد أكبر تمثيل في البرلمان التركي. وكانت الحكومة التركية بشكل واضح استبدادية وغير ديمقراطية: فهي تحكم باسم الأيديولوجية القومية المستمدة من «كمال أتاتورك»، مؤسس الدولة التركية، لكنها ليست فاشية. وتكمن قوة الحكومة في دعم الجيش والطبقة الرأسمالية لها، وليس عن طريق دعمها من قوة جماعية من خارج البرلمان. ولأن أصولها أكثر تقليدية، وبالتالي فإن الدولة التركية قادرة على الحكم مع درجة من الرضا. فالانتخابات ما زالت تعقد، في حين أن تبقى حركة الطبقة العاملة حرة نسبيا فى التقاتل من أجل الإصلاحات. و في الواقع إذا كانت تركيا فاشية، إذن فما هى جدوى الأحزاب الفاشية، التي تتواجد وتنظم نفسها ضد النظام الموجود؟

وكانت هناك أحزاب من خارج مراكز الرأسمالية العالمية والتي اتخذت الكثير من الأفكار الفاشية، ولكن معظمها قد يكون له طابع مختلف وأكثر مناهضة للإمبريالية. وقد يكون أحد الأمثلة على ذلك حزب (مصر الفتاة) في ١٩٣٠ الذي وبسبب انتماءاته الأيديولوجية للفاشية، يتم ذكره في بعض الأحيان من قبل الماركسيين والفاشيين، على الرغم من أنه في الواقع كان صريحا للغاية، وعلاقته مع الدولة المصرية غير فاشية.

وهذا لا يعني أنه لم تكن هناك أي حركات فاشية في العالم الثالث. فقد استخدمت آر إس إسRSS الهندية (وهى المنظمة الوطنية للمتطوعين و حب الوطن...) زي شبه عسكري للقوات وقامت بتسليح فرق المتطوعين منذ ١٩٢٠.

وخلال عام ١٩٣٠، استعارت تلك المنظمة الإيديولوجية القومية والعرقية من ألمانيا النازية، لكنها لم تحتضن جميع جوانب الفكر الفاشي. وسيكون أكثر دقة أن نقول إن آر إس إس تعمل على تكييف الفكر الفاشي ليتناسب مع الظروف الهندية. كما قامت تلك الحركة في عام ١٩٩٠، باستخدام أعمال الشغب الطائفية والمواكب

كشكل من أشكال السياسة الشعبية الموجهة ضد الدولة ، ولهذا السبب ، يمكن وصف آر إس إس كحركة شعبية رجعية وفاشية.

وكذلك ال«جولدشيرت Goldshirts (أو القمصان الذهبية) في المكسيك ، و« جرين شيرتGreenshirts (أو القمصان الخضراء) فى البرازيل في عام ١٩٣٠ ،و « جراى وولف(أو الذئاب الرمادية) وهو حزب الحركة القوميةMHP في تركيا اليوم ، كلها تتناسب أيضا مع التعريف الذى اقترحته.

وأنا أعرف أن هناك من الماركسيين من لا يتفقون مع حجتي في هذه المرحلة ، والذي يوحي بأنني أبالغ فى تقديري لما ينظرون إليه على أنها «حركات فاشية» فعلا تواجدت مؤخرا في منطقة الشرق الأوسط وأمريكا الجنوبية ومناطق أخرى. ويبدو لي ، مع ذلك ، أنه إذا كان للفاشية معنى معين ، فإنه مصطلح يجب أن يخضع للتعريف. والأسلوب الأول الذى استخدمته فى تحليلاتى للفاشية ، كان من حيث طابعها الطبقي ، ومن حيث العلاقة بين التقاليد المعروفة في التفكير الفاشي ، والاستخدامات التي نفذت فيها تلك الأفكار الفاشية.

وعلى أساس هذه النظرية ، أخذت حالة الإمبراطورية البريطانية ، التى كانت من أكبر الأنظمة الاستعمارية ، ولكنها مع ذلك لم تكن في الواقع فاشية. وأود أن أقترح أيضا أن روسيا الستالينية ، على الرغم من معسكرات الاعتقال ، لم تكن فاشية أيضا.

ومن ناحية أخرى ، فقد جادلت بأن الحركات الفاشية المعاصرة ، تشمل كل من الجبهة الوطنية في فرنساFN ، والأمم الآرية في أمريكا ، والتحالف الوطنى في إيطاليا AN ، وحاولت أن أوضح ما يتناسب مع كل نموذج مستخدم من تلك النماذج. ويبدو لي من المهم أن يتعامل الماركسيون والمعاديون للفاشية والمؤرخون

من كل صوب وحدب ، مع مصطلح «الفاشية» بحذر ، ، والاحتفاظ به ليتم إطلاقه فقط على من يستحق هذا الاسم. وأن أي طريقة بديلة سوف تفرغ المعنى من مضمونه. لأن معاملة جميع الأنظمة الاستبدادية على أنه فاشية، بصرف النظر عن شكلها أو وظيفتها ، يمثل تراجعا عن الموقف النظري الذى تحدث عنه كارل كورتش ، و أقصى اليسار ثم الحزب الشيوعي الألماني ، في ١٩٢٠. إن هذه النظرية يبدو لي أنه قد أثبتت خطئها في الممارسة العملية ، في عام ١٩٣٣.

لأن وصف جميع القوى الرجعية كما لو كانت كلها متشابهه ، وكذلك تسريح مناهضى الفاشية ، ومنعهم من القيام بأى ممارسات ،وكلها عوامل نجمت من نظرية اليسار والتى ساعدت هتلر للوصول إلى السلطة بشكل فعال.

و بالتأكيد ، لم يكن الحزب الشيوعى الألمانىKPD هو المخطئ فقط بنظريته اليسارية ، فلقد ثبت خطأ نظرية اليمين أيضا ، ولكن لا أرى أي سبب لماذا ينبغي على الاشتراكيين أن ينسوا الدروس المستفادة والتى سالت بسببها الدماء.

وأخيرا ، فهل وصلت الفاشية إلى نهايتها؟ لا أعتقد ذلك . فالفاشية سمة متكررة للمجتمع الرأسمالي : فما دام هناك أزمات اقتصادية وبطالة ، سيكون هناك «يأس سياسي» ، وما دام هناك عنصرية منظمة ، ستكون هناك فاشية. وعلاوة على ذلك ، فإن نجاح «لوبان» و«هايدر» يدل على أن الفاشية تعود مرة أخرى لتمثل تهديدا. ولم يعد يكفي تعريف الفاشية فقط ، بل هناك حاجة أيضا لنظرية واضحة تعطي اقتراحات عملية عن الطريقة التي يمكن بها معارضة الفاشية.

(يورج هايدر سياسي نمساوي ، وصف من قبل منتقديه بأنه «فاشي مترف» ، وهو يأمل في الحصول على المركز الثاني الانتخابات العامة ،...).

***

كيف يمكن وقف الفاشية اليوم

بدأ هذا الكتاب بالقول : إن الفاشية قد انتقلت إلي صلب الجدل السياسي - ولم تعد مجرد مشكلة تاريخية ولكنها أصبحت مرة أخرى تمثل جزءا من المشهد السياسي الأوروبي. ويترتب على ذلك أن يكون أهم سبب ودافع لفهم الفاشية هو من أجل معارضتها. وفى هذا القسم الأخير من الكتاب ، هناك بعض المقترحات الاستراتيجية التي قد تساعد على التغلب على تلك الفاشية أو إضعافها. فإذا كان من المقبول القول بأن الفاشية هي حركة جماهيرية حيوية أو ديناميكية ، والتى تعبر عن مظالم الناس العاديين لصالح إيديولوجية مختلفة لديها و مصالح خاصة بها تختلف مع مصالح هؤلاء الجماهير ، فإنه يستتبع ذلك الاستنتاج بأنه يمكن دائما وقف تلك الفاشية.

وبالنظر إلى أن هناك بالفعل إمكانية لفصل الناس الذين يتعاطفون مع الفاشية كأيديولوجية عمن يتعامل معها إيمانا منه بممارساتها كأسلوب فاشي ، حيث أن عملية الفصل بين هذين النوعين يمكنها أن تكون أكثر فعالية. وهذا هو ما حاولت الجبهة الشعبية القيام به ولكنها فشلت فى النهاية .

و السبيل الوحيد لإخراج العمال وصغار الملاك من الفاشية يكون من خلال توجيه النداء لهم لوضع حلول مختلفة جذريا للإجابة على سؤال ما الذي ينبغي القيام به.

وكما قلت سابقا ، فإن معظم النظريات الماركسية المقنعة عن الفاشية هى التى عملت على صياغة تلك الفاشية عندما بلغت ذروة نفوذها في عام ١٩٣٠ . ووصل المنشقون من الماركسيين إلى فهم دقيق للفاشية ، والأكثر من ذلك أن نظرياتهم كانت تشير إلى الكيفية التي يمكن بها معارضة الفاشية. وأكد عدد من المفكرين الماركسيين ، بما في ذلك «انجيلو تاسكا Angelo Tasca ،و ماكس سيدويتز

Max Seydewitz ،و « انطونيو غرامشيAntonio Gramsci ، و«اجنازيو سيلون Ignazio Silone ، على الفكرة القائلة بأن وحدة الطبقة العاملة ، والجبهة المتحدة ، كانتا ضروريتان لوقف الفاشية.

وكان أعظم بطل فى هذا التكتيك هو « ليون تروتسكيLeon Trotsky » ، والذي جادل بأن الحزب الاشتراكي الديمقراطي فى ألمانيا (SPD) والحزب الشيوعي الألمانى (KPD) ينبغي على كلاهما أن يتحدا حول شعارات دفاعية لحماية معاقل الطبقة العاملة.

ويوسع تروتسكي من مفهومه للجبهة المتحدة على حساب أساليب الأممية الشيوعية. وخلال الفترة ١٩٢٨-١٩٣٤ ، قالت جماعات مثل الحزب الشيوعى KPD بأنه ليست هناك حاجة للوحدة. وذلك لأن الديمقراطية الاجتماعية هى حليف طبيعي للفاشية ، وأن الفاشية نفسها لا يمكن أن تأمل في تحقيق الاستقرار للرأسمالية في عصر كثرت به الأزمات. وكانت التحالفات المسموح بها ذلك الوقت في مناهضتها للفاشية تتمثل فى بعض الأفراد من الحزب الاشتراكي الديمقراطيSPD ، وكان ذلك يتم من خلال العمل في الهيئات التى تم إنشاءها تحت توجهات الحزب الشيوعى KPD. ووصفوا هذا التكتيك باسم «الجبهة المتحدة الثورية من أسفل».

ومع ذلك، ومن عام ١٩٣٥ فصاعدا ، جادلت الجماعات الشيوعية بعكس ما كانت تقترحه هى نفسها في السابق. فقد زعموا أن الفاشية كانت قوية وفي صعود متزايد وسريع الخطى ، وأن السبيل الوحيد لكسب تأييد الناس بعيدا عن تلك الفاشية كان بضم مطالب الطبقة العاملة إلى تحالف أوسع مع أعضاء الطبقة المتوسطة والطبقات الحاكمة المعادية للفاشية. وهذا يعني «تحالف سياسي» ليس فقط مع الاشتراكيين ، ولكن أيضا مع الليبراليين والمتشددين ومع المحافظين في

نهاية المطاف. إن هذا التكتيك أصبح معروفا باسم «الجبهة الشعبية».

ويختلف مفهوم تروتسكي عن «الجبهة المتحدة» بشكل جذري عن البدائل المقترحة لها من الآخرين . فإن أسلوب الجبهة المتحدة يختلف عن أسلوب «الجبهة المتحدة من الأسفل » ، من ناحية أن الجبهة المتحدة ولدت كتحالف ، ليس فقط مع أفراد من الأحزاب الاشتراكية ، ولكن أيضا مع أعضاء قياديين والجماعات داخل المنظمات الإصلاحية. والجبهة المتحدة تختلف عن الجبهة الشعبية ، كون الجبهه المتحدة تمثل تحالفا محدودا ، تهيمن عليها السياسة الاشتراكية ، واحتفظ كل من الحزبين داخلها بالحق في الاختلاف. وأهم فرق رآه تروتسكي فى دفاع الاشتراكية الموحدة ضد الفاشية ، أنه كان بمثابة وسيلة لتحول الاشتراكيين من «موقف دفاعي» إلى موقف آخر «هجومى» . ومن شأن نجاح الديمقراطية الدفاعية للطبقة العاملة تسهيل الاستيلاء على مراكز نضالية ناجحة ضد الرأسمالية : « إن تحطيم الفاشية... يعني تقدم مباشر لثورة اجتماعية».

وفي حال قبول الجبهة المتحدة باعتبارها أفضل استراتيجية عامة في الحرب ضد الفاشية ، فإنه ينبغي الاعتراف بأن هذه الاستراتيجية الفردية التى تدخل ضمن إطار «وحدة الطبقة العاملة» ، لا تزال إستراتيجية تتطلب توظيف مجموعة متنوعة من الأساليب التي يمكن تطبيقها. بمعنى أن هذا التوظيف قد يتطلب مزيج من الأساليب المختلفة من خلال التعرف على طبيعة تلك الحركة الفاشية وكيفية محاربتها.

وحيث إن الفاشية تسعى بالفعل للسيطرة على الشوارع ، فإن أهم شيء يمكن أن نفعله لمواجهة الفاشيين ، هو فضح أعمال العنف البشعة المتأصلة في صميم حركتهم. وبما أن الجماعات الفاشية صغيرة ومعزولة وتتميز بالمشاحنات فيما بينها أيضا ، فإنه سيكون من الخطأ بالنسبة للماركسيين والديمقراطيين أو الاشتراكيين

تكريس طاقاتهم كلها فى المطاردة المستمرة للقلة القليلة المتبقية من الفاشيين ، ولكن بدلا من ذلك يصبح أهم شيء يمكن عمله بهذا الشأن هو التحضير. بمعنى أنه ينبغي مكافحة الفاشيين عن طريق الإعداد الجيد لفضح خططهم الفاشية ، والعمل على تثقيف الأجيال الجديدة للكشف عن تلك القوى في المجتمع من التي تشجع على العنصرية وتساعد على النمو الفاشى.

إن تعرية الفاشية وتثقيف الأجيال عن حقيقتها يعتبر حجر الزاوية فى مهام مناهضى الفاشية ، ولكن هذه الأساليب تحتاج أن يتم فهمها أولا و بشكل صحيح. فالفاشية تصبح خطيرة فقط عندما تصبح عقيدة أيديولوجية لمجموعه من الناس. وعلاوة على ذلك ، فإن معظم المنظمات الفاشية لا تنشر رسالة من النازية الكلاسيكية لعامة الناس ، لأن مثل هذه الأفكار موجودة في صلب الفاشية ، ولكنها للتداول الداخلى فقط. ولأن الفاشيين يتشكلون فى صورة القوميين أو العنصريين -- فبالتالي فينبغى على مناهضى الفاشية ألا يقوموا باستعراض تلك الفاشية ببساطة على وضعها الحالى ،بل يجب عليهم أن يستبقوا هذا الوضع والانتشار على نطاق أوسع فى بث رسالتهم المناهضة للعنصرية. وعند القيام بذلك ، ينبغي على مناهضى الفاشية أن يعترفوا أيضا بأن هناك العديد من المظاهر في مجتمعنا والتي تشجع على العنصرية وتساعد على ازدهارها. ففي بريطانيا على سبيل المثال ، تتجسد تلك المظاهر في الصحافة الشعبية ، وضوابط الهجرة ، وتركة الإمبراطورية البريطانية ، وسلوك الشرطة ولغة السياسيين المنتخبين. ويصبح الأمر أكثر صعوبة عند محاولة مكافحة أفكار القوميين البريطانيين ، لأنه سيتحتم التعامل مع «العنصرية المؤسسية »، ولكنها فى النهاية مازالت مهمة يتحتم القيام بها.

والترياق الأكثر فعالية ووضوحا فى مناهضة العنصرية هو «سياسة الطبقة».

فعندما يشعر العمال في النقابات العمالية بأنهم واثقون من أنفسهم وأقوياء ، تصبح الفاشية قوة هامشية ، بمعنى أن تلك الفاشية قد نمت في الفترات التي أجبرت فيها بالفعل نقابات العمال والاشتراكيين على اتخاذ موقف دفاعي.

وظهرت الفاشية لأول مرة من جراء هزيمة الحركات الثورية في إيطاليا وألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى. وبالمثل وفي عام ١٩٨٠ كانت متواجدة خلال الفترة التي عانت فيها الطبقة العاملة الصناعية من النكسات السياسية ، وبدأت الفاشية والعنصرية فى كسب أرضية لها في أوروبا. حتى في الفترات الدفاعية من هذا القبيل ، فمن المحتمل ازدهار القوة الفاشية مرة أخرى. وكان هذا هو بيت القصيد من تركيز تروتسكي على «الجبهة المتحدة».

و من أجل منع ظهور الفاشية ، يصبح من المناسب للاشتراكيين الاتحاد مع أى قوات تبدى تعاطفا معها. ويجب على مناهضى الفاشية أن يقوموا بطرح مطالب إيجابية لصالح الطبقة العاملة. و إذا لم ينجح مناهضى الفاشية فى استخدام «لغة الطبقة» ضد رأس المال ، فهم بذلك لن يتمكنوا من إقناع الطبقة العاملة أو هؤلاء الناس من الطبقة المتوسطة والذين هم حقا ساخطون على العالم الذي يعيشون فيه.

وقد تمثلت أقل استجابة فعالة فى مواجهه ظهور الفاشية في محاولة «سرقة ملابس الفاشيين». فكما سبق أن ذكرت ، ففي ألمانيا وفرنسا ، فقد استجاب أحزاب «يسار الوسط» و«يمين الوسط» لنمو الأحزاب الفاشية من خلال تبني السياسات العنصرية الخاصة بالفاشية نفسها. وكانت أحزاب الوسط حينها تأمل أنه وبتصرفها هذا ، ستنجح فى تهميش الفاشية ، ولكن على العكس ، فقد ساهم تصرفهم هذا فى إضفاء الطابع المؤسسي على العنصرية. وتصف « نونا ماير Nonna Mayer » الآثار الناجمة عن هذا الجبن السياسي للاحزاب الرئيسية كما يلى :

لقد استعارت كل من الحكومات اليمينية واليسارية فى فرنسا سياسات معينة من خطابات لوبان السياسية ، وذلك من خلال تنفيذها لسياسات أكثر صرامة بشأن قوانين الهجرة. ومع ذلك ، فقد أثبتت هذه الاستراتيجية أن لها نتائج عكسية... فلا طرد المهاجرين غير الشرعيين عبر طائرات مستأجرة ، التي تنفذها الحكومات اليمينية واليسارية ، ولا اعتماد القوانين المقيدة للدخول الأجانب في فرنسا ، ولا إصلاح قانون الجنسية في عام ١٩٩٣ أوقف من تقدم حزب الجبهة الوطنية. بل على العكس من ذلك ، فإن هذه الأعمال عززت فقط من نشر الأفكار الشرعية لتلك الحكومات.

كما يحلو ل «لوبان» القول أن سياساته على المدى الطويل قد تجلب لهم مؤيدين أكثر من الذين يفضلون « النسخة الأصلية» (وهو يعنى بذلك حزبه)عما أسماه بـ«النسخة المقلدة».

كما أنه من المضلل القيام بمواجهة العنصرية عن طريق استخدام لغة ليبرالية عالمية. وهذا هو الخطأ الذي وقعت فيه فرنسا ، حيث أن اللغة السائدة لمعارضي لوبان فى الآونة الأخيرة تتخذ شعار استغاثة من العنصرية يقول «لا تلمس زميلي».

والفاشية التى أجادل بشأنها هنا ، هى شكل حقيقي « لفكر الأزمة» ، فإن تلك الفاشية عملت على حشد الناس الذين كانوا يشعرون بالغضب والنفور بالفعل - ولا يوجد أي مغزى من القول حينها ببساطة «أن العنصرية أمر سيء»- ، فإن هذا الكلام لن يكون مقنعا لهؤلاء الناس وهم فى تلك الحالة من الغضب.

وعلى حد تعبير «كولن سباركس» مرة أخرى ،بأن العنصرية هي استجابة لمشاكل حقيقية ، وبالتالى فيجب مكافحة تلك العنصرية من خلال إعطاء حلول بديلة لهذه المشاكل... والقيام « بدعاية أخلاقية » ضد العنصرية. لذلك يجب إيجاد مجموعة من الأفكار قادرة على تحدى قواعد الدعاية للعنصرية ، وتوفير بديل يمكنه أن يقنع الناس

بالتخلي عن العنصرية مرة أخرى ، و كذلك إيجاد طرق أكثر فعالية للتفكير.

إن مكافحة الفاشية تتطلب الذهاب إلى المناطق التي يبدو فيها الفاشيين أقوى ، وذلك لكسب تأييد الناس ، والتوضيح لهم فكرة أن الحلول العنصرية ماهى إلا مجرد أكاذيب. وإذا كان الفاشيين يضعون اللوم بسبب البطالة المتفشية على الهجرة ، لذلك يستوجب ذلك من مناهضى الفاشية أن يقوموا بالاستجابة من خلال إظهار أن البطالة هي نتاج أزمة الرأسمالية ، وليس بسبب الهجرة. وأن الحل لمشكلة البطالة ليس بالتخلص من المهاجرين ، ولكن من خلال التخلص من النظام الاقتصادي الذي لا يسبب إلا البؤس.

وفي بعض الأحيان ، يحاول الفاشيين التعبير عن معتقداتهم من خلال الهيئات الديمقراطية ، وخاصة الاتحادات الطلابية والنقابات العمالية. وعندما يفعلون ذلك ، ينبغي أن يصر مناهضى الفاشية على عدم تقديم منبرا لهم. حيث إن الفاشيين يعارضون حرية التعبير التى يقوم بها السود واليهود والحركة النسائية والاشتراكيين والنقابيين ، والمثليات والمثليون جنسيا ، ولذلك ، فعندما يتكلم الفاشيون ، فإنهم يشجعون على العنف العنصري ، مما يشكل خطرا على الجميع ، والاستراتيجية الأكثر فعالية تجاه هذا الأمر ، تمثل فى الإصرار على ألا يجوز سماع هؤلاء الفاشيين : «فهناك علاقة بين ما يقولونه وما يفعلونه». كما أن سياسة عدم إتاحة منصة أو منبر يستغله هؤلاء الفاشيون لا يعني أنه يجب إخفاء كتبهم الفاشية أو يتم تدميرها : ويجب بالطبع أن تكون هذه الكتب الفاشية متاحة لدراسة من قبل غير الفاشيين. ما يعني أننا يجب أن نعامل الأحزاب الفاشية على عكس غيرها من أشكال التنظيم السياسي. فالفاشية وحشية وغير ديمقراطية ، وهى أيضا تعمل كفكر يوفر حلول بسيطة وحشية مخادعة لمشاكل حقيقية ، ولهذه الأسباب يجب أن يتم الحكم ببطلانها. فالفاشية ليست

مجرد فكر سياسي ، بل هى عدو للحياة الديمقراطية.

وفي الحالات التي تمثل فيها الفاشية خطرا «ماديا كبيرا» ، فسوف يتحتم حينها على مناهضى الفاشية الدفاع عن أنفسهم. فالفاشية بطبيعتها عقيدة العنف ، وهى تجند أنصار جدد على أساس من التكريس للعنف الذكوري من قبل أنصارها الذين تقدم لهم التشويق من خلال قيامهم بالاستمتاع من خلال الاعتداءات الجسدية.

وتعيش المنظمات الفاشية على نظام غذائي ثابت من المسيرات والمارشات العسكرية. وفي « مين كامبف Mein Kampf ، أكد هتلر على أهمية مسيرات الشوارع فى الدعاية الفاشية قائلا : إن الرجل الفاشى عندما يخرج من ورشته الصغيرة أو مصنعه ، والذي يشعر بأنه ضئيل جدا ، ثم يخطو أولى خطواته في لقاء جماعي للفاشية ، والآلاف والآلاف من الناس من حوله من الذين يشاركونه نفس الآراء ، وعندما يهتف ثلاثة أو أربعة آلاف آخرين بشكل يثير الحماس... فهذا الرجل الذي يدخل هذا اللقاء ، سيغادر دون أدنى شك وهو أكثر ثقة بقوته الداخلية : ويشعر أنه أصبح جزء من هذا المجتمع على حد قوله.

ولأن المسيرات الحاشدة والترهيب الجسدي هامة جدا للفاشية ، فيترتب على ذلك معارضة تلك المسيرات من جهه مناهضى الفاشية ، وذلك من خلال منع خصومهم من القيام بتلك المسيرات. واقترح هتلر نفسه أن تلك المسيرات هى أحد السبل المميزة للحركة الفاشية والكلام له: شيء واحد يمكنه أن يوقف حركتنا فقط – وهو أن يفهم خصومنا مبادئ حركتنا ، ولو حدث ذلك ، فسيتمكنون ومن منذ اليوم الأول ، من تحطيم نواة حركتنا الجديدة وبوحشية بالغة.

وهذه الصراعات العسكرية ، يجب أن تكون مفهومة بشكل صحيح. فبالنسبة للفاشيين ، فالعنف هو حالة من السعادة تتناسب مع نظرتهم إلى العالم ، حيث أنهم

يفهمون الحرب والكفاح المسلح كحالة طبيعية للإنسان. أما مناهضي الفاشية ، فالعنف ليس جزءا من وجهة نظرهم عن العالم ، وهم لا يسعون لخلق مجتمع حيث يكون العنف شيئا طبيعيا أو مألوفا ، وأن العنف ليس شيئا يمكن لمناهضي الفاشية أن يمجدوه. ولهذه الأسباب ، فالمواجهة الفعلية ضد الفاشية يجب أن تتضمن إشراك أعداد كبيرة ، ممن لا يتسمون بالعنف في المقام الأول ، كما ينبغي أن تضم أعدادا أكبر من المشاركين ، وذلك من أجل بناء كتلة معارضة حقيقية.

إن عمليات الإحياء الأخيرة للفاشية في أوروبا تتيح أيضا أمثلة كثيرة من العمل المناهض للفاشية. حيث كانت تلك العمليات تنطوي على حملات ومناظرات جماهيرية مع قيادات متطرفة ، وكانت النتيجة تكلل في كثير من الأحيان بالنجاح.

وفي بريطانيا عام ١٩٧٠ ، بدت الفاشية في صعود. وحصلت الجبهة الوطنية NF على ١١٩٠٠٠ صوتا في انتخابات عام ١٩٧٦ فى أكبر انتخابات مجلس لندن ، وهو يمثل ما يقرب من ربع مليون صوت على الصعيد الوطني. وكان لدى الجبهة الوطنية الأموال والموارد اللازمة لتوزيع ٥ مليون من المنشورات في السنة. وحذر منتقدون من أن الجبهة الوطنية يمكن أن تحل محل الليبراليين و هو الحزب الرئيسي الثالث فى بريطانيا. وهناك عدد من المجموعات والمنظمات التى تحاول مكافحة الجبهة الوطنية ، بما في ذلك معهد العلاقات العرقية ، والحزب الشيوعي ، والحملة ضد العنصرية والفاشية ومجلة «سيرش لايت».

وكان أنجح هذه المنظمات المناهضة للفاشية منظمة «روك لمناهضة العنصرية» أو الصخرة لمناهضة الفاشية (RAR) ، ورابطة مكافحة النازية (ANL).

ولقد تأسست رابطة مكافحة النازية بوصفها الجبهة المتحدة للأورثوذكس ، وضمت أعضاء من حزب العمال الاشتراكي ونواب حزب العمال ، فضلا عن

بعض السود والنقابيين. بحلول منتصف عام ١٩٧٩ ، وزع على الأقل ٩ مليون من المنشورات الخاصة برابطة مكافحة النازية ، وبيعت ٧٥٠٠٠٠ من الشارات. وشهدت إثنتان من الكرنفالات الضخمة التى أقامتها أكثر من مئة الف شخص وهم يتظاهرون ضد العنصرية.

و في عام ١٩٣٠ ، اضطر الفاشيون لاتخاذ موقف دفاعي . وفي عام ١٩٧٩ وفى الانتخابات العامة ، تلقت رابطة مكافحة النازية ١,٣ في المائة فقط من الأصوات. وساهمت رابطة مكافحة النازية على نطاق واسع فى هزيمة الجبهة الوطنية ، ومع أنها لم تكن العامل الوحيد فى تلك الهزيمة للجبهة الوطنية ، إلا أنها لعبت دورا هاما للغاية.

وفي ألمانيا ، تم صعود الحزب الجمهورى الألمانى الفاشي (REP) ولكن قامت حركة احتجاجات واسعة بالتصدى له. وفي عام ١٩٨٩ ، حقق الحزب الجمهورى نجاحات باهرة في الانتخابات التي جرت في برلين الغربية وفرانكفورت ، وحصل على مليونين من الأصوات في تلك الانتخابات التي جرت ذلك العام في أوروبا ، وهو ما يمثل في المتوسط نحو ٧ في المائة من إجمالى الأصوات. وفي وقت متأخر من عام ١٩٩١ وعام ١٩٩٢ ، كان الحزب الجمهورى لا يزال ينمو ، وخصوصا في ألمانيا الشرقية. ويمكن ملاحظة الثقة التى تحلت بها الأحزاب الفاشية الألمانية ذلك من خلال الأعداد الكبيرة التي شاركت في الهجمات العنصرية في مدينتي «هويرسويردا» Hoyerswerda في عام ١٩٩١ ، و«روستوك» في آب / أغسطس ١٩٩٢ . ومع ذلك ، جلبت هذه الهجمات الفاشية ردود فعل واسعة النطاق. وكانت هناك صلوات على ضوء الشموع ضخمة لضحايا جرائم القتل الفاشى . ففي ميونيخ ، انضم ٣٠٠،٠٠٠ شخص في الاحتجاجات ، بينما في هامبورغ وفرانكفورت وبرلين ، كان هناك عدد أكثر من ذلك ممن شاركوا فى الاحتجاجات.

وتم عمل تشكيل من التحالفات العاملة في كل مدينة من المدينتين السابقتين من النقابيين والشيوعيين السابقين في رابطة ضحايا النظام النازي، ومن الاستقلاليين، وأعضاء « لينكسترك Linksruck (وهم مجموعة من أتباع تروتسكي في ألمانيا، الذين كانوا تابعين لتيار الاشتراكية الدولية الألمانية)، وكذلك الجناح الأيسر من شباب الاشتراكيين. واستطاع اليسار الألماني من منع الفاشيين من عمل المسيرات، أو حتى عقد الاجتماعات.

وبحلول شتاء ١٩٩٣-١٩٩٤ كان الحزب الجمهورى الألمانى والأحزاب الفاشية الأخرى في أزمة محدقة، فعلى الرغم من نموهما بشكل كبير منذ عام ١٩٩٦، إلا أن الحزب الوطني الديمقراطي الألمانى قام بالمواجهة بعد أن استعاد عضويته في عام ١٩٩٣.

وفي ألمانيا الغربية، كان لا يزال الحزب الوطني الديمقراطي ضعيفا جدا في الواقع. والأكثر من ذلك، ولكن التحالفات المعادية للفاشية التي أنشئت في في وقت مبكر من عام ١٩٩٠، كانت لا تزال متواجدة.

وفي ١ آذار / مارس ١٩٩٧ في ميونيخ حاول الفاشيون القيام بمسيرة ضد معرض مخصص لعرض جرائم الجيش الألماني، ولكن تم إيقاف مسيرتهم من قبل قوة كبيرة مكونة من ٢٥,٠٠٠ إلى ٣٠،٠٠٠ من المتظاهرين، الذين شكلوا مربعًا كبيرًا، وسدوا الطريق لعدة ساعات بعد ذلك. وهذه المظاهرة الجماهيرية الناجحة ضد الفاشية سميت منذ ذلك الحين ب« حصار ميونيخ».

وفي الوقت نفسه، شهدت فرنسا فى السنوات الأخيرة أيضا نموا سريعا للثقة فى الحركة السياسية المناهضة للفاشية. وفي ١٩٨٠، كانت حركة « أنقذونا من العنصرية أو SOS -Racisme، هى القوة المهيمنة على الساحة من الحركات

للمناهضة للفاشية ، ولكن بسبب «اعتدال» تكتيكات الضغط من المجموعة المكونة لها ، فقد أدى ذلك لفشلها إلى حد كبير فى وقف صعود «لوبان».

ومع تنامى الضربات الشاملة للقطاع العام منذ ديسمبر ١٩٩٥ ، فقد واكب ذلك تنامى أيضا فى عدد المنظمات المتطرفة ، لا سيما منظمة «لى مانيفيست» أو «البيان) ومنظمة «راس لى فرونت» والتى تعنى (سحق الجبهه الوطنية).

و في أيار / مايو ١٩٩٧ ، دعت هذه الجماعات الفاشية إلى مسيرة من ٧٠،٠٠٠ شخص تقريبا والذين أغلقوا المؤتمر السنوي لحزب الجبهة الوطنية في ستراسبورغ ، في حين وفى ٢٨ آذار / مارس ١٩٩٨ ، سار حوالي ٢٠٠،٠٠٠ فى مسيرة لمناهضة الفاشية في تظاهرات مختلفة في شتى أنحاء فرنسا. ونتيجة لهذه الاحتجاجات ، وضعت الجبهة الوطنية NF في موقف دفاعي ، و فقد حزب الجبهة الوطنية مقعده البرلماني الوحيد في «تولون» ، حيث حصل على ٧٠٠ صوتا فقط في انتخابات الإعادة في سبتمبر ١٩٩٨. ومنذ ذلك الحين ، تشهد قيادة الجبهة الوطنية انقساما عميقا ، ومع تحدى لوبان علنا من قبل نائبه برونو ميجريت Bruno Mégret. وكلما زاد تكرار الاحتجاجات الجماهيرية ، كلما زادت احتمالية دفع الفاشية بعيدا عن التيار الرئيسي.

وأخيرا ، كيف يمكن القضاء على الفاشية للأبد؟ لقد كان هذا واحدا من المواضيع التى تناولناها فى هذا الكتاب يشير إلى أن الفاشية هي استجابة متكررة لظروف الحياة في ظل الرأسمالية. ولأن الرأسمالية تسير دوما نحو خلق الأزمات، وذلك لأنها تجر الملايين نحو البطالة ، وهى ظروف يزيد فيها الإحساس بالمرارة. ولأن الرأسمالية نفسها تعتمد على سلسلة من الأفكار ، وهذه الأفكار تشمل العنصرية والنخبوية ، كما أن الرأسمالية تحشو مخيلتها باستمرار بالأفكار الرجعية للفاشية التي تعتمد عليها لكى تنمو.

لذلك فمكافحة الفاشية هو شيء ضروري ، ولكنها مهمة صعبة ومتكررة. وهناك عبارات لـ«روزا لوكسمبورغ» ، أن مكافحة الفاشية هى مثل عمال « سيزيف Sisyphus : أسطورة سيزيف هو مقال فلسفي من قبل ألبرت كامو. وهي تتألف من حوالي ١٢٠ صفحة ، ونشرت أصلا في عام ١٩٤٢ باللغة الفرنسية

وحتى عندما يبدو اندحار مجموعة واحدة من الفاشية ،إلا أنه سرعان ما تتولد مجموعه فاشية أخرى ، ويجب أن يتم التصدى دوما لمضمونها الفاشي . فالماركسيين يأخذون على عاتقهم باستمرار التحدي للأفكار العنصرية ، وطرح رسالتهم من البديل الاشتراكي. وهم يفعلون ذلك آملين في انتشار نمو الأفكار الاشتراكية والأفكار المناهضة للعنصرية. ولكن ينبغي على مناهضى الفاشية التسليم بأن الرأسمالية على قيد الحياة ، مما يعنى أن الفاشية سوف تتكرر.

والطريقة الوحيدة لهزيمة الفئران هو تدمير الصرف الصحي الذي يعيشون فيه. وذلك عن طريق خلق مجتمعات مختلفة ، حيث يتم تصميم الإنتاج بشكل يعمل على تلبية حاجة الإنسان ، وبناء مجتمعات لا يوجد فيها بطالة ، ولا فقر ولا يأس ولاعنصرية ، وحينها فقط يمكن وقف 'الفاشية .

و بنفس الشكل الذى طرحه « دانيال غيران» فى كتاباته في عام ١٩٤٥ ، حيث استعرض مهمة القضاء على الفاشية كما يلى : يمكن للفاشية أن تهزم فقط في ذلك اليوم الذى نقدم فيه للبشرية شكلًا جديدًا من أشكال الرجال الذين يتظافرون لتمثيل حكومات ديمقراطية أصيلة ، وكاملة ومباشرة ، ويمكن حينها أن يشارك جميع المنتجين في إدارة الأمور.

ويجمع العديد من مناهضى الفاشية من الذين وردت أسماؤهم في هذا الكتاب وكذلك غير أن على البديل للهمجية يتمثل فى خلق فروع حقيقية من الاشتراكية.

و أنا أتفق مع الرأى القائل بأن السبيل الوحيد الحاسم لوقف الفاشية هو النضال من أجل إقامة مجتمع حيث يتم الاستفادة الكاملة من الإمكانات البشرية جمعاء والتخلص من جميع أشكال القمع.



المحتويات

